الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر ببسكرة
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
قسم الأدب العربي

بناءُ التركيبِ الإفصاحي في القرآنِ الكريمِ

مُذكِّرةٌ مُقدَّمَةٌ لنَيْل شَهَادَةِ الماجسْتِير فى عُلُومِ اللِّسانِ العَرَبِيِّ

إعداد الطالبة:
ليلى كـــاده

إشراف الدكتور:
بلقاسم دفّـــه

السنة الجامعية:
2004 - 2005م

مُقَدِّمَةٌ

مما لا خفاء به أنّ التركيب القرآني قد نال من شديد العناية وعظيم الرعاية ما جعله يستولي على عقول الدارسين على اختلاف أزمنتهم، وتباين مرجعياتهم الفكرية؛ ذلك أن أجيالا من النحاة قد استفرغت الجهد في سبيل دراسته، والكشف عن أنظمته المخبوءة، وأسراره التي لا تنقضي، وعجائبه التي لا تنتهي؛ بوصفه أداةً يتوسل بها إلى درك المعاني، والوقوف على المقاصد المستكنّة فيه، وبالنظر إلى كونه يشكّل مدونة لغوية تؤسس للصورة النمطية التي تجتمع فيها أشراط الجملة الأصولية والمقبولة. فلا غرو أن تتوالى الجهود في تقصي أنماط بنائه، وتتضافر لتبيانه، ويتعاور فرسان البلاغة على ميدانه.

فالتركيب القرآني كان ولا يزال الأنموذج اللغوي الأسمى الذي تشرئبُّ إليه أعناق الدارسين، وتهوي إليه أفئدتهم. فكلما أرسلوا فيه البصر، وأجالوا فيه الفكر تكشفت حقائقه، واستضاءت جوانبه. كيف لا، وهو المعين الذي لا ينضب، والنهر المادّ الذي لا ينفد؟

هذا، وليس بخفي أن عناية الدارسين بالتركيب القرآني كانت تتجه في الأغلب الأعمّ إلى ما كان منه لصيقا بالوظيفتين: الإخبارية، والطلبية. أما القسم الآخر منه، والمعدود في فلك الإنشاء غير الطلبي ذي المرجعية الإفصاحية الانفعالية، فلا اعتداد به على نحو واضح؛ إذ لم يكونوا به أعنى، فما اكترثوا له إلا على نحو محدود، ليس من شأنه أن يستفتح مغالقه، ويفي بمطالبة. فما كان من الدراسات ماسّا به، فهو في سبيل ضيّق يحدّ من دائرته التي ينبغي لها أن تتسع، وتنداح.

فالتركيب الإفصاحي بعامة، والقرآني منه بخاصة يظل أحوج ما يكون إلى الدراسة والتنقيب؛ وإلطاف النظر فيه من جديد؛ لأنّ الدارسين تغافلوا عنه بوجه حق أو دون وجه. فكان لزاما على الذين يريدون أن يستكملوا الصرح الذي ابتناه الأوائل وشيّدوه أن يصرفوا النظر تلقاء هذا التركيب، وأن تتمالأ جهودهم على النهوض بدراسته، وتحليله.

من هذه الجهة تأتي أهمية هذا البحث، فهو يسعى إلى استثمار محصول الدرس النحوي التقليدي والحديث معا في سبيل الكشف عن نظام التراكيب الإفصاحية التي تفرزها الوظيفة اللغوية الانفعالية، ولاسيما في المدونة القرآنية؛ بوصفها الباعث الأدعى إلى نشأة علم النحو، وتفريع مسائله.

تحقيقا لهذه الغاية جاء هذا المشروع موسوما بـ (**بناء التركيب الإفصاحي في القرآن الكريم**)؛ سعيا إلى رصد أنماط هذا اللون التركيبي و صورها التي لم يُلتفت إليها إلاّ على نحو ضيق، لا يسهم في عرضها على نحو علمي ميسر يتوخى مطالب المنهجين: العلمي، والتعليمي معا.

ولعلّ الإحساس بأهمية هذا الموضوع نشأ تدريجيا، ونما على شكل رغبة عامة وجدت من الدواعي والعوامل ما أكدّها. ولعلّ أوفرها حظا في اجتلاب موضوع هذا المشروع ما يلي:

- لقد اهتم النحاة والبلاغيون العرب بدراسة الإنشاء الطلبي دون قسيمه الآخر، وحجتهم في ذلك أنه كثير الاعتبارات تتوارد عليه المعاني التي تجعله من الأساليب الثرية ذات العطاء، والتأثير، وهذا على خلاف الإنشاء الإفصاحي الذي ليس وراءه طلب، فليست أساليبه مما تتوارد عليه المعاني.

فرأيت أنّ التوجه إلى مثل هذه المواضيع التي لم تطرق على نحو شامل سيكون لها الفضل الواسع، والأيادي السابغة في كشف النقاب، ورفع الحجاب عن أسرار التركيب العربي، واستضاءة جوانبه.

- وقد تعززت هذه الرؤية وتأكدت أهميتها من خلال مراجعتي الأستاذين الكريمين: الدكتور بلقاسم بلعرج من جامعة عنابة، والدكتور بلقاسم دفة من جامعة بسكرة.
- السعي إلى رصد الجوانب الانفعالية في القرآن الكريم التي تقوى على التأثير في القارئ، وامتلاك وجدانه.
- الإحساس بقصور منهج النحاة على الوفاء بمطالب هذا اللون التركيبي، فكان لزاما طرق بابه على نحو جديد يرصد وظائف اللغة في المترلة الأولى؛ بوصفها غاية التخاطب اللساني الإنساني.
- هذه الدواعي، وغيرها تدفع إلى معالجة هذا الموضوع، وبسط مشروعه؛ سعيا إلى الإجابة عن أسئلة تراود الذهن، وتساوره بخصوص الوظيفة اللغوية الانفعالية من خلال

المدونة القرآنية: أيكون من باب أولى إفرادها بالدراسة، وإيلاؤها العناية؛ لما يستتبع ذلك من تحليل عميق ودقيق للنشاط اللغوي انطلاقا من تحديد غايات عملية الاتصال اللغوي بين بني البشر، ووظائفه؟ ثم أليست الوظيفة الانفعالية للتركيب الإفصاحي، والمعقودة أصلا بذات المرسل في الخطاب اللساني أولى بالدراسة، والتحليل، لاسيما وأنها ترتبط بأولى عناصر الاتصال اللغوي، أم قصاراها أنها محدودة الأشكال، لا تتجاوز تراكيب معينة، يكون من باب استرعاء الأولوية صرف النظر عنها، وعدم إيلائها أي إكتراث؟

وهل تقوى التراكيب الإفصاحية على أن تشكل نسقا لغويا خاصا، يستقل بخصوصياته عن بقية أقسام التراكيب الأخرى؟ وهل أمعن القدماء، والمحدثون على حد سواء في درس هذا القسم التركيبي درسا راسما لدقائقه كاشفا عن معالمه، أم أنهم أغفلوه شرَّ إغفال، ومزّقوا موضوعاته شرَّ ممزّق، و لم يلتفتوا إليه إلاّ لماما؛ فيكون من الأوجب إلطاف النظر فيه من جديد بتخطي آثار القيود الشكلية المترتبة على النزعة اللفظية إلى تشقيق المعنى الوظيفي؟ ثمّ أيكون في طوق المصطلح النحوي العتيق الوفاء بمطالب التراكيب الانفعالية أم بنا اضطرار إلى تحديث المصطلحية النحوية في هذا السياق؛ طلبا للدقة العلمية في توصيف الظاهرة اللغوية؟

وما أوجه التخالف الذي يمكن لحظه بين الدارسين على اختلاف مرجعياتهم الفكرية في تعيين التراكيب الإفصاحية؟ وأيها أقرب وصلا إلى المنطق اللغوي، ولاسيما أنّ بين الدارسين- قدامى كانوا أم محدثين- تضاربا شديدا، وتباينا واضحا في تحديد المدارات التي ينسحب عليها مصطلح الإفصاح؟ كذلك هل يطلق مصطلح الإفصاح أو الانفعال بلا قيد، ولا شرط أم له ضوابط توجه دلالاته خلال الاستعمال القرآني، وبخاصة إذا كان موصول العرى بالذات الإلهية؟

هذا، وهل المنهج النحوي التقليدي قادر على تحليل التراكيب الإفصاحية، وتقصي صور بنائها، وتحديد أنماطها، أم أنه على خلاف ذلك يطمس معالمها، ولا يكاد يبين عن أسرار تأليف العبارة فيها؛ لما ينجرّ عنه من تبعات التمحّل في التأويل والتخريج، إرضاء لمقتضيات القاعدة الصناعية، لا القاعدة الطبيعية؟

كذلك هل تنهض التراكيب الإفصاحية دليلا على صحة اشتراط النحاة العلاقة الإسنادية في ائتلاف عناصر الجملة العربية، أم أنّ المسألة لا تزيد عن الشطط في اطّراد القواعد المصنوعة بوجه حق، أو دون وجه؟

ثمّ أيتهيأ لنا تحليل الجملة التعجبية على منوال يمليه الوصف اللغـــوي دون الفـــرض الفلسفي؟ فما حقيقة التعجب؟ وما أقسامه؟ وما أحكامه؟ وما أشكال أنماطه، وصورها في القرآن الكريم؟

وهل يكون حقيقا بالنحاة أن يختلفوا بخصوص جملة المدح والذم؟ وهـــل يفضـــي اختلافهم إلى نتائج عملية تساهم في الكشف عن هـــذا الأســـلوب اللغـــوي، أم يكـــون بالمستطاع استعاضة هذا الخلاف بين البصريين والكوفيين بما هو أجدى نفعا، وأقرب وصلا باللغة؟ ألا يكون في تجريد أنفسنا من تصور القدماء لهذا الأسلوب العون على فتق معانيه، ورصد مبانيه على نحو يفي بخدمة اللغة العربية، ومريديها؟ وكيف يرتسم هذا الأسلوب في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه؟

وهل يتعزز القول بأنّ أسماء الأفعال لا تعدو أن تكون خوالف تفصح عـــن التـــأثر والانفعال؟و أليس حريا بنا صرفها عن إشكال الاسمية والفعلية إلى ما هو داع إلى الكشف عن وظائفها اللغوية التي يتغيّاها المتكلم حين الممارسة الفعلية للنشاط الكلامـــي؟ وكيـــف تتجلى أنماطها، وصورها في الأسلوب القرآني؟

كذلك هل يعد تركيب الندبة حقا من قبيل النداء المحمول على الإنشاء الطلـــبي، أم أنه يستقل بتركيبه، ولا يُحمل على غيره؛ فيكون لزاما دراسته على أساس كونه أســـلوبا إنشائيا إفصاحيا لا طلبيا؟ وما خصائص تركيب الندبة في المدونة القرآنية بالنظر إلى كونها تمثل الأنموذج اللغوي الأسمى الذي نتحرى فيه قوة النظم، ودقة السبك، وبلاغـــة القـــول، ووجوه الإعجاز؟

للتكفل بالإجابة عن هذه الهواجس جميعا اتخذ البحث الهيكل التنظيمي التالي:

- مقدمة.
- الفصل الأوّل: مدخل إلى دراسة التركيب الإفصاحي.
- الفصل الثانـــي: التراكيب الإفصاحية في ضوء القاعدة النحوية.
- الفصل الثالث: الأنماط التركيبية الإفصاحية في المدونة القرآنية.
- خاتمة.

أما الفصل الأول، فموزع على مبحثين: مسوق أولهما لتقصي دلالات التركيـــب والإفصاح بين اللغة والاصطلاح، ومعقود ثانيهما لتحديد مدارات التركيب الإفصاحي بين القدماء والمحدثين.

وأما الفصل الثاني، فارتسم في أربعة مباحث: سيق أولها لرصد أحكام تركيب التعجب النحوية، والكشف عن عباراته ودقائق مسائله، وتطرق ثانيها إلى دراسة تركيب المدح والذم، وبسط القول في صيغه، وتعلق ثالثها بتركيب الندبة، واختص رابعها بطرق باب تركيب الإخالة، وبيان مراده، وجمع أشتاته.

تضافر الفصلان على رسم معالم الشقّ النظري من هذا البحث، في حين أنيطت بالفصل الثالث مهمة الكشف عن الأنماط التركيبية الإفصاحية المخبوءة في المدونة القرآنية، وتقرّي صورها الشكلية على نحو واف ببيان كيفيات بنائها، وتأليف وحداتها.

وأنهي البحث بخاتمة سعت إلى الظفر بمحصوله، والإشارة إلى محموله ومشموله.

ويستلفت النظر أنّ مادته قد زاوجت بين المرجعيتين: التراثية والحداثية على نحو ليس به خفاء، فكانت مصادر التراث اللغوي والنحوي والبلاغي معينا لها، كما كانت كتب المحدثين والمعاصرين من أهم روافدها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ موضوع البحث يتكئ في المنزلة الأولى على المنهج الوصفي الذي يفي بتحليل التراكيب الإفصاحية إلى عناصرها الوظيفية الأولى؛ لما يتمتع به من قدرة فائقة على استضاءة جوانب الموضوع المعالج على نحو كاشف عن طبيعته راسم لدقائق معالمه.

هذا، وإنه ليستأنس في مواضع محدودة منه بمناهج أخرى تمده على حسب ما تقتضيه مادته، كالمنهج التاريخي الذي تستبين معالمه حين تقصي مدارات المصطلح بين القدماء والمحدثين.

كذلك المنهج الإحصائي يمكنه أن يجد منفذا خلال هذا البحث؛ بوصفه أداة يُتوسّل بها إلى معرفة ترداد أنماط التراكيب الإفصاحية في القرآن المجيد.

ختاما، أتوجه بخالص الشكر وعظيم الثناء إلى الأستاذ المشرف؛ اعترافا بفضله، وإيمانا بأياديه السابغة على هذا البحث، فقد كان القبس المضيء والسراج المنير الذي اهتديت به في المسالك الوعرة، حينما كانت الأفكار تزدحم بذهني، فلا أستطيع لها جمعا، وتلقي الأسفار بكلكلها، فأضيق بها ذرعا، ولا أملك لها دفعا.

فالله أسأل أن يتقبّل هذا العمل، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

الطالبة

الفصل الأول:
مدخل إلى دراسة التركيب الإفصاحي

المبحث الأول: دلالات التركيب و الإفصاح بين اللغة والاصطـــلاح.
المبحث الثاني: مدارات التركيب الإفصاحي بين القدامى والمحدثين.

المبحث الأول:
دلالات التركيب والإفصاح بين اللغة والاصطلاح

لاغرو أنّ الخوض في مسالك التركيب الإفصاحي يستدعي –بداءة، وعلى جهة الوجوب– النظرَ في دلالات وحدتي هذا المركب الوصـــفي في شـــقيها: اللغـــوي،

والاصطلاحي؛ لما لضبط المصطلحية من أهمية بالغة في بيان القصد، ودفع التعمية، ورفع الإلباس.

فلا فكاك إذن من صرف النظر تلقاء هذا المصطلح، واستقراء سياقاته، وإيلائه العناية على نحو راسم لحقائقه، كاشف عن دقائقه. فأولى ثم أولى إبراز ما يتوجه إليه القصد من خلال استخدام هذا المركب اللغوي الذي يتخذ المدى سندا له بامتداده خطيا، وباستثمار علاقة أفقية، كما يكون لزاما بسط القول في مدى تعالق دلالاته المعجمية مع حدوده في عرف الصناعة اللغوية.

التركيب بين اللغة والاصطلاح:

1.التركيب لغة: بطون المعجمات اللغوية حبلى بمعان تسبح في فلك الجذر اللغوي **(ر/ك/ب)** بجامع من علاقة التأليف، والضم، والجمع التي تنهض في مقابلة معنى الإفراد. لعل أوصلها قربى بما نحن فيه التراكم بوضع الشيء بعضه على بعض؛ إذ تقول العرب: ركّبه تركيبا إذا وضع بعضه على بعض، فتركّب وتراكب[1]. ونظيره قولهم: تراكب السحاب وتراكم إذا صار بعضه فوق بعض.[2]

والتركيب هو المركب في الشيء، من ذلك قولهم: «ركّب الفص في الخاتم، والسنان في القنا...فهو مركّب وركيب» [1].

---

[1] ينظر: الصحاح، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط4، 1990م، 139/1. وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق علي شتيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1414هـ-1994م، 36/2. وينظر: معجم متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958م، 637/2.

[2] ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1995م، 428/1. وينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1998م، ص91.

[1] ينظر: الصحاح، 139/1.

أما المركب فيأتي –أيضا– دالا على الأصل والمنبت؛ إذ تقول: فلان كريم المركّب، إذا أردت به: كريم أصل منبته في قومه.[2] كما ينهض هذا اللفظ في مقابلة البسيط الذي لا يكون في الطوق تجزئته إلى ما هو دونه.[3]

هذا، ويجيء الركيب من النخل دالا على ما غرس سطرا، سواء أكان على جدول، أم على غير جدول.[4]

والتركيب بمعنى الضم والتأليف كذلك، فقد جاء في (المعجم الوسيط) «ركّب الشيء...ضمه إلى غيره فصار بمثابة شيء واحد في المنظر، وركّب الدواء ونحوه ألفه من مواد مختلفة».[5]

صفوة القول ومحصول الحديث أنّ التركيب في سياقه اللغوي يقترن بمعان مختلفة في مظهرها مؤتلفة في مخبرها، تكاد تنحصر في: الركام، والضم، والجمع، والتأليف، والأصل، والسطر. وما هو بخفي على ذي نظر أنّ مختلف هذه المعاني تلتقي على جهة الشراكة في مبدأ الثنائية على الأقل؛ إذ لا ركام، ولا ضمّ، ولا جمع، ولا تأليف، ولا أصل، ولا سطر إلا ما كان منشأَه وحدتان فأكثر.

2.التركيب في الاصطلاح:

أُشْرِبَ مصطلح التركيب دلالات عديدة لا تكاد تتخطّى ما أحال إليه لفظه على أوضاع اللغة؛ فبين استعمالاته في العرف اللغوي واستعمالاته في العرف النحوي صلة وثقى لا تخفى على الباحث المدقق في النظر، إذ تكاد تنطبق الثانية على الأولى انطباقا كليّا لا تَجاوُزَ فيه إلاّ على نحو ضيق لا يفسح المجال واسعا لاستظهار جهات التخالف بين العرفين.

---

[2] ينظر: لسان العرب، 428/1.

[3] ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، تحقيق عبد الوهاب السيد عوض الله وآخرين، مطابع الأوغست–شركة الإعلانات الشرقية، 1985م، 381/1.

[4] ينظر: لسان العرب، 428/1.

[5] المعجم الوسيط، 381/1. وينظر: كتر اللغة العربية، حنا غالب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،ط1، 2003م، ص21.

يتضح ذلك من خلال تقرّي سياقات هذا المصطلح في ضوء المعاني اللغوية المحصورة آنفا بجامع من مبدأ الثنائية على اختلاف جهاته:

أولا: مبدأ الثنائية: ليس بخفيّ أنّ قوام التركيب اللغوي وحدتان صوتيتان أوصرفيتان فصاعدا أفادتا معنى تاما أم لا، على جهتي: الانفراد أو الاجتماع.

أما الوحدتان الصوتيتان، فتنصرف دلالتهما إلى ما تعارف عليه الألسنيون اليوم بمصطلح الفونيم أو الصوتيم PHONEME ، فمن شأن المزاوجة بينهما –بجامع من العلاقة الاعتباطية– أن تفضي إلى إنتاج ملفوظ تتحدد أبعاده اللسانية الدلالية صرفيا؛ ذلك أنّ الوحدات اللسانية الصوتية تقوم فيما بينها علاقات تركيبية تنهض على أساس من التباين والتخالف[1]، يتمثل بُعدها الصرفي في إنتاج ملفوظات ذات معانٍ مفردة، لا يستقيم الكلام بها على انفرادها معزولا بعضها عن بعض، وإنما يستقيم باجتماعها على شكل ضمائم من الكلمات أو الوحدات الصرفية الدنيا؛ أي: بتضام أزواج مما يصطلح عليه لسانيا بالمونيمات MONEMES أو المورفيمات MORPHEMES[2].

فالتركيب ينسحب مفهومه على النشاط الاجتماعي الذي يقيم تجاورا غير مسبّب بين فونيمين فأكثر، سواء في ذلك الصوامت أم الصوائت، لإنشاء وحدات لغوية دنيا دالة. وقد عبّر عن هذا المعنى من قبل الشريف الجرجاني (ت769هـ) بقوله : »التركيب : جمع الحروف البسيطة ونظمها لتكون كلمة«[3]. ونلمح أثر هذا المفهوم جليا في عبارات بعض النحويين العرب؛ من ذلك قول ابن جني (ت392هـ): »ويدل أنّ تركيب هذه الكلمة من (ب ز و) أنّ الفعل منها عليه تصرّف وهو قولهم: بزا يبزو إذا غلب وعلا ومنه البازي«[1]، وقوله أيضا في موضع

---

[1] ينظر: مبادئ في اللسانيات العامة، أندري مارتني، ترجمة زبير سعدي، سلسلة العلم والمعرفة، دار الآفاق، الأبيار، الجزائر، (د.ت)، ص:30.

[2] المصطلح الأول اشتغل به أندري مارتني، والثاني اشتغل به البنيويون عموما. ينظر: وظيفة الألسن وديناميتها، أندري مارتني، ترجمة نادر سراج، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط1، 1416هـ–1996م، ص222–223.

[3] التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،1416هـ–1995م، ص56.

[1] الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، ط2، (د.ت)، 1/ 8. ولمزيد من التفصيل ينظر: المصدر نفسه، (باب في تداخل الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية)، من: 44/2 إلى:48/2.

آخر: «فقد صار إذن تركيب طاء وحاء ونحوهما بعد التسمية من ط و ي و من ح و ي وصارا كأنهما من باب طويت وحويت»[2].

وآيته كذلك قول ابن القيّم (ت751هـ): «...ثم جعل سبحانه في الحنجرة واللسان والحنك باختلافها الصوت، فيحدث الحرف، ثم ألهم الإنسان أن يركّب ذلك الحرف إلى مثله ونظيره، فيحدث الكلمة...»[3].

وأمّا الوحدتان الصرفيتان، فينشأ من تعاقبهما وعبر امتدادهما تركيب من نوع آخر، يمكن تجزئته إلى وحدات دالة على خلاف الصنف الأول الذي يفقد دلالته بمجرد تقطيعه إلى وحدات أدنى. فالتركيب وفق هذا المنظور الثاني «يتشكل من وحدتين متعاقبتين أو أكثر»[4] تشكلّ فيما بينها علاقات سياقية تتسم بالطابع الحضوري، تقوم أساسا على تقابل عبارتين أو أزيد في سلسلة موجودة بالقوة. وبهذا، فإنّ مفهوم التركيبSYNTAGME في الاستخدام السوسّيريّ لا ينطبق على الكلمات فحسب، وإنما انطباقه على مجموعها[5]، وما هو ببعيد عمّا يسميه أندري مارتني بالمونيمات المركبة SYNTHEMES[6] التي قوامها «ائتلاف بين مونيمين أو أكثر، منكشفَين بواسطة الاستبدال»[7] .

ومن شأن هذا الصنف أن تتوالد عنه معان تركيبية تقابل المعنى الإفرادي، وهو على ضربين: مركب تام، و مركب غير تام.

أما الأول، وهو **المركب التام**، فما يصح السكوت عليه، لعدم احتياجه في الإفادة إلى لفظ آخر، سواء أفاد إفادة جديدة، نحو: زيد قائم، أم لا، نحو: السماء فوقنا، والأرض تحتنا[1]. وسبيله أن يفضي إلى إنتاج المركب الإسنادي الذي هو قوام

---

[2] سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985م، 793/2.

[3] التبيان في أقسام القرآن، ابن قيّم الجوزية، تصحيح وتعليق طه يوسف شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1402هـ-1982م، ص258.

[4] محاضرات في الألسنية العامة، دي سوسير، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، منشورات المؤسسة الجزائرية للطبع، (د.ت)، ص149.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص150.

[6] ينظر: وظيفة الألسن وديناميتها، ص218.

[7] المرجع نفسه، ص223.

[1] ينظر: التعريفات، ص210.

الجملة والكلام ومعقد معانيهما، وقد أفرد له سيبويهِ(ت180هـ) بابا في (كتابه) ساقه تحت عنوان (هذا باب المسند والمسند إليه)[2].

أما الجملة، فقول مركب تركيبا إسناديا[3]، فحسبها –عند رضي الدين الاستراباذي(ت686هـ)– أن تكون معقودة على رابطة إسنادية أصلية سواء أكانت مقصودة لذاتها أم لا، كالجملة التي هي خبر المبتدإ، وهذا قيد لإخراج المصدر واسمي الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف مع ما أسندت إليه؛ لافتقار هذه المركبات جميعا إلى الإسناد الأصلي[4]. وحسبها –عند ابن هشام الأنصاري(ت761هـ)– أن تتضمّن الإسنادَ دون اشتراط الإفادة[5].

ولكن يمكن القولُ في المقابل: إنّ الجملة تحتوي من الوجهة النحوية على«تركيب نحوي على الأقل، كما تحتوي من الوجهة الدلالية على رسالة مكتملة المعنى على الأكثر»[6]، وهذا على طريقة الموحدين بين مصطلحي: الجملة والكلام إن قديما وإن حديثا، وهو ظاهر قول الزمخشري (ت538هـ) في (مفصله)[7]. فعماد الجملة إذن تركيب واحد مفيد، أو تركيب ذو شقين، كجملة الشرط وجواب الشرط، فهي في حقيقتها: «مجموعة وحدات كلامية منسقة ومرتبة ومتعلقة بقوانين وأحكام لغوية، وهي في تركيبها تؤدي معنى لغويا، كالجملة الخبرية والإنشائية»[1].

والجملة عند دي سوسير تعدّ أفضل أنماط التركيب[2]، وهي عند تمام حسّان النمطُ التركيبي نفسُه[3]، وكثيرا ما يعبّر عن مصطلح الجملة بالتركيب، مع أنّ بينهما

---

[2] الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، (د.ت)، 23/1.

[3] ينظر: رسالة المباحث المرضية، ابن هشام، تحقيق مازن المبارك، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1987م، ص54-64.

[4] ينظر: شرح الكافية في النحو، رضي الدين الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1415هـ-1995م، 8/1.

[5] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، 1985، ص490.

[6] (التعبير الشفهي والتعبير الكتابي)، كمال بكداش، مجلة الفكر العربي، ع8-9، 1979م، ص46.

[7] ينظر: المفصل في علم اللغة، الزمخشري، مراجعة وتعليق محمد عز الدين السعيدي، دار إحياء العلوم، بيروت-لبنان، ط1، 1410هـ-1990م، ص15.

[1] بنية الجملة الطلبية في السور المدنية، بلقاسم دفة، (رسالة دكتوراه مخطوطة)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،2000م، ص12.

[2] ينظر: محاضرات في الألسنية العامة، ص150.

[3] ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة-مصر، ط1، 1413هـ-1993م، ص56.

خصوصا وعموما؛ إذ إنّ الجملة تركيب ولا ينعكس. تقول خولة طالب الإبراهيمي في هذا السياق: «قد نجد هذا المصطلح مستعملا للدلالة على مفهوم الجملة ولكنه أوسع مجالا منه، إذ يدل على أنواع من التراكيب عديدة لا تدخل في عداد الجملة، مثل: التركيب العددي والتركيب المزجي والتركيب الإضافي»[4]. فالتركيب بعامة أن تجعل الأشياء الكثيرة يطلق عليها اسم الواحد، بحيث يكون لبعض أجزائه نسبة إلى البعض[5]، أو قل عنه: «لفظ يفيد نسبة معينة، وتلك النسبة إما بين كلمتين أو لا»[6]، ويراد بالنسبة العلاقة الإسنادية إن كانت ركنا، وإلاّ فتعلقية. أما التي ليست بين كلمتين، فكالنسبة بين القسم وجوابه.

وحري بالذكر أنّ من الدارسين المحدثين من لم يعقد مفهوم الجملة على أساس من التركيب؛ فإبراهيم أنيس مثلا يتقصى صور الجملة بدءا بصورتها الصغرى ككلمة واحدة عند الحذف، ووصولا إلى صورها الأكثر تركيبا، فالغاية أن تكون الجملة تامة المعنى لا غير، فيسوق تعريفه للجملة على أنها «أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر»[7]. وغير بعيد عن هذا ما ذهب إليه مهدي المخزومي؛ إذ ارتضى هذا التعريف فأورده بنصه، إلاّ أنه ذكر أنّ الجملة قد تخلو من المسند إليه لفظا أو من المسند لوضوحه وسهولة تقديره، وهو بذلك يظل متشبثا بمقولة الإسناد[1]. ويمضي على الطريقة نفسها إبراهيم السامرائي فلا يرضى حولا عن هذه العلاقة، فيقول: «ولن نخرج في بحثنا في مسألة الجملة عن الإسناد، فالجملة كيفما كانت اسمية أو فعلية قضية إسنادية»[2]. بيد أنّ عبد الرحمن أيوب يرى أنّ في العربية جملا غير إسنادية، كجملة النداء مثلا.[3]

---

[4] مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000م، ص101.

[5] ينظر: التعريفات، ص55-56. وينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، ط3، 1972م، 269/1. وينظر: محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1987م، ص348.

[6] الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ركن الدين محمد بنعلي بن محمد الجرجاني، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2002م، ص12.

[7] من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط6، ص276-277.

(1)ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1406هـ-1986م، ص33.

[2] الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1403هـ-1983م، ص201.

[3] ينظر: دراسات نقدية في النحو العربي، عبد الرحمن أيوب، (د.ن)، القاهرة، 1957م، ص129.

وأما الكلام الناشئ عن ائتلاف وحدتين صرفيتين، فما كان دالا على معنى يحسن السكوت عليه[4]، فهو: «الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها»[5]. هذا، وقد مضى بعض النحويين إلى التفرقة بين مصطلحي: الجملة والكلام على جهات: فالرضيّ يشترط في الكلام مبدأ القصدية، فينصّ على أنه «ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته فكل كلام جملة ولا ينعكس»[6]، في حين يتعلق ابن هشام بجهة الإفادة بالقصد في قوله:«الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه...والصواب أنها [الجملة] أعمّ منه، إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط- جملة الجواب- جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيدا فليس بكلام»[7]. وليس بخفي أنّ معقد الفائدة في المعاني المركبة التي تحصل من «اجتماع المعاني الجزئية بعضها إلى بعض، بسبب اجتماع الألفاظ المفردة التي لكل لفظ منها معنى جزئي»[8]، فباجتماع هذه المعاني الجزئية تحدث الفائدة التي «يستطيع المتكلم أن يسكت بعدها، ويستطيع السامع أن يكتفي بها»[9]. لذلك لا يمكن للكلمة الواحدة أن تكون تامة الفائدة قبل التركيب، إلاّ إذا جاءت في سياق يوضح معناها.

وأما الثاني، وهو **المركب غير التام**، فما لم يحسن السكوت عليه البتة؛ لكونه لا يستقل بذاته، وإنما ينهض على سبيل التابعية لمركب مركزي، فلا يفارق –تبعا لذلك- وظيفة المحدد له[1]. وفيه يقول محمد إبراهيم عبادة: «ونريد بالمركب ما يقابل المفرد، فيطلق على ما تكون من كلمتين أو أكثر وأصبح لهيئته التركيبية سمة خاصة يعرف بها...والمركب بهذا المعنى يشمل...شبه الجملة والمضاف والمضاف إليه والشبيه بالمضاف...»[2]. وإنه في العربية لعلى أضرب يتمّ سوقها في الثنائية التالية:

---

[4] ينظر: أسرار العربية، أبو بركات الأنباري، تحقيق فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م، ص28.
وينظر: اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء بن الحسين، تحقيق غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق، 1995م، ص41.

[5] الخصائص، 19/1.

[6] شرح الكافية، 8/1.

[7] مغني اللبيب، ص490.

[8] النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف المصرية، القاهرة، ط9، (د.ت)، 14/1.

[9] المرجع نفسه.

[1] ينظر: وظيفة الألسن وديناميتها، ص223.

[2] الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، محمد إبراهيم عبادة، دار المعارف الإسكندرية-مصر، 1988م، ص49.

1.المركب التقييدي: وهو ما كان بين جزئيه نسبة تقييدية؛ بأن يكون أحد الجزئين قيدا للآخر. فقد يكون القيد بالإضافة فيسمى مركبا إضافيا، وقد يكون بالوصف فيدعى مركبا توصيفيا[3]. أما الأول، فهو على أوضاع النحويين العرب«نسبة تقييدية بين اسمين توجب لثانيهما الجرّ، فخرج بالتقييدية الإسنادية... وبالأخير الوصف»[4]، ويجري في صدده قول ابن هشام الأنصاري(ت761هـ): «ومركب إضافي هو الغالب، وهو كل اسمين نُزِّل ثانيهما منزلة التنوين مما قبله كـ:عبد الله وأبي قحافة، وحكمه أن يجرى الأول بحسب العوامل الثلاثة رفعا ونصبا وجرّا، ويجرّ الثاني بالإضافة»[5]. وأما الثاني، فتركيب الموصوف وصفته[6].

ومن هذا القبيل أيضا تلكم المركبات التي منشؤها المصادر والصفات مع مرفوعاتها، فهي في حكم المركب التقييدي؛ لأنّ الإسناد فيها غير تامّ[7].

2.المركب غير التقييدي: وينطلق مفهومه على المركبات التالية[1]:

- **المركب من اسم وأداة**، نحو: في الدار، أو **من فعل وأداة**، نحو: قد قام. وهذا التركيب شبيه بما يدعوه تمام حسان بالتضامّ على سبيل التلازم بالمبنى الوجودي[2].
- **المركب التضمّني**: وهو ما تضمن الحرف؛ سواء تضمن حرف عطف أم تضمن حرف جرّ. القسم الأول منه نحو: خمسة عشر، وصباحَ مساءَ؛ أما المثال الأول، فأصله خمسة وعشر يجريه الشريف الجرجاني في زمرة المركّبَات

---

[3] ينظر: التعريفات، ص210. وينظر: كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، محمد علي الفاروقي التهانوي، تحقيق لطفي عبد البديع وعبد النعيم محمد حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ت)، 12/3.

[4] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، 1399هـ-1979م، 264/4.

[5] ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، تحقيق وشرح محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، (د.ت)، 126/1.

[6] ينظر: شرح شذور الذهب، ابن هشام، تحقيق عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط1، 1984م، ص112.

[7] ينظر: كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، 12/3.

[1] ينظر: المصدر السابق. وينظر: التعريفات، ص210.

[2] ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1418هـ-1998م، ص217.

التعدادية[3]، في حين يدخله آخرون في زمرة المركبات المزجية، وهو الأحد عشر والإحدى عشرة إلى التسعة عشر والتسع عشرة[4]، وأما المثال الثاني، فالأصل فيه صباحا ومساء، فحُذِف العاطف وركّب الظرفان قصدا للتخفيف تركيب خمسة عشر[5]، ويدخله محمد إبراهيم عبادة في نطاق مركب جديد يدعوه المركب الظرفي[6]. والقسم الثاني من المركب التضمني، مثل: بيتَ بيتَ؛ إنّ الأصل فيه (بيتا لبيت)، أي: ملاصقا، فحذف الجارّ ورُكِّب الاسمان[7].

- **المركب المزجي**: وهو كل اسمين نُزِّل ثانيهما منزلة تاء التأنيث، مثل: بعلبك وحضرموت ومَعْدِي كَرِبَ وقالي قلا؛ فحكم الأول أن يفتح آخره، إلاّ إن كان ياء فيسكن، كما في المثالين: الثالث والرابع، وحكم الثاني أن يعرب بالضمة والفتحة[8].

- **المركب الصوتي**: وهو نوع من المركبات المزجية، إلاّ أنه مختوم بـ(ويه)، نحو: سيبويهِ وعمرويه وخالويه ونفطويه، وحكمه البناء على الكسر تغليبا لجانب الصوت[1].

حاصل القول –فيما سبق– أنّ المركبات جميعا باختلاف أشكالها وتنوع مصطلحاتها لا تخرج –في أبسط صورها– عن الرباط الثنائي الذي يتجلى فيها

---

[3] ينظر: التعريفات، ص210.

[4] ينظر: شرح شذور الذهب، ص94.

[5] ينظر: المصدر نفسه، ص94-95.

[6] ينظر: الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، ص50.

[7] ينظر: شرح شذور الذهب، ص98.

[8] ينظر: أوضح المسالك، 126/1. وينظر: همع الهوامع، 245/1.

[1] ينظر: همع الهوامع، 245/1.

حيثما كانت بشتى تمظهراتها، إلاّ أنها مع ذلك لها أن تتجاوزه، فتنفك من قيده، وتتحرر من أسره بالتوسع والتمدد، لا بالانحسار والتفرد؛ فجائز من الوجهة النظرية المجردة أن يمتد التركيب إلى عدد غير محدود من الوحدات اللغوية الصوتية والصرفية.

ثانيا: التأليف: التأليف قرين التركيب، فلا تأليف بلا تركيب على وجه القطع، بينما قد ينهض التركيب بلا تأليف عند من يرى أنّ هذا الأخير أخصّ منه؛ «إذ هو تركيب وزيادة، وهو وقوع الألفة بين الجزئين»[2].

بيد أنّ قيبلا من الدارسين لا يجد حرجا في التسوية بين المصطلحين، فيجعل بينهما مرادفة لا خصوص فيها ولا عموم. وينهض الشريف الجرجاني شاهد صدق على ذلك؛ فهو يسوق المصطلحين مساقا واحدا، فيعرف التأليف بأنه: «جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد سواء كان لبعض أجزائه نسبة إلى البعض بالتقدم والتأخر أم لا»[3]، و ينسحب هذا التعريف لديه على التركيب انسحابا كليا، وقد أغنى القول عن إعادته.

ويأتي في السياق نفسه قول الفارابي (ت951هـ): «وكما أنّ القول المؤتلف يأتلف من جزئين، كذلك المقترن في النفس يأتلف من معنيين: أحد المعنيين هو الذي دلّ عليه الجزء الذي هو الموصوف [المسند إليه]، والمعنى الآخر هو جزء القول الذي هو الصفة[المسند]»[1] ، فعماد التركيب وفق هذا المنظور ائتلاف بين جزئين لفظا ومعنى.

وغير بعيد عن علاقة المرادفة ما أقرّه صاحب النظرية الوظيفية (أندري مارتني) ANDRE MARTINET في سبيل تمحيصه مفهومَ التركيب SYNTAGME؛ إذ يقول: «يمكننا تحديد التركيب بأنه المجموعة المؤلفة من نواة ومحدداتها، وعند الاقتضاء، من الرابط الذي يصل هذه المجموعة بباقي القول»[2].

---

[2] شرح ألفية ابن مالك، الأشموني، تمميش حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1419هـ-1998م، 24/1.

[3] التعريفات، ص50.

[1] الألفاظ المستعملة في المنطق، الفارابي، تحقيق محسن مهدي، دار الشروق، بيروت، ط2، 1986هـ، ص57.

[2] وظيفة الألسن وديناميتها، ص218.

فالتركيب قائم على سبيل التأليف بين الوحدات اللغوية، قصد التعبير عمّا يختلج في النفس ويستكنّ في الضمير.

ثالثا:الجمع والضم: جاء في (لمع ابن جني) ما نصه:«التركيب: كل اسمين ضمّ أحدهما إلى الآخر...»[3]. وإلى شبه هذا يمضي (استيفن أولمان)STEPHEN ULLMANN فيرى أنّ التركيبCOMPOSITION -لا سيما إذا كان من الكلمات- ينشأ «كلما ضمت كلمتان مستقلتان بعضهما إلى بعض لتكوين كلمة جديدة...»[4]. وغير بعيد عنه ما يسوقه (نعوم تشومسكي) N.CHOMSKY حول تركيب الجملة من تصور؛ إذ الجملة لديه عبارة عن سلاسل ذات بنية، وهو تعريف يتطابق إلى حدّ بعيد مع التصورات التقليدية من حيث إنّ الجمل ينظر إليها كما لو كانت سلاسل من الوحدات؛ أي: مجموعات من الوحدات جُمِّعت معا في بنية معينة[5]، فالجمل من منظور توليدي تتكون من مجموعة بنى تركيبية مختلفة[6]، وتنحصر مهمة التركيب فيها في «تأدية الحساب عن البنية الداخلية للجمل، فالكلمات والمورفيمات تتجمع في مؤلفات وظيفية كموضوع الجملة والمحمول والمفعول»[7].

ومن شأن هذه التصورات جميعا أن تُريَ مدى أخذ الدلالة الاصطلاحية بأعناق الدلالة اللغوية، كما من شأنها أن تظهر أنّ قوام التركيب –على ما يحيل عليه منطوق النصوص- العلاقة الانضمامية بين طرفين.

رابعا: التراكم: جاء في (لسان العرب) لابن منظور(ت711هـ)«الرَّكْمُ: جمعك شيئا فوق شيء حتى تجعله ركاما مركوما، كركام الرمل والسحاب...وشيء ركام: بعضه على بعض»[1]، ومثل هذا المعنى لا ينأى كثيرا عن تصورات بعض اللغويين المحدثين لمفهوم بعض التراكيب، ولاسيما تلك الأشكال اللغوية المستقلة التي لا تدخل

---

[3] اللمع في العربية، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب ومكتبة النهضة المصرية، ط2، 1405هـ-1985م، ص224.

[4] دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط12، 1997م، ص160.

[5] ينظر: مظاهر النظرية النحوية، نعوم تشومسكي، ترجمة مرتضى جواد باقر، دار الرشيد، بغداد، 1983، ص39.

[6] ينظر: (تشومسكي والثورة اللغوية)، جون سيرل، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، لبنان، ع8-9، 1979، ص126.

[7] المرجع نفسه، ص128.

[1] لسان العرب، 251/12.

عن طريق أي تركيب لغوي في حيّز شكل لغوي أكبر منها؛ أي: الجمل[2]. فمنهج التحليل إلى المكونات المباشرة IC ANALYSIS عُني بالجملة باعتبارها بناء متدرجا يتكوّن من طبقات تراكمية بعضها فوق بعض، ويسعى إلى تحليله من أعلى إلى أسفل WORKING DOWN، وصولا إلى المكونات النهائية أو المتطرفة ULTIMATE CONSTITUENTS[3].

كذلك، أليس وضع بعض الشيء فوق بعض شبيها بالبناء الذي فسّر به الرعيل الأول من النحويين العرب تركيب الجملة؟ ألم ينصّ سيبويه في (باب الابتداء) على أنّ المبتدأ مبنيٌّ عليه والخبر مبنيّ، فقال: «فالمبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه كلام. والمبتدأ والمبني عليه رفع. فالابتداء لا يكون إلاّ بمبنيّ عليه. فالمبتدأ الأول والمبنيّ ما بعده عليه فهو مسند ومسند إليه»[4]؟ ويتحدد مفهوم البناء عند عبد الرحمن الحاج صالح على أنّ قوامه «أن تجعل عنصرا لغويا تابعا لعنصر لغوي آخر بحيث أنهما يكونان عنصرا أوسع من مستوى أعلى ولا يعاقب أي واحد من العنصرين العلامة العدمية أي لا يمكن أن يحذف، وإن حُذف و لم يرجع العنصر الأول إلى أصله زال عن الوجود»[5].

ويندرج في هذا السياق تعريف جوزيف ميشال شريم للجملة، فهي –في تصوره– ((بناء لغوي يكتفي بذاته وتترابط عناصره المكونة ترابطا مباشرا أو غير مباشر بالنسبة لمسند إليه واحد أم متعدد))[1].

خامسا: السطر: من دلالات السطر –على أوضاع اللغة– الخطّ والكتابة[2]، ومنه قوله تعالى:(ن وَالقَلَمِ وَما يَسْطُرونَ)[3]، وهي دلالة قريبة جدا مما استقرت عليه أعراف الدارسين للتركيب اللغوي. فليس بخفي قيام هذا الأخير لديهم على مبدإ

---

(2) ينظر : اتجاهات البحث اللساني، ميلكا إفيتش، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م، ص289.

(3) ينظر: نظام الجملة في شعر المعلقات، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991م، ص26-27.

(4) الكتاب، 126/2.

(5) مبادئ في اللسانيات، ص111.

(1) دليل الدراسات الأسلوبية، جوزيف ميشال الشريم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984م، ص40.

(2) ينظر: لسان العرب، 363/4.

(3) القلم/1.

الخطية LINEARITE باتخاذه المدى سندا من خلال تجاور وحداته، فهو يمثل اتساعا زمنيا يمكن قياسه في بعد واحد هو الخطّ[4] يصطلح عليه أهل الاختصاص بمدرج الكلام.[5] ويصدق على هذا المعنى قول دي سوسير في معرض فصله بين العلاقات التركيبية والترابطية: ((وفي الخطاب، تقيم الكلمات ضمن تعاقدها فيما بينها، علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية تلك التي تستثني إمكانية لفظ عنصرين في آن، وهذان العنصران إنما يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر ضمن السلسلة الكلامية، ويمكن تسمية الأنساق التي يكون المدى سندا لها تراكيب))[6].

سادسا: الأصل: الكلام معقود أصلا بالمركبات من القول لا المفردات، وآية ذلك أنّ الفائدة، وهي غايته ومناط وجوده، لا تنعقد بالمعاني الإفرادية، بل بالمعاني التركيبية التي يحسن السكوت عليها. فالكلام موضوع للإبانة عن الأغراض المستكنة في النفوس، ولا سبيل إليها إلاّ بالمركبات من الأقوال التي تفصح بدورها عن المعاني المركبة التي يُجنى منها محصول الفائدة.

فإذا قيل: كيف السبيل إلى جعل التركيب أصلا، وفيه عدول عن المنطق وتنكيس له؛ إذ الواحد أصل الاثنين، والمفرد أصل الجمع، والبسيط أصل المركب؟ فالجواب أن يقال لهؤلاء: قولكم صحيح إلاّ أنّ فيه نظرا؛ لجريانه على النظر العقلي الصرف الذي لا يقيم لاستعمالات اللغة وزنا. ذلك أنّ المرء لا تقوم المعاني المفردة في نفسه إلاّ بقيام وجوه النسبة بينها، فلا توجد في مخزون الذاكرة معزولا بعضها عن بعض، بل تقوم بينها علاقات ذات امتدادين: امتدادٍ أفقيّ حضوريّ يتمظهر على مستوى التركيب، وامتدادٍ رأسيّ غيابيّ يتموضع في الدماغ[1].

محصلة القول فيما مضى أنّ مصطلح التركيب تكاد تنطبق دلالاته على ما جرى عليه لفظه في استعمالات اللغة المختلفة. فأواصر القربى بين الاستعمالين ليس بها خفاء ولا دونها ستر أو حجاب، فهي مما تدركه الأبصار وتعيه الألباب.

---

[4] ينظر: محاضرات في الألسنية العامة، ص92.

[5] ينظر: مبادئ في اللسانيات العامة، أندري مارتني، ص20.

[6] المرجع نفسه، ص149.

[1] ينظر: محاضرات في الألسنية العامة، من149 إلى153.

والتركيب باختلاف أشكاله وتباين صوره من الأهمية بمكان، التفت إليه القدماء، واشتدت به عناية المحدثين، فتولّد عن الاهتمام به علم يعرف بعلم التركيبSYNTAX يعرّف عادة بأنه دراسة هيكل الجملة[2]، ومن ثمة –وتبعا لهذا التعريف– يقوم بدراسة موقعية العناصر وعددها ونوعها في الجملة، دونما التفات إلى الوظيفة؛ ذلك أنه يحصر جلّ اهتمامه في المشغل الشكلي لا الدلالي. مثلما يُعرَّف بأنه دراسة الشكل الداخلي العميق[3]، فينهض هذا التعريف مقابلا لسابقه؛ لصرفه النظر إلى العمق الدلالي للتركيب وعدم الاكتفاء ببنيته السطحية الظاهرة. فعلم التركيب –عموما– يهتم بدراسة الجمل، ويبحث في مواقع الكلمات، ويستكشف العلاقات القائمة بينها، كعلاقة التعدية أو المفعولية في التركيب الفعلي، وعلاقة الاسم بالاسم في التركيب الاسمي[4].

الإفصاح بين اللغة والاصطلاح:

1.**الإفصاح لغة**: إنه مصدر الفعل الرباعي (أفصح)، على زنة (إفعال). وزنه قياسي مطّرد سواء أكان (أفْعَلَ) منه صحيحا أم معتلا، أم مضاعفا متعديا أم لازما، نحو: أكرم إكراما، وأمسى إمساء، وأجلّ إجلالا، وأعطى إعطاء[1].

ورد لفظه دالاّ في اللغة على طيفٍ لطيفٍ من المعاني مركوزٍ فيما يلي :

- **الخلوص**: تقول العرب: أفصحت الشاة إذا خلص لبنها بانقطاع لِبَئِه[2]، وهو مأخوذ من الفصح الذي يطلق على اللبن المأخوذةِ عنه رغوتُه[3]. وشبيه به قولهم: أفصح

---

[2] ينظر: مفاتيح الألسنية، جورج مونان، ترجمة الطيب البكوش، منشورات الجديد، تونس، 1981م، ص101.

[3] ينظر: التبعية في التحليل النحوي، سعيد حسن البحيري، مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، 1988م، ص49.

[4] ينظر: في التفكير اللغوي، محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1989م، ص115.

[1] ينظر: همع الهوامع، 50/6.

[2] ينظر: الصحاح، 391/1.

الرجل إذا تكلم بالفصاحة[4]، وهي في المفردات خلوصها من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي، وفي الكلام خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد[5]. ولعلّ من تمامه قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): ((أنا أفصح العرب بيد أني من قريش))[6]، وقول موسى (عليه السلام): (وأخي هارونُ هوَ أَفْصَحُ مني لِساناً) [7] لما علم أنّ الفصاحة أبلغ في البيان.

ويجري على المعنى نفسه قول العرب: أفصحَ البولُ إذا صفا[8]، والصفاء ليس سوى الخلوص من الشوب[9]، كقولهم: استصفيت الشيء إذا استخلصته[10].

- **الإبانة:** من ذلك قولهم: أفصح عن الشيء إذا بيّنه وكشفه[11]، وأفصح الصبحُ إذا بدا ضوؤه واستبان[12].
- **الإفهام:** كأن يقال: ((أفصح الصبيُّ في منطقه إفصاحا إذا فهمت ما يقول في أوّل ما يتكلّم، وأفصح الأغتم إذا فهمت كلامه بعد غتمته))[1].
- **الخروج:** نحو: أفصح الرجل من كذا إذا خرج منه[2].
- **التكلم بالعربية:** حيث يقال: أفصح الأعجميّ إذا تكلّم بالعربية[3].

---

[3] ينظر: محيط المحيط، ص691.

[4] ينظر: لسان العرب، 544/2.

[5] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، مراجعة وتصحيح بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت-لبنان، ط1، 1408هـ-1988م، ص79.

[6] تلخيص الحبير، ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، 1384هـ-1964م، 6/4. وخلاصة البدر المنير، ابن الملقن الأنصاري، تحقيق حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1410هـ، 251/2.

[7] القصص/34.

[8] ينظر: القاموس المحيط، ص234.

[9] ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت-دمشق، ط1، 1410هـ، ص457.

[10] ينظر: لسان العرب، 463/14.

[11] ينظر: المصدر نفسه، 544/2.

[12] ينظر: الصحاح، 391/1. وينظر: تاج العروس، 155/4. وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1414،2هـ- 1993م، ص545.

[1] ينظر: لسان العرب، 544/2.

[2] ينظر: الصحاح، ص391.

[3] ينظر: المصدر نفسه.

هذا، والإفصاح بعامّـــة يجيء فعله الرباعيّ إما لازما كـــ:أفصح الصـــبح إذا أسفر، وإما متعديا بنفسه كـــ:أفصح الكلامَ، أو بتوسّل حرف الجرّ كالياء، نحـــو: أفصح به، أو عن، نحو: أفصح عنـــه[4].

الإفصـــاح في الاصطـــلاح:

من اللافت للنظر أنّ مصطلح الإفصاح لا يساق في أغلب الدراسات إلاّ مركبًّـــا على سبيل التابعية التوصيفية، فيقال: التركيب الإفصاحي، أو الإنشـــاء الإفصـــاحي، أو الأسلوب الإفصاحي، أو الجملة الإفصاحية، أو اللغة الإفصاحيـــة؛ فيكون أدعى إلى الدقة وأدنى إلى الحِقَّة رعايةُ التابعية باستحضار القرين الموصوف حين تسليط الضوء على دلالات هذا المصطلح، وتقرّي أوجه استعمالاته.

فماذا يعني مصطلح التركيب الإفصاحي في الدرس اللغويّ الحديث؟ وبم يتقـــوّم وجـــــوده؟

من البداهة بمكان أنّ اللغة الإنسانية لا تقتصر وظيفتها على إمداد الفرد بالأفكار والمعلومات، وإنما تعمل أيضا على إثارة الانفعالات[5]؛ إذ يُتَوَسَّلُ بها إلى التنفيس عمّا يختلج النفوس من ضروب الأحاسيس والمشاعر، ويُتجاوز بها إلى إشراك الآخـــرين في الحـــالات الشعورية ذاتها. من هنا كانت اللغة الإفصاحية الانفعالية تعبيرا عن النفس الإنســـانية بمـــا يعتورها من حالات الرضى والسرور والغضب والنفور والاستحسان والاشمئزاز والدهشـــة والاستغراب وغير ذلك من ضروب المشاعر والانفعالات التي ينعكس أثرها على اللغـــة في مسارات تطورها وحياتها.

فتحت وطأة الانفعال يتفوّه المرء بكلمات مَدْرَجُها لغةُ الوجدان؛ فالصرخات غير الإرادية الناشئة عن ألم قاس مفاجئ أو فرح غامر مباغت تكافئ دلاليا نظائرهـــا في لغـــة المنطق، فقولك مثلا: (OH !) معادل لجملة: إني لفي ألم شديد[1]، وقولـــك: آه المســـكين! جملة ذات قيمة انفعالية جلية، إذا صيغت في لغة المنطق الجدليـــة صـــارت (أرثـــي لهـــذا

---

[4] ينظر: لسان العرب، 544/2.

[5] ينظر: الحصيلة اللغوية وأهميتها ومصادرها ووسائل تنميتها، أحمد محمد المعتوق، سلسلة عالم المعرفة 212، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996م، ص36. وينظر: اللغة ، ج. فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، (د.ن)، (د.ت)، ص182.

[1] ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، ط2، 1992م، ص53-54.

المسكين)[2]، مع الفارق الجوهري –طبعا– بين لغة المنطق ولغة الانفعال؛ فاللغة الانفعالية ((تنفجر تلقائيا من النفس تحت تأثير انفعال شديد))[3]، وتكون خاضعة لمنطق الانفعال والدفق الشعوري عند المتكلم، وتراها في لغة الكلام تقطع أجزاء متتابعة تتناسب في العدد والشدة مع الانطباعات التي يحملها المتكلم نفسه، أو مع الحاجات التي تحمله على التأثير في السامع. أما اللغة المنطقية، فأميل ما تكون إلى الترتيب والتماسك والترابط المنطقي[4].

فالتركيب الإفصاحي –تبعا لهذا المفارقة– قوامه التعبير بواسطة اللغة عن انفعالات المتكلم ومشاعره وحالاته النفسية بنبرة انفعالية تعين على توضيح القصد ودفع التعمية التي ينجرّ عنها اغتماض الغرض.

فليس الإفصاح –إذن– انفعالا يتقصاه عالم النفس، وإنما هو تعبير لغوي عنه يتتبعه عالم اللغة، فالعواطف «لا تعني هذا الأخير إلاّ عندما يعبّر عنها بوسائل لغوية»[5].

والحقيقة أنّ الجانب الانفعالي من اللغة لم يدرسه الباحثون على اختلاف مشاربهم لذاته درسا علميا فاحصا لدقائقه راصدا لطرائقه واقفا على حقائقه إلاّ مع بداية القرن العشرين[6]، حيث صار موضوع بحوث أسلوبية تتقصى الجانب التأثيري في اللغة، تحددت معالمها من خلال جهود (بالي) BELLY رائد الدراسات الأسلوبية في مدرسة جنيف السويسرية[7].

وقد كان من آثار هذا الدرس أن التفت إليه اللغويون العرب، فاشتدت به عنايتهم، وصار مناط اهتماهمهم داخلا في أحياز مشاغلهم، فاعتُمِد أساسا في تقسيم الجملة العربية في إطارها البلاغي؛ حيث افضى –لدى بعض المعاصرين– إلى إضافة قسم آخر مستقل يدعى الجملة الإفصاحية[1]، ينهض بديلا –في عصر البدائل– عن الإنشاء غير الطلبي الذي كاد يهمله الدارسون البلاغيون القدامى ومن حذا حذوهم من المحدثين.

---

[2] ينظر: اللغة،ص183-184.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص194.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص193-194.

[5] المرجع نفسه، ص185.

[6] ينظر: المرجع نفسه، ص183.

[7] ينظر: الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1397هـ-1977م، ص36.

[1] ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص124.

ومؤدى هذا المصطلح هو: الإفصاح الذاتي عما تجيش به النفس البشرية من ضروب الانفعالات، وهو شبيه بما يسمى في اللغة الإنجليزية LANGUAGE AFFECTIVE، يحسن بعده في الكتابة أن نضع علامة التأثر (!)؛ ذلك أنّ القيمة الانفعالية تستبين بوضوح من خلاله، ففرق بين قولك:شتان زيد وعمرو، وقولك: افترق زيد وعمرو، فلا تصلح الثانية لتفسير الأولى؛ إذ لا تساويها في المعنى. ونظير ذلك وجه التخالف بين (أوّه) وبين (أتوجع)، فقولك الأول يحمل الناس على نجدتك، بينما يحملهم القول الثاني على سؤالك: ممَّ تتوجّع؟[2].

والمدقق في الأسلوب الإفصاحي يجده يعبر عن القيمة الانفعالية على وجه العموم بصورتين: إما بالإفراد، وإما بالتركيب[3]؛ فالأول أن تُشرَبَ ألفاظٌ معينة من اللغة قيمةً انفعالية، كالخوالف[4] في اللغة العربية، فإنها تعبر على انفرادها عن طبيعة الانفعال والتأثر، وهي قريبة الشبه بما يسمونه في الإنجليزية EXCLAMATION[5]. والثاني مداره التركيب أو الأسلوب، كالتعجب، والمدح والذم، والندبة ونحوها مما يعبر به عن مختلف ضروب الانفعالات والأحاسيس، وهو مدارُ البحث وعمدةُ موضوعه.

المبحث الثاني:
مدارات المصطلح بين القدامى والمحدثين

إنّ مصطلح الإفصاح –على اختلاف منعوتاته– حديث النشأة في الدراسات النحوية والبلاغية العربية؛ فلا قِبَلَ للنحويين ولا البلاغيين بلفظه من قبلُ. فأول من ساقه إلى الدرس اللغوي العربي تمام حسّان، فتردد صداه في مؤلفاته في أزيد من موضع

---

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص88-113-116.

[3] ينظر: اللغة، ص186.

[4] ينظر: البحث،ص.....

[5] ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص113.

وأكثر من مرجع، ثمّ ذاع صيته من بعدُ بين شتّى الدارسين العرب الذين لا يرضون بالتقليد الأعمى منهجا، ولا يأنسون به مسلكا، حيث طفق ينتشر في مؤلفاتهم ومصنفاتهم انتشارَ النار في الهشيم، وإنه لمصطلح قويم، لا يدفعه إلاّ النظر السقيم العقيم الذي لا يستسيغ إلاّ القديم، فلا يبغي عنه حولا، ولا يرتضي عنه بدلا.

بيد أنّ الذي يخطر بالبال فيشغله، ويستبدّ بالعقل فيرهقه تحرّي الدقة في الإجابة عمّا يلي: هل تستبين معالم هذا المصطلح الحديث، وتتحدد موضوعاته، وتنكشف على وجه الدقة مساراته ومداراته، أم أنّ به لَبْساً يستوجب دفعا ويستدعي رفعا؟ وبعبارة أخرى: هل توحدت رؤى الدارسين حول التركيب الإفصاحي –إن قديما وإن حديثا– أم اختلفت تصوراتهم وافترقت نظراتهم حول ما يدور في فلك الإفصاح من تراكيب وأساليب؟

حريّ بالذكر أنّ الجواب الدقيق منوط باقتفاء مدارات[1] هذا المصطلح في الدراسات العربية القديمة والحديثة على حدّ سواء على نحو مسوق وفق الترتيب الآتي:

أولا: عند القدامى:

إنّ الذي يدير بصره في أبعاد هذا المصطلح ولا يأسره لفظُه –بالرغم من حداثته– لا يعدم له أثرا في الموروث البلاغي العربي، فهو ينهض بديلا –مع الفارق طبعا– عن الإنشاء غير الطلبي الذي هو أحد قسمي الكلام الإنشائي، وقد التفت إليه القدامى وذكروا ضروبه، وتحرّوا أساليبه على نحو قاصر عن الإيفاء بمطالبه؛ إذ كانوا أعنَى بقسيمه الطلبي «الذي يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب»[1]، فهذا القسم البلاغي قد استنفد حظه من الدراسة والتحليل. أما ما لم يستدعِ مطلوبا غير حاصل وقت الطلب[2]، ويتحقق وجود معناه في الوقت الذي

---

[1] المقصود بالمدارات: ما يدور حوله هذا المصطلح من أساليب وتراكيب.

[1] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا–بيروت، ط2، 2000م،ص70.

[2] ينظر: معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، منشورات جامعة طرابلس كلية التربية، ط1، 1977م، 621/2. وينظر: في البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، (د.ت)، ص67.

يتحقق فيه وجود لفظه[3]، فلم تتوقف مصادر البلاغة الأولى عنده إلاّ قليلا وعلى استحياء، فلم تتجاوز في بيانه حدّ الإشارة العارضة، والومضة الخاطفة التي لا تسمن ولا تغني من جوع. ومردّ هذه المفارقة في التعامل إلى العلل التالية:

حظي أسلوب الإنشاء الطلبي باهتمام كبير في الدرس البلاغي والأسلوبي؛ «لدلالاته الثرية بالمعاني، واختزاله الفجوات التعبيرية بين الصياغة ومتلقيها، كذلك قدراته على التعامل مع تضاريس النصوص امتدادا واستيعابا للتنويعات الحساسة التي تولد الطاقة داخل الأبنية التركيبية. ومن خلال كل هذا فإنه يستطيع أن يتجاوز الدلالة التقريرية إلى فضاءات دلالية تتعدد فيها الألوان والأشكال، مما يمنح المتلقي فرصة الإبحار خارج الحدود النمطية»[4].

فقد حظيت الجملة الطلبية إذن باهتمام علماء اللغة والتفسير؛ لما فيها من تلوّن خطابي، وخروج إلى المعاني المجازية. وهذا من شأنه أن يجدد نشاط المتلقي، ويثير شعوره، ويحرّك انتباهه، فينعكس ذلك على المخاطب، فيكون به أكثر تجاوبا واستجابة لتطلعات المتكلم[5].

أما الإنشاء غير الطلبي، فلم يحفل بمباحثه البلاغيون إلاّ لماما، فأحجموا عن دراسته إحجاما؛ ووجههم في ذلك أنه ليس مما تتوارد عليه المعاني فتجعله من الأساليب الغنية ذات العطاء والتأثير، فالقسم هو القسم، والتعجب هو التعجب، ونحو ذلك أيضا[1]. وربما أخرجوه من أحياز البلاغة لقلة الفوائد البلاغية في صيغه وأساليبه[2]. يقول محمد الطاهر الحمصي في هذا الصدد: «فقد أحجم أهل المعاني عن دراسة الإنشاء غير الطلبي لقلة تصرفه في وجوه البلاغة»[3]، فهم لم يعنوا به؛ إذ لم يروا

---

[3] ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، (1)،سلسلة بلاغتنا ولغتنا ، دار الفرقان، عمان-الأردن، ط2، 1409هـ-1989م، 100/1.

[4] الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002م، ص267.

[5] ينظر: بنية الجملة الطلبية في السور المدنية، ص14.

[1] ينظر: دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة عابدين، ط2، 1987م، ص192.

[2] ينظر: البلاغة والأسلوبية، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 1999م، ص57.

[3] الجملة بين النحو والمعاني، محمد الطاهر الحمصي، (رسالة دكتوراه مخطوطة)، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1410هـ-1989م، ص218.

فيه نكتة بلاغية تستحق الذكر والاهتمام[4]، بالإضافة إلى أنّ أغلب أنواعه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء. وتحقيق ذلك أنّ التعجب مثلا في نحو: ما أحسنَ عبدَ الله! تأوله الخليل بن أحمد(ت175هـ) بمنزلة قولك: شيءٌ أحسنَ عبدَ الله، وهو تمثيل و لم يتكلم به[5]، وبهذا ينتقل معنى التعجب إلى سياق الإخبار، وإليه ذهب ابن فارس (ت395هـ) حينما قال: «والمعاني التي يحتملها لفظ الخبر كثيرة فمنها: التعجب، نحو ما أحسن زيدا...»[6]. ومثله -أيضا- القسم، فهو محمول عند النحويين على محمل الخبر، فقدّروا له في صدر جملة القسم، نحو: (والعَصْرِ إنَّ الإنسانَ لفي خُسْرٍ)[7] فعلا تقديره: أقسم، «قال الخليل: إنما تجئ بهذه الحروف [حروف القسم]؛ لأنك تضيف حَلِفَك إلى المحلوف به كما تضيف مررت به بالباء، إلاّ أنّ الفعل يجيء مضمرا في هذا الباب»[8]. ونظيره اختلافهم في شأن صيغ المدح والذم هل هي أفعال أم أسماء؟[9] وكلا التصورين يجعل منها أخبارا بالرغم من أنّ المتكلم لا يسوقها هذا المساق، فهي أساليب مقصودة لذاتها ينبغي أن تعالج على هذا الوجه. أما إخضاعها لمثل هذه التأويلات البعيدة، فمخرجها عن سلاستها، ومبعدها عن أصل وضعها.

هذا، وقد عبّر أرباب البلاغة عن دواعي إعراضهم عن تناول مباحث الإنشاء غير الطلبي بالدراسة والتحليل، فأجملوها فيما يلي:

يقول سعد الدين التفتازاني(ت791هـ): «فالإنشاء إن لم يكن طلبا كأفعال المدح والذم وصيغ العقود والقسم وربّ ونحو ذلك فلا يبحث عنها لقلة المباحث البيانية المتعلقة بها ولأنّ أكثرها في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء»[1].

وينحو أبو يعقوب المغربي المنحى نفسه، فيقول: «...فقوله (إن كان طلبا) احترز به مما إذا لم يكن طلبا فلم يُتعرض له لقلة وروده على ألسنة البلغاء»[2].

---

[4] ينظر: علم المعاني، محمود أحمد نحلة، دار العلوم العربية، بيروت-لبنان، ط1، 1990م، ص107.

[5] ينظر: الكتاب، 72/1.

[6] الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت-لبنان، ط1، 1993م، ص183.

[7] العصر/1-2.

[8] الكتاب، 497/3.

[9] ينظر: البحث،.....

[1] مختصر على تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتازاني، أحد شروح التلخيص، عيسى البابي الحلبي، مصر، (د.ت)، 236/2.

ويعلّق الأنبابي (ت1313هـ)على شرح التفتازاني بقوله: «ولم يذكر لقوله (إن كان طلبا) ماهو قسيمه؛ لأنّ المقصود بالنظر هو الطلب لكثرة مباحثه ووفور دقائقه وأصالته بخلاف قسيمه، فإنه في الأكثر أخبار وضعت موضع الإنشاء كصيغ العقود وأفعال المدح وفعلي التعجب وعسى والقسم»[3].

فهذه الدواعي –إجمالا– هي التي حملت البلاغيين العرب على عدم إيلاء العناية إلى التراكيب الإفصاحية (غير الطلبية)، فقصّروا في الوفاء بمطالبها أيما تقصير، فأضاعوا على الضاربين في أطباق البلاغة حظا من فقه أساليب العربية وأسرارها في نظم العبارة. فالسكاكي (ت626هـ)–مثلا– يفصّل القول فيما يعرف بالإنشاء الطلبي، ويعقد لكل نوع منه بابا، لكنه يضرب صفحا من القول عن ذكر نظيره، وآية ذلك قوله: «والسابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان: الخبر والطلب المنحصر بحكم الاستقراء في الأبواب الخمسة التي يأتيك ذكرها. وما سوى ذلك هو نتائج امتناع إجراء الكلام على الأصل»[4].

ويذهب الخطيب القزويني (ت 739هـ) مذهبه، فلا يلتفت البتة إلى الأساليب غير الطلبية. فقد جاء في (تلخيصه): «الإنشاء إن كان طلبا استدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وأنواعه كثيرة»[1] عدّ منها التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء ولا مزيد. بينما ميّز في (إيضاحه) بين قسمي الإنشاء، ثم أفرد الحديث عن القسم الأول منه وأعرض عن الثاني، يقول: «الإنشاء ضربان: طلب وغير طلب، والطلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل، وهو المقصود بالنظر هاهنا»[2].

---

[2] مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، أبو يعقوب المغربي، أحد شروح التلخيص، عيسى البابي، مصر، (د.ت)، 237/2.

[3] تقرير على شرح سعد الدين التفتازاني لتلخيص المفتاح وحاشيته الشهيرة بالتحريد في علم المعاني والبيان والبديع، الأنبابي، مطبعة السعادة، مصر، 1331هـ، ص100.

[4] مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1420هـ–2000م، ص251.

[1] التلخيص في علوم البلاغة، القزويني، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، (د.ت)، ص151.

[2] الإيضاح في علوم البلاغة، ص130.

وقد جرت شروح التلخيص على الطريقة نفسها، فلم تُعِر الأساليب الخطابية غير الطلبية اهتماما، و لم تلق إليها بالا، إلاّ على نحو نزر يسير لا يتجاوز حدّ الإشارة العارضة التي ليس في طوقها الوفاءُ بمطالبها، ولا تحقيقُ أغراضها. فالتفتازاني يكاد لا يلتفت إليها، فيسوق الحديث عنها بلمحة خاطفة غيرِ واصفة، وقد أغنى القول عن إعادتها[3].

كذلك فعل أبو يعقوب المغربي والأنبابي؛ إذ صرفا حرصهما إلى تقرّي الألوان الخطابية الطلبية لا غير. أما نظائرها ذات المرجعية الانفعالية، فلا تكاد تختلف عباراتهما بشأنها عمّا ذكره التفتازاني إلاّ قليلا لعدم اختلاف الاعتبارات، إلاّ من جهة عدم جعلهما مطلق أفعال المقاربة للإنشاء. يقول الأول في هذا الصدد: ((...وذلك كبعض أفعال المقاربة كعسى واخلولق وحرى...))[4]، وهذه البعضية قيد لإخراج كاد وطفق ونحوهما من أفعال المقاربة، فليس مجراهما الأساليبُ الخطابيةُ غيرُ الطلبية. وينصّ الثاني على المعنى ذاته مع قليل من التفصيل والتعليل معارضا ما مضى عليه التفتازاني من قبل في هذه المسألة بقوله: ((وأما جعل مطلق أفعال المقاربة للإنشاء –كما ذكر الشارح– فلا يصحّ، إذ كاد زيد يخرج يحتمل الصدق والكذب، وكذا طفق زيد يخرج...))[5]. فكلاهما يسلك مسلكَ السعد في عدم الاكتراث بما لا يستدعي مطلوبه من الأساليب الإنشائية.

ونظيرهما في الصنيع بهاء الدين السبكي في (عروس الأفراح)[6]، ومحمد بن محمد بن عرفة الدسوقي(ت1230هـ) في (حاشيته)[7]، ومحمد الكرمي في (الوشاح)[8]؛ فهؤلاء الشرّاح لا يقيمون لهذا القسم الأسلوبي وزنا إلاّ على نحو ضيق محدود لا يسعف برسم صورة دقيقة له.

---

[3] ينظر: البحث.....

[4] مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، 237/2.

[5] تقرير على شرح سعد الدين التفتازاني لتلخيص المفتاح، ص100.

[6] ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، أحد شروح التلخيص، عيسى البابي الحلبي، مصر، (د.ت)، 236/2.

[7] ينظر: حاشية على شرح السعد، محمد بن محمد بن عرفة الدسوقي، على هامش شروح التلخيص، عيسى البابي الحلبي، مصر، (د.ت)، 236/2.

[8] ينظر: الوشاح على الشرح المختصر لتلخيص المفتاح، محمد الكرمي، المطبعة العلمية، قم، 1201هـ، 318/1.

أما عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، فلم يذكر من مسائل الإنشاء إلاّ حديث الاستفهام في باب معقود للتقديم[1].

فأولاء جميعا كأنما خطّوا لأنفسهم طريقا أهملوا فيه دراسة الإنشاء غير الطلبي، فما استطاعوا أن يفارقوه؛ ومن آياته تسميتهم له بغير الطلبي، فهي تسمية بالسلب تريك مدى ضعف العناية به، وقلّة الاكتراث له، فهو لا يعرف إلاّ بضده، ولا ينماز بغير ندّه. فكان أولى منه أن يستعاض بمصطلح ينهض لفظه على الانطباق على معناه بصورة دقيقة. أما التحديد والتعريف بواسطة السلب أو الدلالة الصفرية العدمية، فمسلك اضطراري لا اختياري، الخير في تركه ما لم يكن هنالك داع إليه.

هذا، وفي الحقيقة إنّ الباحثين البلاغيين لا تكاد تختلف عباراتهم لعدم اختلاف اعتباراتهم بخصوص هذه الأساليب، فيمكن حصر مباحثها من خلال استقصاء النظر في مقولاتهم في المدارات التالية التي يتجاذبها تيارا المدّ والجزر على نحو محدود، ويختزل أغلبها قول محمد الكرمي: «فالإنشاء إن لم يكن طلبا كأفعال المقاربة من عسى وكاد وحرى واخلولق وأوشك وكرب وجعل وأخذ وخلق وأنشأ وسائر أفعال الشروع، وأفعال المدح والذم كنعم وبئس وساء وحبذا وغير ذلك، وصيغ العقود المستعملة في البيوع والرهون والإجارات والأنكحة وغير ذلك، والقسم كوالله لأفعلنّ، وربَّ نحو ربَّ من يسعدني بك، ونحو ذلك كأحبب بزيد وأكرم به، فإنّ ظاهره الإنشاء وليس طلبا»[2]. فقد أتى هذا القول على أغلب ضروب الخطاب غير الطلبي، فأحصاها عددا، ولم يُغفل سوى الترجي وكم الخبرية.

تحقيق القول فيما سبق أنّه ليس بين طيات تآليف القدامى ما سبيله أن يوحي بأنهم عرفوا التركيب الإفصاحي بوصفه مصطلحا قائما بذاته، وإنما عرفوا موضوعه معرفة سطحية لاغورَ ولا غوصَ فيها من خلال وجهه التقليدي السلبي (الإنشاء غير الطلبي). كما أدركوا القيمة الانفعالية في بعض تراكيبه، كالتعجب الذي سيق على

---

[1] ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط1، 1994م، ص من: 88 إلى 94.

[2] الوشاح على الشرح المختصر لتلخيص المفتاح، 318/1.

سبيل «استعظام فعلِ فاعلٍ ظاهرِ المزيّة»[1]، وكالندبة التي يسوقها أبو البقاء بن الحسين بن عبد الله(ت616هـ) على أنها من «ندبته أي حثثته فكأنّ النادب يحثه حزنُه على الندبة أو يحثُّ السامع على الحزن على المندوب»[2].

مع هذه الالتفاتات التي تواجه القارئ بين الفينة والأخرى تظلّ التراكيب الإفصاحية أحوج ما تكون إلى أن تفرد بالعناية والدراسة لما تختزنه من طاقات تعبيرية تكافئ طاقات الإنسان الانفعالية. فقد آن للدرس الحديث أن يلتفت إلى ضروب القول جميعها على اختلاف وظائفها ولا يستثني منها أحدا. فهل تحقّق ذلك؟ وكيف؟

ثانيا: عند المحدثين:

إذا كان القدامى لم يهتدوا سبيلا إلى درس القيّم الانفعالية في التراكيب الإفصاحية بعامة لاحتكام دراساتهم في الأغلب الأعمّ إلى المنطق والفلسفة..وإذا كانت دراستهم لهذا الجانب اللغوي تفتقر إلى التحليل العميق، وتفتقد شرائط البحث الدقيق، فقد بات من الضرورة بمكان أن يتفتح الباحثون المحدثون على المناهج الغربية للاطلاع عليها والإفادة منها في سبيل تمحيص مفهوم الخطاب وتحديد أنماطه التركيبية؛ تبعا لما تحققه من أغراض، وتلتبس به من وظائف دون الاجتراء على إقصاء أيّة وظيفة لغوية مهما كان شكلها، بما في ذلك الوظيفة التعبيرية الانفعالية المنعقدة –أساسا– بذات المرسِل، والتي تستقلّ بالعناية في الدراسات الحديثة؛ وآية ذلك قيامها طرفا متميّزا في باب وظائف الخطاب. فهي تحتلّ الصدارة في خطاطة الوظائف اللغوية الستّ لـ(رومان ياكبسون)ROMAN JAKOBSON بشكل مطابق لعناصر خطاطة التواصل اللفظي على نحو ما يبيّنه التوزيع التالي[3]:

- **خطاطة الوظائف:** مرجعية

انفعالية شعرية إفهامية

---

[1] شرح ألفية ابن مالك، الأشموني، 262/2.

[2] اللباب في علل البناء والإعراب، ص342.

[3] ينظر: قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء–المغرب، (د.ت)، ص27–33.

انتباهيـــة

ميتا لسانية

- **خطاطة التواصل اللفظي:** سيـــــاق

مُرْسِـــــلٌ.....رســـالـــة.....مرسَلٌ إليه

اتّصـــــال

سَنَـــــن

كذلك تتخذ الوظيفة الانفعالية المقام الثاني في الثـــالوث الـــوظيفي لأنـــدري مارتنيه؛ فاللغة موضوعة عنده لتأدية وظائف ثلاث هي علـــى الترتيـــب: التبليـــغ والتعبير والجمال[1].

وهي أيضا تنهض طرفا مكافئا عند من يقصر اللغة على أداء وظيفـــتين. فقـــد ذهب (استيفن أولمان) إلى حصر وظائف اللغة في جانبين[2]: أولهما: أن تكون أداة للتعبير عن الحقائق والقضايا الموضوعية التي تهدف إلى مجرد نقل الأفكار وتوصيلها. وثانيهما:أن تعبر عن العواطف والانفعالات، وتكون وسيلة لإثارة المشاعر والتـــأثير في السلوك الإنســـاني.

ويبدو أنّ من الدارسين من حدّد هاتين الوظيفتين بالتعامل والتفاعل؛ أما النظرة التعاملية، فتلك التي تتعلّق بالخطاب في سبيل نقل المعلومـــات المتعلقـــة بالوقـــائع والأقوال، وتتمثل في التعبير عن المضامين. وأما النظرة التفاعلية، فتتمثّل في التعـــبير عن العلاقات الاجتماعية والمواقف الشخصيـــة[3].

وطبقا لهاتين الوظيفتين المحوريتين تقسّم الجملة إلى قسمين رئيســـين: منطقيـــة وانفعاليـــة[4].

---

[1] ينظر: مبادئ في اللسانيات العامة، ص14-15.

[2] ينظر: دور الكلمة في اللغة، ص111.

[3] ينظر: تحليل الخطاب، ج . ب. براون وج. يول، ترجمة محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض-المملكة العربية السعودية، 1418هـ-1997م، ص من1 إلى 4.

[4] ينظر: اللغـــة، ص184.

وسبيل هذا أن يظهر بجلاء مدى اشتداد عناية البـــاحثين الغـــربيين بضـــروب الأقوال جميعِها على اختلاف وظائفها، وتعدد أغراضها، وتباين أشكالها. فلم يبقوا أُسارى للجانب المنطقي من اللغة، وإنما تحرّروا من قيده بشكل لا خفاءَ به، فكانوا بهذا أقدر على تفتيق طاقات القول واستكناه أسرار العبارة. فما فتئـــوا ينشـــغلون باللغة الانفعالية، ويولونها العناية، ويلتفّون حول دراستها ممحّصين لها ومتفحصين، فأثمر درسُهم في هذا المنحى ثمراتٍ طيّبةً قطوفُها دانية.

وقد أخذ لفيف من الباحثين المحدثين العرب ممّن استفرغوا الجهـــد في ســـبيل دراسة اللسان العربي ورصد طاقاته التعبيرية بهذه المنطلقات النظرية اللسانية، فطفقوا يولون بالتدريج اهتماما للجانب الانفعالي، ويخصّون تراكيبه بالدراسة علـــى نحـــو أعمق ممّا كان يألفه أسلافهم قبلُ.

أمّا من رضي منهم بالتقليد مسلكا، واطمأنّ به، فلم يفارق منهج الأقدمين في نظرتهم إلى اللغة وتحليل تراكيبها، و لم يخرج عن مصطلحيتهم بشأن ذلك كلِّه، فظلّ أسيرا للماضي بمنهجه الاجتراري، يقتفي آثار أسلافه في عدم الحرص على فحـــص العنصر الانفعالي، أو دراسة الإنشاء غير الطلبي دراسة مخصوصة لذاتها بمصـــطلحية مناسبة كفيلة بتجلية القصد، ودفع التعمية، وتمييز هذا الضرب من الخطـــاب عـــن غيره.

فمحصول النظر أنّ الباحثين المحدثين من العرب سلكوا مسلكين في تعاملهم مع اللغة الانفعالية، وفحص تراكيبها المُفْصِحَةِ عن ذلك، وبيانهما فيمايلـــي:

1.المسلك التجديـــدي:

مضى القول أنّ تمام حسان يعدّ بحقّ أوّل الباحثين العرب اســـتعمالا لمصـــطلح الإفصاح، وإدراكا لوظيفته التأثرية الانفعالية. وقد صدر في ذلك كلِّه عـــن التـــأثر بالمناهج اللسانية الغربية التي أضحت أرعى ما تكون للقيّم الانفعالية من الخطـــاب. فهو تبعا لذلك يحصر وظيفة اللغة في التعامل والإفصاح. ومؤدّى التعامل: استخدام اللغة بقصد التأثير في البيئة الطبيعية أو الاجتماعية المحيطة بالفرد، ومُفاد الإفصـــاح:

استعمال اللغة بقصد التعبير عن موقف نفسي ذاتي دونما التأثير في البيئة، ولا يتحتّم في هذه الحالة أن يكون عنصر الإسماع مقصـــودا[1].

وهكذا بدأ التركيز على المعنى الدلالي للجملة؛ أي: على المعنى المنطوق أوّلا[2]. وترتّب على هذه الأولوية أن آثر هذا الباحـــث أن يطلـــق مصـــطلح التركيـــب الإفصاحي على ما كان يعرف عند القدامى بالإنشاء غير الطلبي، ووجهه في ذلـــك أنّ معظم الأساليب الإنشائية غير الطلبية أساليب إفصاحية تســـتقلّ بخصوصـــياتها، وتنفرد بعلاماتها سواء من حيث الصيغة أم الترتيب أم الوظيفة. فأغلـــب وســـائل التعبير الإفصاحي يجري ضمن قسم الخوالف، وهو قسم مستقلّ بذاته من أقســـام الكلم العربي[3]، مثلما تُساق أكثر تراكيبه في أحايين غالبة على تراتيـــب محفوظـــة كأنها تعابير مسكوكة تجري مجرى الأمثال، تستخدم للتنفيس عما في النفوس مـــن دفقات الشعور من حبّ وسرور، أو بغض ونفور[4].

من خلال هذا المنظور يسوق تمام حسان الجملة الإنشائية وفـــق تقســـيم ذي أركان ثلاثة[5]: طلبيّ، وشَرْطيّ، وإفصاحيّ. تحت كلّ قسم منها تفريعات على نحو ما تظهره الخطاطة التالية[6]:

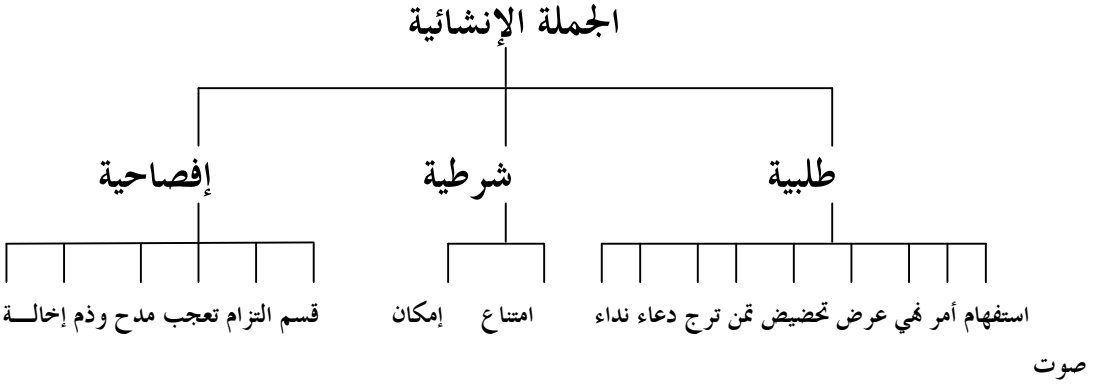

---

(1) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص363.

(2) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان،عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1421هـ-2001،ص123.

(3) ينظر: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، مكتبة الخانجي، القـاهرة، 1397هـ-1977م، ص251.

(4) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص114-115. وينظر: الخلاصة النحوية،تمام حسان، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2000 م، ص148.

(5) وقد عدّل تقسيمه في (خلاصته النحوية، ص137) بإخراج الجملة الشرطية، وجعلها مستقلة عن الخبر والإنشاء.

(6) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص244.

وسبيل هذه الخطاطة أن تظهر على جهة الخصوص أن تمام حسان يحدّد مـــدار الجملة الإفصاحية بموضوعات ستة هي: القسم، والالتزام (صيغ العقود)، والتعجب، والمدح والذم، والإخالة (أسماء الأفعال)، والصوت (أسماء الأصوات).

وتحديد مدار موضوعات الجملة الإفصاحية بهذه الكيفية لا يخلو –على أهميته– من المآخذ، ولا يبرأ من المزالق، إذ تقوم بصدده طائفة من الملاحظات من شأنها أن تحصره في مساحة أضيق مما هي عليه بإخراج ما ليس منه، وإدخال ما هـــو مـــن صميم موضوعاته، وإجمالها فيما يلي:

الملاحظة الأولى: يتضح اضطراب تمام حسان في مسلكه هذا من خلال إعراضه في الخطاطة السابقة عن إلحاق بعض التراكيب بها كالندبة، والاستغاثة من النداء، وقد نصّ على لحوقها بالأسلوب الإفصاحي على المستوى النحوي في موضع متقدم من مؤلَّفه حيث قال: «...فهي جميعا تستعمل في الأســـلوب الإفصـــاحي الإنشـــائي التأثري الانفعالي الذي يسمونه AFFECTIVE LANGUAGE وتلك هـــي الإخالـــة والصوت والتعجب والمدح والذم، وربما ألحقنا به على المستوى النحوي لا الصرفي أساليب أخرى كالندبة والاستغاثة من النداء»[1]. والغريب أنه يضم في موضع آخر أساليب أخرى كالتحذير والإغراء، حيث قال: «ولربما كان من المستحسن أن يُضمّ إلى هذه الأساليب الإفصاحية الندبة والاستغاثة والتحذير والإغراء، ولكن ضم هذه الأساليب إلى ما ذكرنا لا يتم على المستوى الصرفي لإن هذه الأساليب الأخـــيرة لا يعبّر عنها بالخوالف فلها مثل الإفصاح المذكور لكن على مستوى النحو لا مستوى الصرف»[2]. فعجيب إغفاله هذه التراكيب النحوية المتقدمة، وهو في سبيل تقصي تفريعات الجملة الإفصاحية، ولاسيما أنّ الجملة ينظر إليها من خـــلال المســـتوى النحوي لا الصرفي!. فما هذه إلاّ عثرة من عثرات الباحث كان الأولى تجنبها حرصا على انسجام الموضوع واتساقـــه.

---

[1] المرجع السابق، ص88-89.

[2] المرجع نفسه، ص117.

الملاحظة الثانية: جميع الموضوعات التي ساقها الباحث في سبيل تحديد مدار الجملة الإفصاحية كان الأولى أن تنعقد على أساس منضبط من العلاقة التركيبية التي تقوى على أداء الغرض وبيان القصد، إلاّ أنّ قبيلا من الأقسام المعروضة هاهنا لا ينهض على هذا الأساس البتة، إما لافتقاره إلى العلاقات التركيبية السياقية، وإما لافتقاده عنصر الإفادة، وتفصيل ذلك فيما يلي:

1.خالفة الصوت: ليس في طوقها أن تقوم على أساس من التركيب الجملي، فقصاراها أنها صيغ لا عاملة ولا معمولة أشربت معنى الإفصاح على المستوى الصرفي لا النحوي؛ لذلك لا تقوى أن تشكّل جملا إفصاحية، وإنما منتهاها أن تشكل صيغا إفصاحية، فاللغة الانفعالية –وقد تقدم– تلتبس بمعنى الانفعالية من جهتي: المفردات وترتيب عناصر التركيب[1]، وخوالف الأصوات تلتبس به من الجهة الأولى لا الثانية، فلا يكون دقيقا ولا حصيفا إجراؤها في نطاق الجمل. ونظيرها ما وُضع لزجر ما لا يعقل كـ: هلا لزجر الخيل عن البطء، أو دعاء ما لايعقل كـ: أوْ لدعاء الفرس، أو حكاية صوت الحيوان كـ: غاقِ، أو حكاية اصطكاك الأجرام كـ: طاقِ لحكاية صوت الضرب. ونظيرها أيضا بعض الخوالف الصوتية المركبة تركيبا مزجيا كـ: قاشِ ماشِ حكاية لصوت القماش[2].

2.أسلوب الالتزام: ويراد به صيغ العقود الجارية في الإجارات والأنكحة ونحوها كبعتكه، واشتريته، وزوجتكها[3]. وهي معدودة عند القدامى ضمن أساليب الإنشاء غير الطلبي لخروجها عن احتمال التصديق أو التكذيب من جهة، وفقدانها الدلالة على الطلب من جهة أخرى، إلاّ أنّ إجراءها هذا المجرى فيه عدول عن الصواب ومفارقة له. فقصاراها أنها صيّغ خبرية منقولة إلى الإنشاء من طريق المجاز لا غير[4]، فالأجدى الحفاظ على خبريتها حين دراستها درسا فاحصا؛ لأنّ الإنشائية لا تلابس صيغها على سبيل الحقيقة، وإنما تلابسها باعتبار ما سيكون من خلال استحضار ما يحيط بالسياق

---

[1] ينظر: اللغة، ، ص186.

[2] ينظر: همع الهوامع، 128/5.

[3] ينظر: البيان في روائع القرآن،ص57.

[4] ينظر: الجملة بين النحو والمعاني، محمد الطاهر الحمصي، ص218.

اللغوي من ظروف وأحوال على سبيل التجوّز في القول والعبارة. فليس بعد هذا ما يدعو إلى عدّها أسلوبا إفصاحيا تأثريّا، لاسيما إذا عُلم خفاءُ العنصر الانفعالي بها؛ إذ العقود بعامة من إملاءات العقول. فمن الشطط حملُها كرها على ما يختلج في الصدور من ضروب الأحاسيس والشعور. فإخراج هذه الصيغ من حيّز الجملة الإفصاحية أحرى بالالتزام من إمضاء مفردات أسلوب الالتزام ضمن هذا الباب.

3.أسلوب القسم: حمل هذا القِسْم الأسلوبي على محمل الإنشاء غير الطلبي محمل قويم لاشيةَ فيه مبني على أساس سليم لا يُدفع ولا يدمغ، أجمع الدارسون على الأخذ به قديما وحديثا. بيد أنّ سوقه إلى باب الجملة فيه نظر، كما أنّ إشرابه القيمة الانفعالية لا يقبل إلاّ على حذر؛ ذلك أنّ القسم لا يعدو أن يكون مؤكدا من مؤكدات الخبر والإنشاء[1]، ولا يمكن على أية حال إنزاله منزلة الجملة التي هي بحاجة إلى جواب إلاّ على سبيل التمحّل في التقدير، والعسف في التأويل؛ مما من شأنه أن يخرجه من طبيعته الإنشائية إلى طبيعة خبرية هو منها براء. فقولك مثلا: واللهِ إنّ محمدا لرسول، جملة واحدة لا تقطّع قطعتين، ولا تفترق إلى شقين، أصلُها: محمدٌ رسولٌ، وما دخل عليها لا يزيد عن كونه عناصر توكيد لا تستقلّ بذاتها[2]. وقد سبق ابن جني إلى درك معنى التوكيد الذي يجتلبه القَسَم حين قال: «اعلم أنّ القسم ضرب من الخبر يذكر ليؤكد به خبر آخر»[3]، وسبقه إليه الخليل بن أحمد حينما قال: «وإنما تجيء بهذه الحروف؛ لأنك تضيف حَلِفَك إلى المحلوف به كما تضيف مررت به بالباء، إلاّ أنّ الفعل يجيء مضمرا في هذا الباب والحَلِف توكيد»[4]. أما المضي إلى تقدير فعل مضمر عاملٍ لا يجوز إظهاره في بعض الأحيان مفسَّرٍ بـ: أقسم، فمسلك في غاية الفساد، لا يدعو إليه إلاّ محاولة طرد أحكام النحاة الشكلية في جميع منطوقات اللغة العربية حتى ولو كانت تتأبّاها وظيفيا. فلا يستقيم لدى هؤلاء قيام الجارّ والمجرور مثلا –وعليه أغلب صور

---

[1] ينظر: علم المعاني، ص7.

[2] ينظر: (المنهج الوظيفي العربي الجديد لتجديد النحو العربي)، عبد الجبّار توامة، أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة من23-24 أبريل 2001، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001م، ص287-288.

[3] اللمع، ص241.

[4] الكتاب، 497/3.

القسم- مستقلاّ عن غيره بلا تعلّق بالفعل، ومثل هذا السلوك منافٍ تماما لمنطق اللغة، وقد لا يتنافى مع لغة المنطق، وشتّان ما بين المعنيين!.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى ليس يتضح على جهة القطع مدى امتصاص أسلوب القَسَم للمعاني الانفعالية، وإنْبائِه عن وظيفة الإفصاح، وإلاّ لتأتى إشراب هذه القيمة لكلّ عنصر توكيدي مهما كان شكله كنوني التوكيد، وإنّ، ولام الابتداء، واللام المزحلقة، والمفعول المطلق، والتوكيد بالتكرار أو بالقصر أوببعض الألفاظ كالنفس والعين ونحوهما.

فالأولى إخراج القسم من باب الجملة الإفصاحية لعدم انطباق معنيي: الجملة والإفصاح عليه. فليس بجملة؛ لأنه لا يستقل بمعناه، فليس لك أن تقول: والله أو بالله أو تالله وتسكت، بل لا مناصَ من أن تُردِف العبارة بجملة إسنادية تَتِمَّةً للحديث، واستكمالا للغرض. فهو لا يعدو أن يكون مركبا غير تام يُجاء به في سبيل توكيد الخبر، وهو في هذا يجري مجرى الصيغ المسكوكة التي لا داعيَ إلى التمحل في توجيهها الإعرابي على أنّ جارّها ومجرورها متعلقان بفعل محذوف تقديره: أقسم.

فلا وجه إذن لإدراج أسلوب القسم ضمن أطُر الجملة الإفصاحية، فإخراجه أحقّ من إدراجه، وهو ما يتبنّاه الموضوع قيد البحث؛ نظرا لاقتصاره على تقصي أشكال مخصوصة من التركيب، لا التراكيب كلها كيفما كان وجهُها. فلفظة (بناء) التي تحتل موقع الصدارة من عنوان البحث أدلّ على القصد، وأدعى إلى الحصر. فحسبها أنها تقصر التركيب المدروس على التامّ منه لا غير؛ إذ الجملة تقوم على علاقات تراكمية، يبنى بعضها على بعض خلافا للمركبات غير التامّة القائمة على تجاورية عناصرها بامتدادها خطيا لا غير.

الملاحظة الثالثة: استلحاق بعض الأساليب النحوية كالندبة، والاستغاثة، والتحذير، والإغراء بالجملة الإفصاحية استلحاقٌ فيه نظر؛ فمنه ما يقبل، ومنه ما يردّ، وإليك بيانه:

1.أسلوب الندبة: أسلوب إفصاحي خالص حقيق بالباحثين إلحاقُه بتراكيب الجملة الإفصاحية الانفعالية، وينهض على أساس علاقة غير إسنادية شأنه في ذلك شأن

النداء[1]، إلاّ أنه ليس منه إلاّ في الصورة الظاهرة، ولا غرابةَ في الأمر تبعا لمبدأ تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد.

فالتركيب الواحد تختلف معانيه باختلاف سياقاته الاجتماعية من ظروف وأحوال تحيط بعملية التواصل اللغوي. فالأولى ألاّ ينخدع الباحثون بالشراكة الشكلية القائمة على أساس من التناظر في المباني المفردة أو المركبة، وأن يلتفتوا إلى الشراكة الوظيفية، فيجعلوها أساسا في نسبة بعض التراكيب إلى بعض.

2.أسلوب الاستغاثة: حدّ جلال الدين السيوطي (ت911هـ) الاستغاثة بقوله: «والاستغاثة دعاء المستغيثِ المستغاثَ»[2]، وما الدعاء في حقيقته إلاّ طلب ذو مجرى تصاعديّ، وما السين والتاء إلاّ دليل عليه. فكيف يصحّ في الأذهان بعد هذا إخراجه من حيّز الجملة الطلبية وإدراجه ضمن أساليب الجملة الإفصاحية؟! فالوظيفة الطلبية هي التي تلابسه في المقام الأول وعلى نحو أوضح لا غبارَ عليه، أما الوظيفة الإفصاحية التي ترتدّ إلى انفعالات المستغيث أو هيجانه جرّاء الخوف والفزع، فتأتي في المقام الثاني لا في المترلة الأولى، وهي تلبس به من جهة تقاطع هذه الوظيفة مع جميع أشكال الخطاب، ولكن بدرجات متفاوتة. يقول (فاندريس) في شأن ذلك: «لا تكاد توجد جملة، مهما كان حظها من الابتذال، لا تخالطها عناصر انفعالية. فإذا قلت: (بيير يضرب بول) بدا عليّ أني أعبّر بكلّ بساطة عن علاقة بين شخصين يجمع بينهما حدث الضرب. وهذا على الأقل ما يزوّدني به التحليل المنطقي المزعوم. ولكن الواقع أنّ مثل هذه الجملة لا يمكن مطلقا أن تكون عبارة منطقية عن علاقة ما؛ إذ إني أضيف إليها دائما ألوانا انفعالية»[3].

إذا كان الأمر كذلك، فسبيله ألاّ يدعَ مجالا لإخراج أسلوب الاستغاثة من سياقات الجملة الطلبية مع ما يختزنه من قيمة انفعالية مصاحبة لا أصلية.

---

[1] ذلك أنّ الجملة العربية قد تكون إسنادية، وهو الجانب الغالب على تراكيبها، وقد تكون غير إسنادية في مواضع محدودة على ما ذهب إليه عبد الرحمن أيوب (ينظر: البحث،ص....)، وهو مذهب قويّ يترجح ينأى بالباحثين عن مختلف ضروب التأويل والتقدير الصناعيين التي تذهب بروعة الأسلوب، وتنحرف بوظيفة الخطاب؛ فقولك: يامحمد أسلوب إنشائي إذا ما قدّرت له فعلا مضمرا قوامه (أدعو أو أنادي) صيّرته أسلوبا خبريا ليس به طلب البتة. فشتّان ما بين الأسلوبين من مفارقة دلالية.

[2] همع الهوامع، 71/3.

[3] اللغة، ص184.

3.أسلوب التحذير: وهو «إلزام المخاطَب الاحتراز من مكروه بـ (إيّا) أو ما جرى مجراه»[1]، نحو قوله تعالى: (ناقَةَ اللهِ وسُقْياها)[2]استغناء بذكر المحذَّر منه عن ذكر المحذِّر. وليس بخفيّ اكتناز هذا الأسلوب بالدلالة الطلبية، وما يتراءى فيها من عنصر انفعالي فيتموضع في المقام الثاني، ولا مسوّغ لإفراده بالعناية وحمل التركيب اللغوي عليه، فشأنه في ذلك كشأن أسلوب الاستغاثة.

4.أسلوب الإغراء: وهو «إلزام المخاطَب العكوف على ما يُحمَدُ عليه»[3]، كقول الشاعر العربي[4]:

أخاكَ أخاكَ إنّ من لا أخا لـه***كَساعٍ إلى الهَيْجا بغيرِ سِلاحِ

ومؤدّى هذا التعريف الانبناء على الدلالة الطلبية والإنباء بها، وهو في ذلك نظير أسلوب التحذير يجري مجراه، ويُساق مَساقَه، ويأخذ حكمه، وقد أغنى القول عن إعادته .

تحقيق القول فيما سبق أنّ الندبة حقيق استلحاقها بتراكيب الجملة الإفصاحية بجامع من الوظيفة الانفعالية، على خلاف الأساليب الأخرى التي لا يدعو إلى استلحاقها بها داع وظيفي قوي يطغى على القول لينحرف به عن مجراه. ولعلّ هذا ما حدا بتمام حسّان أن يغيّر من خطاطته تلك بعض الشيء في كتابه (الخلاصة النحوية)[5]، ويعدلها بعض التعديل بإدخال الندبة وإخراج أساليب الاستغاثة، والتحذير، والإغراء من مدار الإنشاء الإفصاحي.

فمن الواضح جدا بعد هذه الملاحظات النقدية أن تمام حسان لا يَقَرُّ مصطلح التركيب الإفصاحي عنده على مدار واحد تسبح في فلكه موضوعات محددة، فهو لا يلبث أن يغيّر رأيه من كتاب إلى آخر، وهو موقف سليم من الوجهة المنهجية ينشأ من تعميق النظر في الموضوع قيد الدرس، إلاّ أنّ اختلافه بين ثنايا المؤلَّف الواحد يعدّ

---

(1) همع الهوامع، 24/3.

(2) الشمس/13.

(3) همع الهوامع، 27/3.

(4) ديوان مسكين الدارمي، تحقيق خليل إبراهيم العطية وعبد الله الجبوري، بغداد، (د.ت)، ص29.

(5) ينظر: ص13. بيد أنه يغفل في ص137 عن ذكر الندبة في مخططه، مع أنه يوردها في ص148 ضمن قسم الإفصاحيات.

اضطرابا في المنهج وقصورا في البيان، قد ينجرّ عنه سوء فهم القارئ للمعنى المراد، وهو منتهى الفســـاد.

هذا، وقد اقتفى بعض الدارسين المحدثين آثار تمام، فأخذوا بمصطلح الإفصاح، ووظّفوه في دراساتهم مع فارق النظر في تحديد موضوعاته وحصر مداراته بين موسِّـــع ومضيِّق على نحو ما يلي:

فعبد القادرمرعي خليل يوسّع دائرة الإفصاحيات إلى أبعد حدّ، ويفـــتح بابهـــا على مصراعيه؛ لتشمل كلا من: النداء، والاستغاثة، والندبة، والتحـــذير، والإغـــراء، والتعجب، والمدح والذم، والاختصاص، والقسم، وأسماء الأفعال، وأسماء الأصوات؛ إذ يمكن درج هذه التراكيب جميعا تحت ما يسمّى الجملةَ الإفصاحيةَ[1]. وهذه التوســـعة من شأنها أن تتجاوز الحدود التي رسمها تمام حسّان لهذا المصطلح في (اللغـــة العربيـــة معناها ومبناها)، لتطبقَ إحكامَها على أسلوبي النداء والاختصاص.

وليس ببعيد عنه ما سلكته سناء حميد البياتي في سبيل تمحيصها اللغة الانفعالية، حيث قامت بتصنيف الأسلوب الإفصاحي في طريقة تعبيره عن المواقف الانفعاليـــة إلى صنفين[2]:

1.الأسلوب الإفصاحي المعبّر عن المعنى بلفظة واحدة، نحو: (كخْ) لزجـــر الطفـــل، و(أف) للتعبير عن الضجر. ففي مثل هذه المواقف تستخدم اللغة بمفردها للإفصاح عن المعنى الانفعالي.

2.الأسلوب الإفصاحي المعبّر عن المعنى بمركّب ثابت لا يتغيّر ولا يخضـــع في أغلـــب الحالات للتحليل المنطقـــيّ.

وقد ساقت الباحثة أقسام التركيب الإفصاحي في مدار خماســـي لا يتخطّـــى التراكيب التالية: النداء، والاستغاثة، والندبة، وأسلوب التعجب، وأســـلوب المـــدح والذم[1]. وهي بهذا التحديد تشترك مع مرعي خليل في اســـتلحاق النـــداء ببـــاب

---

[1] ينظر: أساليب الجملة الإفصاحية في النحو العربي (دراسة تطبيقية في ديوان الشابي)، مؤسسة وام للتكنولوجيا والكمبيوتر، عمّان، ص55-75.

[2] ينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، سناء حميد البياتي، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2003م، ص433-434.

[1] ينظر: المرجع السابق، ص434.

الأساليب الإفصاحية. وإنه لاستلحاق هشٌّ لاوجاهةَ له لا يخلو من العسْفِ والعَنَـــت، يؤنسك بتركه جهات النظر التالية:

إنّ الذين أشربوا النداء القيمة التأثرية الانفعالية يعتلّون لذلك مـــن جهـــة «أنّ النداء عنصر تحويلي يدخل على الجملة الخبرية أو الطلبية ليحوّلها من دلالتها الإخبارية أو الطلبية إلى جملة تحويلية إفصاحية تفيد التنبيه، كما أنّ الشقّ الأول من جملة النداء لا يعدّ جملة تامة يحسن السكوت عليها، بل هو عنصر تأثري إفصاحي يستخدم لتنبيـــه المخاطَب وتهيئته لاستقبال ما سيقوله المتكلم»[2].

إنّ إرسال النظر في هذا المنطق التحليلي التعليلي ليكشفُ عن اعوجاجه وقلّـــة حظه من التوفيق؛ ذلك أنّ مثل هذا الأسلوب ليس له مرجعية وظيفية انفعالية البتـــة، على خلاف الزعم المنوط به. فما كان ليفصح عن التأثر ولا الانفعال الذي يترسّب في أغوار النفس الإنسانية، بل قصاراه أنّه عنصر تأثيري لا تأثري؛ إذ يُتوسّل به إلى تنبيـــه المخاطَب وحمله على الالتفات. وهذا المعنى لا يجري في سياق الإفصاح عن الوظيفـــة التعبيرية الانفعالية التي «تنـــزع إلى تقديم انطباع عن انفعال معيّن صادق أو خادع»[3] متعلّقٍ بذات المرسِل، وإنما مجراه الوظيفة الانتباهية التي توظف لإقامة التواصل وتمديده أو فصله، كما توظف لإثارة انتباه المخاطب أو التأكد من أنّ انتباهه لم يرتخِ[4]. وإن كان (رومان ياكبسون) يسوقه مساقا آخر، فيحمله على الوظيفة الإفهامية التي تتوجه نحو ذات المرسَل إليه[5].

ويمكن سوقه من جهة أخرى على الوظيفة الفاعلـــة لا الانفعاليـــة؛ ذلـــك أنّ الإنسان لا يتكلم ليصوغ أفكارا فحسب، بل يتكلم أيضا بهدف التـــأثير في نظرائـــه، والتعبير عن أحاسيسه وتأثراته، وتبعا لذلك يتأتى التفريق بين الثالوث اللغوي التـــالي:

---

[2] أساليب الجملة الإفصاحية، ص171.

[3] قضايا الشعرية، ص28.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص30.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص29.

اللغة المنطقية، واللغة الفاعلة، واللغة الانفعالية. فاللغة الفاعلة ميدانها عبر مجرى التاريخ الأمر في الفعل والمنادى في الاسم[1].

فليس بعدا هذا ما يدعو إلى استلحاق أسلوب النداء بالتعبيرات الإفصاحية، فلا وجاهةَ له في ضوء النظر اللغوي.

ونظيره في المسلك أسلوب الاختصاص، فلا يحتمل الوظيفة الانفعالية إلاّ على سبيل التمحل والادعاء. فمنتهاه أنه يفيد التحديد وتخصيص المذكور بالفعل وتخليصه من غيره. وما ينتابه من مشاعر الفخر والاعتزاز فمعنى طارئ غير لازم يختلف باختلاف السياق، فنقول: نحن العربَ نكرم الضيفَ، فتجد لمعنى الفخر والتعظيم منفذا في العبارة، وتقول: نحن العربَ أضعف الأمم أخذا بسلطان العلم، فلا تجد لذلك المعنى أثرا، بل تجد لمعنى الاحتقار والازدراء حظا فيه. والحقيقة أنّ هذين المعنيين لا ينشآن عن الاختصاص، وإنما منشؤهما العبارة نفسها حتى وإن تجرّدت من هذا الأسلوب، كأن تقول: نحن نكرم الضيف، أو نحن أقل الأمم أخذا بسلطان العلم. فليس لأحد أن يدّعيَ أنّ هذين التركيبين يفارقان الدلالة الخبرية إلى المعنى الإفصاحي لمجرد امتصاصهما لتلك القيمة الانفعالية الطارئة التي مدرجها في الأصل لغةُ الوجدان؛ ذلك أنها قيمة إضافية لا أصلية ولا أساسية، فلا اعتدادَ بها، فهي تلابس ضروب القول جميعَها حتى ولو كانت العبارة منطقية مع فارق القيمة الانفعالية.

والجدير بالذكر في هذا السياق أنّ من الباحثين من يعدل عن مصطلح الإفصاح، ويستعيضه بالانفعال متخذا إياه بديلا عن الإنشاء غير الطلبي؛ لأنه أدلّ على القصد، وأقوى في البيان لانطباق لفظه على معناه. يقول محمود أحمد نحلة في هذا الصدد: «وأما الباب الثالث فقد عقدته للإنشاء، وقسمته إلى فصلين، الأول منهما للإنشاء الطلبي، والثاني لما أسميته الإنشاء الانفعالي عدولا عن مصطلح علماء المعاني وهو الإنشاء غير الطلبي لأنه فيما أرى أدل على المراد...ورأيت أنّ الإنشاء الانفعالي يشمل التمنّي والرجاء والتعجب والمدح والذم. وعلماء المعاني يعدّون التمني في الإنشاء الطلبي، ونراه داخلا في الإنشاء الانفعالي، لأنه رغبة تحوك في الصدر وتتعلق بها النفس،

---

[1] ينظر: اللغة، ص182.

ولا أدلّ على ذلك من أنهم يعدون الرجاء في الإنشاء غير الطلبي، وهو قرين التمني، ودرجة من درجاته، ويعدون القسم في الإنشاء غير الطلبي، ونراه نحن مؤكدا من مؤكدات الخبر والإنشاء، ويفردون للقصر مبحثا، وهو من مؤكدات الجملة»[1].

بيد أنه في مؤلفه (نظام الجملة في شعر المعلقات)[2] –لعله أسبق من سابقه– يسوق الجملة الانفعالية مساقا آخر، فيحدد مدارها بالموضوعات التالية: التمني، والترجي، والقسم، والتعجب، والمدح أو الذم، والندبة، والاستغاثة. إلاّ أنّ هذا التحديد يبدو منسوخا بسابقه، وتقوم بصدد ناسخه ملاحظات ثلاث:

أما الأولى، فلا حصافة له في إخراجه الندبة من مدارات الإنشاء الانفعالي مع ما يتضمنه أسلوبها من قيمة انفعالية لا مطعنَ فيها، فيكفي أنّ القدامى أدركوها وهم غيرُ معنيين بها. وشاهد ذلك قول أبي سعيد السيرافي(ت368هـ): «الندبة تفجع ونوح من حزن وغمّ يلحق النادب على المندوب عند فقده، فيدعوه وإن كان يعلم أنه لا يجيب لإزالة الشدّة التي لحقته لفقده...»[3]. فالندبة ليس من النداء في شيء إلاّ في البنية السطحية من جهة تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد؛ لأنّ المندوب غيرُ مدعوٍ للإقبال[4]، وقد أغنى القول عن إعادته[5].

أما الثانية، فعدم التفاته مطلقا إلى ما تمتصه خوالف الإخالة من معنى انفعالي ليس به خفاء، فهي موضوعة للتعبير عن شحنة نفسية انفعالية؛ «وذلك أنك لو وضعت يدك وأنت لا تدري على سطح ساخن فسحبتها متألما وقلت: أتوجع بدلا من قولك: أوّه لضحك منك السامع و لم يخف أحد إلى إسعافك. أمّا أن تقول: أوّه [أو: آآيْ] فذلك إفصاح عمّا تحسّ به من الألم»[6].

وأما ثالثة الأثافي، فعدّه كلاّ من التمني والترجي من ضروب الإنشاء الانفعالي بحجة كونهما رغبة تحوك في النفس. وحاصل النظر في هذين الأسلوبين يظهر أنهما لا

---

[1] علم المعاني، ص7.

[2] ينظر: ص25.

[3] الكتاب، 220/2 (الهامش).

[4] ينظر: حاشية على شرح ابن عقيل، محمد الخضري علي، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت)، 81/2.

[5] ينظر: البحث،ص....

[6] الخلاصة النحوية، ص152.

يخرجان عن الطلب حتى وإن كان القدامى أخرجوا الترجي دون التمني مع أنّ الأول قرينُه ودرجة من درجاته. فكيف لهم أن يفردوه بالإخراج دون نظيره؟!.

هذا، وما هو بخاف أنّ الوظيفة الطلبية هي التي تطغى على تراكيب هذين الأسلوبين، أما ما تنبئان به من رغبة نفسية تحوك في الصدر، فهي مدار كل طلب ومبدؤه، تسبقه بوصفها الباعث عليه والداعي إليه، وهي لون من تلوّنات الخطاب العاطفية التي لا يخلو منها قول، ولا تبرأ منها عبارة، إلاّ أنّ ليس لها من القوة ما يدفع الدلالة الطلبية عن أن تتنزّل المنزلة الأولى.

ولا مفارقةَ بين الأسلوبين إلاّ من جهة كون التمني أن «تسأل شيئا لن يتحقق أو ليس من شأنه أن يتحقق»[1]، فيما أنّ الترجي «أن تسأل الحصول على الممكن أن يتحقّق»[2]. وقد فرق الدارسون بينهما من جهات[3]:

- أولاها: أنّ الترجي في الممكن، وأنّ التمني فيه وفي المستحيل.
- ثانيتها: أنّ الترجي في القريب، وغيره في البعيد.
- ثالثتها: أنّ التمني في المعشوق للنفس، والترجي لغيره.

هذه هي الملاحظات الثلاث التي تتراءى بصدد فحص مدار الإنشاء الانفعالي من منظور محمود أحمد نحلة الذي ارتضى أن يستبدل مصطلح الإفصاح بمصطلح الانفعال، وقد حذا حذوه نحو إقامة البديل المصطلحي محمد الطاهر الحمصي في أطروحته لنيل الدكتوراه الموسومة بـ (الجملة بين النحو والمعاني) حيث قال: «جملة الإنشاء غير الطلبي هي صيغة إسنادية تختص بإفادة معنى نفسي محدّد، ومن هنا تحسن تسميتها بـ (الجملة الانفعالية) فهي تخالف الجملة الخبرية من جهة امتناعها من قبول التصديق والتكذيب، وتخالف الجملة الطلبية من جهة تجردها من الطلب...»[1].

---

[1] المرجع السابق، ص143.

[2] المرجع نفسه.

[3] ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: فواز أحمد الزمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1424هـ-2003م، ص643.

[1] ينظر: ص218.

ويؤنسك بترك هذا البديل أنه يصدق فيه قوله تعالى: (أتستَبْدِلونَ الذي هوَ أَدْنى بِالَّذي هُوَ خيْرٌ)[2]؟! ذلك أنّ مصطلح الانفعال ليس من اختصاص عالم اللغة، وإنما من اختصاص عالم النفس الذي يدرس هذا الجانب السلوكي، ويوجه إليه عنايته. أما عالم اللغة، فلا يدخل في حيّز انشغاله ذلك الانفعال إلاّ إذا ما لبِس اللغة وتجسّد في شكل منطوق له عباراته التي تُفصح عنه[3].

2-المسلك التقليدي: يمثله لفيف من الباحثين الذين لا يختلفون عن قدامى البلاغيين في شيء سواء في في مصطلحيتهم أم في طريقة علاجهم لموضوعات الإنشاء غير الطلبي. فلم يسعفهم الحظّ في درك طبيعته الأسلوبية حينما شُغلوا باللغة المنطقية، وساقوا له أحكاما على هذا الوجه الذي ليس بوسعه أن يفتّق طاقاته التعبيرية، أو يجلوَ خصائصَه التركيبية. وما اختلافهم بشأنه إلاّ كاختلاف القدامى فيما بينهم. فقد صدر جميع هؤلاء عن باعث واحد سلك بهم مسلكا اجترايا لا يكاد يلتفت إلى فروق القول الوظيفية ما لم تستتبعها المفارقة الشكلية. فهم بهذا أضاعوا العناية بالإنشاء غير الطلبي مع أنّ علم المعاني أحرص ما يكون على تتبع خواصّ التركيب وبيان فروق القول بين العبارات لاختلاف الاعتبارات. يقول أبو يعقوب السكّاكي: «اعلم أنّ علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»[4].

وحاصل النظر يظهر بجلاء أنّ أصحاب المسلك التقليدي ثلاث فرق في سبيل تصنيف الموضوعات التي تدور وتسبح في فلك الإنشاء غير الطلبي: أما الفرقة الأولى، فيمثلها خيرَ تمثيل عبد السلام هارون الذي ارتضى أن يحدّد أقسام الإنشاء غير الطلبي بأفعال المقاربة، وأفعال التعجب، والمدح والذم، وصيغ العقود، والقسم، وربّ،

---

[2] البقرة/61.

[3] ينظر: اللغة، ص185.

[4] مفتاح العلوم، ص247.

وكم[1]. ومثله في الصنيع بدوي طبانة في معجمه البلاغـــي[2].

وأما الفرقة الثانية، فتحدده بالأقسام التالية: المدح والذم، والعقود، والقســـم، والتعجب، والرجاء، وربّ، ولعلّ، وكم الخبرية. وانتهج طريقتها كلّ مـــن: أحمـــد مصطفى المراغي[3]، وأحمد الهاشمي[4]، ويوسف أبو العدوس[5].

وأما الفرقة الثالثة، فتحدده بصيغ المدح والذم، والتعجب، والقسم، والرجـــاء، وصيغ العقود. وقال بهذا كل من: أحمد مطلوب[6]، وخديجة السايح[7]، وعبد القادر عبد الجليـــل[8].

صفوة القول ومحصول الحديث أنّ مدارات التركيب الإفصاحي لم تقَرَّ علـــى وجهة واحدة، حيث وقف الباحثون حيّالها بين مضيّق لدائرتها وموسّع، فتجاذبها تيارا الجزر والمدّ على نحو واضح. لكن لا يقرّ من ضروبها إثر تدقيق النظر واســـتدامته إلاّ الموضوعات التي مدارها: التعجب، والمدح والذمّ، والندبة، والإخالة، وهي المقصـــودة بالنظر على الترتيب خلال هذا البحث بدءا من الفصل الموالـــي.

---

[1] ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001م، ص13.

[2] ينظر: معجم البلاغة العربية، 621/2.

[3] ينظر: علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 1993م، ص61.

[4] ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص69.

[5] ينظر: البلاغة والأسلوبية، ص57.

[6] ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص195-196.

[7] ينظر: مناهج البحث البلاغي في النصف الأول من القرن العشرين في مصر، خديجة السايح، المعارف، الأسكندرية- مصر، 2000م، ص119.

[8] ينظر: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص258-259.

الفصل الثاني:
التراكيب الإفصاحية في ضوء القاعدة النحوية

المبحث الأوّل:

تركيب التعجّب

تبدأ قصة التعجب في النحو العربي بحكاية طريفة مؤدّاها أن ابنة أبي الأسود الدؤلي رفعت رأسها إلى السماء في إحدى ليالي الصيف الهادئة، فأبهرها صفاؤها وتلألؤ نجومها فقالت لأبيها: يا أبت ما أحسنُ السماءْ! (برفع أحسن) فقال: أيْ بنيه نجومُها، ظنًّا منه أنها تستفهم عن أحسن ما في السماء، فاستنكرت جواب والدها، فقالت: إني لم أرد أيّ شيء منها أحسن، وإنما تعجبت من حسنها، فقال لها: إذن فقولي ما أحسنَ السماءْ! (بالنصب)، فحينئذ وضع كتابا[1] .

وتُروى هذه الحكاية على وجه آخر مؤداه أن أبا الأسود دخل على ابنته بالبصرة في يوم شديد الحرِّ فقالت له: يا أبت ما أشدُّ الحرّ! (بالرفع) وهي تريد التعجب، فظنّها تستفهم منه أيّ زمان الحرّ أشد، فقال لها: شهر ناجر يريد صفر، فقالت: يا أبت إنما أخبرتك و لم أسألك، فأتى أمير المؤمنين عليّا بن أبي طالب فأخبره خبر ابنته فأمره فاشترى صحفا بدرهم وأملى عليه[2].

يَروي المؤرخون هاتين الحكايتين وما شاكلهما في موضوع نشأة النحو، ومما يُروى أيضا أنّ أول باب وضع في علم النحو باب التعجب، فعن أبي حرب ابن أبي الأسود الدؤلي قال:« أول باب وضعه أبي من النحو باب التعجب».[3]

فلا عجب إذن إن كان موضوع التعجب من أشد موضوعات النحو أهمية، وأولاها بالنظر، وأحقها بالاهتمام فهو: «نتيجة طبيعية لما يخالج النفس من انفعالات وأحاسيس إذا بهرها مشهد رائع أو هز أغوارها خبر فاجع، فهو ينتج عن المفاجآت والغفلات ووقوع العين على ما يخالف العادة أو يفوق التصور».[4]

وبهذا يتفرد التعجب عن بقية أبواب النحو الأخرى بكونه أقرب إلى لغة الإنسان الأول، وإلى طبيعته وأحاسيسه، فليس من شرائطه أن يكون صيغا وأبنية

---

[1] ينظر: سبب وضع علم العربية، السيوطي، تحقيق: مروان العطية، دار الهجرة-دمشق، ط1، 1988م، ص53.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص42-43.

[3] المصدر نفسه، ص52.

[4] التعجب: صيغه وأبنيته، جميل علوش، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1،2000م، ص14.

قياسية فحسب، بل الأصل فيه أن يكون أصواتا خاطفة تعبر عن دهشة النفس، وغريب ما يقع عليه الحسّ.

فلا عجبَ إن كان التعجب أوّل الأبواب النحوية التي استلفتت أنظار النحاة، فوضعوا بابه، وسعوا الى كشف أسراره، ورفع أستاره، إلا أن حظهم من ذلك كله كان ضعيفا، لم يقوَ على النفاذ إلى معانيه ودلالاته، وسبر أغواره ،واستكناه وظيفته، فما استطاعوا إلى الظفر بهذه المطالب سبيلا؛ لأنهم وقفوا أنفسَهم على الاشتغال بجوانبه الإعرابية، «و لم يغوصوا في أعماقه تحليلا وتشريحا، فبقي على ما هو عليه مجموعة من النظرات النحوية البحتة والآراء الجافة التي تعتمد المنطق النحوي الصلد، وتتكئ على علله وتقديراته»[1]، مجتزئين إيّاه بذكر صيغتيه القياسيتين، وقصر النظر عليهما، وإفراد العناية لهما من الناحية الإعرابية، مع أن بابه في حقيقة أمره أوسع من أن يحيط به ما ذكروه؛ لانتشاره وانتشاره بين أبواب شتّ من النحو، كالنداء، والاستفهام، وغيرهما غفلوا عن رصد القيمة الانفعالية فيها ليتمّ استلحاقها ببابه. وقد اعتلّوا لهذا الاقتصار والإيثار بعلة واهية، وهي: أنّ الصيغ الأُخَر التي لا تنضبط بقياس ليس لها أن تدل على التعجب بالوضع نصّا، و إنما تدل عليه ضمنا بالقرينة[2]؛ لأنّ لها أن تفيد معانيَ إضافيةً سوى التعجب الدالة عليه دلالة الطُّروء، كأنما خفي عليهم أن التركيب بعيدا عن ملابسات القول عادة ما لا يَتَمَحَّضُ معناه، ولا تتفتَّق دلالته، ولا تترجّح لتعدد وجوه احتمالات المعنى بلا مرجّح. فقد شغلوا عن درك مبدأ تعدد المعنى الوظيفي للمبنى المفرد أو المركب الواحد؛ وذلك تبعا لاختلاف الظروف التي تنصهر في بوتقتها العبارة، فتُمَحِّضُ معناها، وتُحقِّقُ وظيفتها، وتُعَيِّنُ ضربها الخطابي على وجه الدقة الذي لا إلباسَ فيه.

فلم يَلمَّ النحاة أشتاتَ موضوع التعجب، و لم يحاولوا استنطاق جميع مبانيه بجامع من الوظيفة التعبيرية التعجبية؛ لأنهم كانوا أُسارى نزعة شكلية وجّهت عنايتهم

---

[1] المرجع السابق، ص11.

[2] ينظر: شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1358هـ،86/1.

في المقام الأول إلى رصد الأشكال لا الوظائف، فلم يجعلوا المبنى خدما للمعنى، و إنما اتْبَعوا المعنى المبنى، وشتّان ما بين التابع والمتبوع !.

و الغريب أن يمضيَ البلاغيون – وهم أحرى الناس بتتبّع وظائف الخطاب- في دراساتهم على طريقة النحويين، فلا يقيمون وزنا لأسلوب التعجب إلا لماما، حيث لم يفردوه بالدراسة والتقصّي، فأوشكوا أن يضيعوا معناه، ويهملوا مبناه لولا بعض الإلماحات القاصرة عن الوفاء بمطالبه في مواطن يسيرة بوصفه أحد المعاني التي يفيدها تقديم المسند على المسند إليه، أو التي تخرج إليها أدوات الاستفهام.[1]

هكذا يظل موضوع التعجب بكرا بحاجة إلى الدراسة التي تساق للكشف عن القيمة الانفعالية المخبوءة فيه، والتي من شأنها أن تَميزه عن أضرب الخطاب الأخرى. ومثل هذا المطلب يَتكفَّلُ به هذا البحثُ على التدريج من خلال استنطاق الأبنية القرآنية على وجه الخصوص .

التعجب على أوضاع اللغويين:

للتعجب على أوضاع اللغة طيف لطيف من المعاني اللغوية مسوق فيما يلي:

- **الانفعال:** فحسب التعجب أنه «انفعال النفس عمّا خفي سببه... ويستعمل على وجهين: أحدهما ما يحمده الفاعل ومعناه الاستحسان والإخبار عن رضاه به، والثاني: ما يُكره، وهو الإنكار والذم له، ففي الاستحسان يقال: أعجبني بالألف وفي الذم يقال: عجبت...»[2] .
- **الحيرة:** ورد في (تاج العروس من جواهر القاموس) أنّ التعجب «حيرة تعرض للإنسان عند جهل سبب الشيء، وليس هو سببا له في ذاته بل هو حالة بحسب الإضافة إلى من يعرف السبب ومن لا يعرفه، ولهذا قال قوم: كل شيء عجب، وقال قوم: لا شيء عجَبٌ... »[3].

---

[1] ينظر: علم الأدب (مقالات لمشاهير العرب)، شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1887م، 43/1.

[2] محيط المحيط، ص576.

[3] تاج العروس من جواهر القاموس، 207/2. وينظر: كتر اللغة العربية، ص549-550.

- **النظر إلى شيء غير مألوف**: كأن ترى شيئا يعجبك، فتظنّ أنّك لم تر مثله قطُّ. ومنه قولهم: لله زيد! كأنما الله قد جاء به من أمر عجيب لا اعتياد فيه. ونظيره أيضا قولهم: لله درّه! كأن الله قد مازه بين نظرائه وأترابه بأن سقاه لبنا مخصوصا بالعناية.[1]
- **الإنكار** : ذلك أن التعجب « إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده».[2]
- **التفضيل والاستعظام**: جاء التعجب رديفا للتفضيل والاستعظام حيث قيل «التعجب هو تفضيل الشيء على أضرابه، وقيل: هو استعظام صفة خرج بها المتعجَّب منه من نظائره...».[3]
- **الزهو والكبْر**: «العُجْبُ: الزهو والكبر... وهو أن تنظر إلى نفسك وعملك؛ أي: تعظّم نفسك».[4]

صفوة القول أن التعجب انفعال حيرةٍ، أو إنكار، أو تفضيل، أو استعظام، أو زهو يعتور النفس البشرية إذا ما صادفها أمر خارق غير مألوف لم تعتده من قبلُ؛ لذلك كثيرا ما تسمع الناس في حياتهم العادية يرددون عبارة: إذا ظهر السبب بطل العجب.

التعجب على أوضاع النحويين:

مصطلح التعجب جارٍ على أوضاع النحويين على ما جرى عليه لفظه عند اللغويين على نحو جلي لا خفاء به، فلا يعدو أن يكون انفعالا عند القبيلين باختلاف أغراضه، ولا مفارقةَ إلا من جهة تلبُّسِه باللغة، واكتسائه ثوب الألفاظ عند النحويين، وعدم تعلق هذا الشرط به على أوضاع اللغويين؛ إذ تتفق الطائفتان في النظر إلى مصطلح التعجب من جهة وجود أمر غريب خفيت أسباب غرابته. إلا أنه انفعال نفسي عند اللغويين حتى وإن تجرّد من لفظه، في حين يتفرد لدى النحويين بتخصيصه بنطق كلامي يدلّ على الدهشة والاستغراب، ويقصدون بذلك صيغ التعجب التي

---

[1] ينظر: لسان العرب، 580/1.

[2] المصدر نفسه،580/1. وينظر: تاج العروس، 207/2. وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص378.

[3] محيط المحيط، ص576.

[4] المصدر نفسه.

تقوى على الإفصاح عنه، ونقله من حيّز الشعور إلى حيّز النشاط الكلامي كقول القائل: ما أروعَ العِلْمَ في عصرنا![1]

فالتعجب على حد قول الأشموني (ت 920هـ): «استعظام فعلِ فاعلٍ ظاهرِ المزيَّة بألفاظ كثيرة...»[2]، إلا أن الخضري (ت1288هـ) يسوقه مساقا أخر لا أثر للاصطلاح فيه، فيحمله على محمل اللغويين دون أن يكترث بإلباسه ثوب التعبير على الإطلاق، فيمضي في تعريفه إلى أنه «انفعال في النفس عند شعورها بما يخفى سببه...»[3]، وكذلك يفعل الرضي في قوله: «التعجب انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه».[4]

وحريٌّ بالذكر أنّ خفاء السبب لا يتعلق بالذات الإلهية بقدر ما يتعلق بالذات البشرية؛ إذ لا تخفى عليه خافية لا في الأرض، ولا في السماء مصداقا لقوله جلَّ ثناؤه:﴿إنّ اللهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ في الَأرْضِ ولَا في السَّمَاءِ﴾[5] ، وقوله أيضا: ﴿وما يَخْفى عَلى اللهِ مِنْ شَيْءٍ في الَأرْضِ ولَا في السَّمَاءِ﴾[6] .وما ورد منه في الذكر الحكيم، نحو قوله تعالى: ﴿فما أصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[7] فمصروف عند المحققين من العلماء إلى المخاطبين؛ بمعنى: يجب أن يُتَعَجَّبّ من ذلك[8]، «وإنما لا يوصف تعالى بالتعجب؛ لأنه استعظام يصحبه الجهل، وهو تعالى مترّه عن ذلك، ولهذا تعبر جماعة بالتعجيب بدله؛ أي: أنه تعجيب من الله للمخاطبين»[9].

---

[1] ينظر: النحو المصفى، محمد عيد، مكتبة الشباب المنيرة، القاهرة، 1994م، ص563-564.

[2] شرح الأشموني، 262/2.

[3] حاشية على شرح ابن عقيل، محمد الخضري، 38/2.

[4] شرح الكافية، 307/2.

[5] آل عمران/5.

[6] إبراهيم/38.

[7] البقرة/175.

[8] ينظر: حاشية الخضري، 38/2.

[9] الإتقان في علوم القرآن، ص632.

ومثلما ننفي التعجب عن المولى عزّ وجل، إذ هو من صفات البشر، لا نتعجب من صفاته تعالى قياسا، فلا يقال: ما أعْلَمَ اللهَ! وإن شذّ قول العرب: ما أعظمَ الله! وما أقدره!.[1]

فتحقيق القول أن التعجب أسلوب خطابي قائم بذاته، شأنه في ذلك شأن الأساليب الأخرى، لا يمكن حمله على غيره، ولا تجريده من وظيفته، ولا تفسيره على نحو يخرجه عن حقيقته، كأن تكون جملة (شيء أحسن زيدا) تفسيرا لجملة التعجب الإنشائية (ما أحسن زيدا!)، فحسبك بهذا خطأ أنّ الإعراب كان على تمثّل ما لم يُتكلَّم به!.[2]

صيغ التعجب وأحكامه:

إنّ الإفصاح عمّا يُساور المرء من ذهول له علوق بالنفس، ولصوق بالخاطر ليتهيأ بواسطة جملة من الأبنية والصيغ التي تجتلب لتأدية هذا الغرض، والتكفل بهذا المقصد.

وما هو بخفي أنّ هذه المباني – مفردةً كانت أو مركبةً- تتوزع على ضربين: أولهما-وهو المبوَّب له في كتب النحو- خاضع إلى القياس، ومتميّزٌ بمحدودية صيغه، وتمحضه للدلالة على التعجب. وثانيهما –وهو المنتشر المنتثر- يرتد إلى مبدأ السماع، ولا ينضبط بأحكام نحوية قياسية تقوى على استخلاصه لتحمل وظيفة الانفعال التعجبي، وترشيحه لها دون شراكة أو تعدد، وهو أبعد من أن يحصى، وأجلّ من أن يُتجاوز أو ينسى. فالأوجب أن تتوجه إليه العناية، وأن تُسبغ عليه الرعاية بطريقة وافية بجمع أشتاته، و لمّ عباراته ما انقاس منها، وما لم ينقس على نحو ما يرد:

أولا:صيغتا التعجب القياسيتان:

وهما الأولى بالنظر عند من تقدم من النحويين أو تأخر، وليس لهما إلا هذا التمظهر:

---

(2) ينظر: حاشية على شرح الأشموني، الصبّان، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 1419هـ-1999م، 968/3.

[2] ينظر: (النحو العربي بين التعليم والتخصص)، محمد خان، اللسان العربي، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، ع45، صفر1419هـ-يونيو (حزيران)1998م، ص96.

1.ما أفعلَــه: وهي صيغة التعجب القياسية الأساسية التي يكثر دورانها في العربية[1]، نحو قول الشاعر[2]:

ما أكرمَ الأنْصارَ والصَّحْب الأُلى حُرِموا، فَمِن صَبْرٍ ومِنْ إِغْضاءِ

وهذه الصيغة عبارة عن مركب تام، ساقه النحويون عن بكرة أبيهم على سبيل التركيب الإسنادي، واختلفوا في توصيف مكوناته، وتوجيهها إعرابيا اختلافا يكدّ له الذهن، ويرشح له الجبين، ولا يأمن الناظر فيه من العثرة والانزلاق. فقد كان ولايزال مدار خلاف واسع عميق بين الدارسين، حيث كثر فيه الحجاج واللجاج بين البصريين والكوفيين، بل بين أقطاب المدرستين على ما يظهر ويبين:

1.1.ما التعجبية: وقد زيدت في التعجب دون غيرها؛ لأنها تفيد الإبهام، وهو باعث من بواعث التعجب، فكلّما كان الشيء مبهما مستغلقا كان أعظم أثرا في النفوس[3]، فحسبها أنها تجسيد لشيء مجهول يوحي بالعظمة، وينبئ بالتهويل، فحُقَّ لها أن تقع في موضع الابتداء، وأن تكون لها الصدارة بفضل ما فيها من «إغراق في الإبهام وإيغال في التنكير والاستغلاق. هذه المميزات تجعلها مثالا للتقديرات المعنوية والتصورات الذهنية، مما يقربها من المعرفة ويمنحها حق الوقوع في موقع المبتدأ وتأدية دلالاته وتحمل التزاماته ومهامه»[4]. وقد أهلها هذا كلّه إلى أن تتربع على عرش التعجب، وتتسنّم مكانهـــا في تركيبه.

أضف إلى ذلك ما تمتاز به من سمة صوتية تتناسب طرديًّا مع التعبير عـــن أدقِّ الخلجات، وأعمق الانفعالات، وهي ألف المدّ التي تمكِّن الصوتَ من أن ينطلق علـــى مداه، وينفسح على قدر طاقاته، شأنُها في ذلك شأنُ واو الندبة مما يجري به النَفَس إلى غايته، ويندفع إلى نهايته. ومع جريانه واندفاعه تنطلق انفعالات المتعَجِّب من عِقالِهـــا بقوة لا خَوَرَ فيـــها.

---

[1] ينظر: تيسيرات لغوية، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص30.

[2] ديوان (مجد الإسلام)، أحمد محرّم، تحقيق: محمود أحمد محرم، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1402هـــ-1982م، ص400.

[3] ينظر: أسرار العربية، ص115.

[4] التعجب: صيغه وأبنيته، ص20.

وقد حاول بعض الدارسين أن يتأوّل أصلَ اشتقاقها على أنّها مُجتزأةٌ من (أمّاه)، ومقتطعة منه؛ بحجة أنّ الإنسان يلوذ بأمه حين الخوف والفزع ، ومنه لا يكون بعيدا جريانها على هذا الاشتقاق مع بعض التهذيب والتطوير[1]. ولا شكّ أنّ هذا اعتلال ضعيف ليس من شأنه أن ينهض دليلا ساطعا قاطعا لا مردّ له. فهو أقرب إلى الظنّ الذي لا يغني عن الحقّ فتيلا.

1.1.1.توجيهها الإعرابي: اختلف النحاة في (ما) التعجبية شديد الاختلاف، وتضاربت آراؤهم واضطربت، فهي لديهم حمّالة أوجه تساق لها الأسانيد والحجج:

الوجه الأول: أن تكون نكرة تامة بمعنى (شيء)، والجملة بعدها في موضع خبر؛ وآية ذلك قول سيبويه: «زعم الخليل أنه بمنزلة قولك: شيء أحسنَ عبدَ الله، ودخله معنى التعجب. وهذا تمثيل و لم يُتكلَّم به»[2]، وعليه أغلب البصريين[3].

الوجه الثاني: أن تكون معرفة ناقصة بمعنى الذي، وما بعدها صلة فلا موضع له، وعليه الأخفش من البصريين[4].

الوجه الثالث: أن تكون نكرة ناقصة، وما بعدها في محل رفع صفة على أن الخبر محذوف، وعليه الأخفش أيضا.[5]

الوجه الرابع: أن تكون استفهامية في محل رفع مبتدأ، والجملة في محل رفع خبر، على أن معنى: ما أحسن زيدا! ما فائق في الحسن زيدا؟ وعليه جمهور الكوفيين[6].

2.1.أفعل التعجب: إنها صيغة تعقب (ما) التعجبية على الموالاة والفور[7]؛ لتتكفل برفع الإلباس عنها، ودفع التعمية التي تساور بنيتها، فهي الإفهام بعد الإبهام على حد

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص23.

[2] الكتاب، 72/1.

[3] ينظر: أسرار العربية، ص115.

[4] ينظر: أوضح المسالك، 251/3.

[5] ينظر: المصدر نفسه.

[6] ينظر: الموفي في النحو الكوفي، صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي، شرح محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ص85-86.

[7] إلاّ أنّ (كان) تزاد كثيرا بين (ما) و(أفعل) التعجب بشرطين: كونها بلفظ الماضي، ووقوعها بين شيئين متلازمين ليسا جارّا ومجرورا. ينظر: شرح الأشموني، 241/1-244.

تعبير خالد الأزهري[1]. وقد أجاد جميل علوش تصوير ذلك بعبارات أدلَّ على القصد، وأجلى للمراد، حيث يقول: «فكأنّ (ما) صوت العاطفة و(أفعل) صوت العقل أو كأن (ما) هي اللغز و(أفعل) هي حله. فالأداء النغمي الذي يبلغ ذروته في مطلع الجملة ينخفض قليلا حتى ينتهي ويزول، وهو إنما يرتفع وينخفض تبعا لمدى اندفاع العاطفة وانجذابها أو لامتدادها وانحسارها. فكأنها اللجة يكون لها قمة وقاع وظهر وبطن. وقوة النغمة في الجملة التعجبية تتناسب طرْدِيًّا مع مدى الإبهام الذي تشتمل عليه. ولا شك أن ذروة هذا الإبهام تتمثل في (ما) التي هي روح الجملة التعجبية وقلبها الخافق. أما (أفعل) فهي بيانها ولسانها الناطق»[2].

وقد اختلف النحويون بشأن أفعل التعجب أيما اختلاف، فتمسك البصريون وعلي ابن حمزة الكسائي من الكوفيين بفعليته، وذهب الكوفيون إلى اسميته[3]، وساق كل فريق من هؤلاء حججا وأسانيد.

أما البصريون فقد استدلوا على صحة ما ذهبوا إليه بأوجه:

1. وصله بياء الضمير سبيله أن يُدخل نون الوقاية عليه، وهي خصيصة لا تلحق إلا الأفعال، نحو: ما أحسنني عندك! وما أظرفني في علمك! وما أعلمني في ظنك![4].
2. الدليل على فعليته نصبُه المعارف والنكرات، و(أفعل) إذا كان اسما لا ينصب إلا النكرات على التمييز، نحو: أنا أكثر منك مالا وأعظم نفرا.[5]
3. الدليل على فعليته انفتاح آخره، فلو كان اسما لوجب رفعه لوقوعه خبرا لـ (ما) بالإجماع، ولم يكن لانبنائه على الفتح وجه بأية حال.[6]

أما الكوفيون فاحتجوا لاسمية أفعل التعجب من جهات ثلاث:[7]

---

[1] ينظر: شرح التصريح، 87/2.

[2] التعجب: صيغه وأبنيته، ص22.

[3] ينظر: الإنصاف، 126/1.

[4] ينظر: المصدر نفسه، 129/1.

[5] ينظر: المصدر نفسه، 132/1.

[6] ينظر: المصدر نفسه، 136/1.

[7] ينظر: المصدر نفسه، 126/1 إلى128.

1. الجمود وعدم التصرف؛ إذ التصرف من سمات الأفعـــال.
2. دخول التصغير عليه، نحو: ما أُمَيْلِحَ غِزْلانا!.
3. صحة عينه وعدم اعتلالها نحو: ما أقوَمَه! وما أبْيَعَه!.

لقد كانت هذه النقاط مجال أخذ ورد بين الفريقين، وقد استنفدت الكثير مـــن جهدهم الفكري دون طائل، وامتدّ هذا الجدل قرونا فيما بعد، فانقسم النحويون إلى مؤيد للبصريين، ونصير للكوفيين، إلاّ أنّ منهم من حاول جهد طاقته أن يقف علـــى حجج الفريقين؛ ليتبين الغث منها والســـمين كـــابن الأنبـــاري(ت577هـــــ) في مؤلفه(الإنصاف في مسائل الخلاف)[1]، لكنه ما فتئ يميل إلى البصريين، فيكون لهـــم ظهيرا.

2.أفعل بـــه: أجمع النحويون عن بكرة أبيهم على فعلية هذه الصيغة، ثم اختلفوا[2]: فقال البصريون: لفظها لفظ الأمر ومعناها الخبر، على أن الأصل فيها أَفعَلَ، ثم غيرت الصيغة، فقُبُحَ إسناد صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر، فزيدت في الفاعل الباء؛ ليصير على صورة المفعول به. وقال الفـــراء والزجـــاج(ت310هـــــ) والزمخشـــري، وابـــن كيسان(ت299هـــ) وابن خروف (ت590هـــ): لفظها ومعناها الأمر، علـــى أن فيها ضميرا، والباء للتعدية، واختلفوا بخصوص الجار، فمضى ابن كيسان إلى أنه ضمير للحسن، وقال غيره: للمخاطب.

وقد اختلف هؤلاء أيضا بشأن الضمير المقدر في فعل الأمر إلى طائفتين، لكـــل حججها وأدلتها؛ ترى الطائفة الأولى أنّ الضمير راجع إلى المخاطب المســـتدعَى منـــه التعجب، وترى الثانية رجوعه إلى الصفة المتعجَّب منها[3].

1.2.توجيهها الإعرابي: المتداول في إعراب هذه الصيغة ما يتناقله الدارسون عصـــرا بعد عصر من أن (أفعل): فعل ماض جاء على صورة الأمر لإنشاء التعجـــب، والبـــاء

---

[1] ينظر: 137/1إلى 148.

[2] ينظر: أوضح المسالك، 253/3-255.

[3] ينظر: شرح التصريح، 88/2-89.

حرف جرّ زائد، والضمير: فاعل مجرور لفظا مرفوع محلا، أو: فاعل مجرور وعلامة جرّه الضمة المقدرة منع ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرّ الزائد.[4]

والكوفيون بعامة على أنه أمر لفظا ومعنى، وفيه كناية خطاب، وإنما التزم إفراده لجريانه مجرى الأمثال، والباء للتعدية، والكناية مفعول جائز حذفُه[1].

ومن عجيب تخريجاتهم جعل الأمر دالا دلالة ماضوية؛ فهذه دعوى لا يقوم عليها دليل، وليس إلى ذلك سبيل، إلا وهو ظاهر الفساد والتعليل، للأسباب التالية:[2]

1. لم يستعمل الأمر بمعنى الماضي قطُّ، فالمعهود خلافه، نحو: مات فلان (رحمه الله) على سبيل الدعاء له.
2. كيف تكون أفعل به فعلا ماضيا مع أن للتعجب صيغا ماضوية أخرى كـ: فَعُلَ[3] وأفعلَ بغير (ما)؟! [4] فلو كان الغرض أن تدلّ صيغة (أفعل به) على الماضي لاستغني بها عن الصيغتين الماضيتين المذكورتين، أو لاستُغنيَ عنها بهما.

صيغتا التعجب في ضوء النظر اللغوي:

الأولى أن يعاد النظر من جديد في تحديد البنيتين: الصرفية والوظيفية لصيغتي التعجب القياسيتين بما من شأنه أن يحقق مطالب هذا الأسلوب الفريد من نوعه، والذي لا ينبغي أن يحمل على غيره بطريقة فيها كثير من التمحّل والشطط. فمن حيث البنية الصرفية لا يكون وجيها صرفُ الصيغتين إلى إشكال الاسمية والفعلية. فما درج عليه النحويون قديما من خصومة وجدال بشأنهما لا مسوِّغَ له على الإطلاق. فكان حقيقا بهؤلاء جميعا أَلا يبقوا أسرى للقسمة التقليدية الثلاثية التي أرهقتهم من أمرهم عسرا في جدال نحوي لا طائل من ورائه. فعليهم أن ينفلتوا من أسرها، ويرفعوا عنهم إصرها.

---

[4] ينظر: النحو الوافي، 344/3.

[1] ينظر: الموفي في النحو الكوفي، ص131.

[2] ينظر: التعجب: صيغه وأبنيته، ص55-56.

[3] نصّ الأشموني في (شرحه، 447/1) على أنّ ((التحويل إلى فَعُل –بالضم–لقصد المبالغة والتعجب، نحو: ضَرُبَ الرجلُ وفَهُمَ بمعنى: ما أضربَه وما أفهمَه!)). والمشهور عن هذه الصيغة طبيعتها القياسية. ينظر: النحو الوافي، 348/3.

[4] ينظر: شرح التصريح، 89/2. والمشهور عن هذه الصيغة أنها سماعية. ينظر: النحو الوافي، 348/3.

فالملاحظ أنهم ضيّقوا على أنفسهم الخناق حينما رسموا لهاتين الصيغتين طريقين لا غير، وألزموا أنفسهم بعدم مفارقتهما. فهل كان حتما مقضيا أن تظل هاتان الصيغتان تتأرجحان بين الأسماء والأفعال؟! أما من سبيل آخر أدعى إلى الدقة؟

الواقع أنّ من المحدثين من استطاع أن ينفذ بعمق إلى جوهر المشكلة؛ لييسّر عقبتها الكأداء من خلال الاجتهاد في فهم بنية أمثال هذه الصيغ. فقد أخرج تمام حسان[1] وتلميذه فاضل مصطفى الساقي[2] –وهما محقّانِ–هاتين الصيغتين من الإشكال المفتعل إلى دائرة الخوالف التي تنهض قسما مستقلا من أقسام الكلم العربي السباعية. فاحتفاظ هاتين الصيغتين ببعض علامات الأفعال، وبعض علامات الأسماء لدليل قاطع ساطع على أنهما يندرجان ضمن قسم خاص ينبغي أن يفرد بالعناية.

هذا، ولا يحسن من حيث البنية الوظيفية حمل هاتين الصيغتين على محمل التمثيل الذي لم يُتكلَّم به، فحسبهما أنهما تركيبان إسناديان يكون حريّا أن تُجْرىَ لهما الأحكام على هذا الوجه، لكن دون عسف في التخريج، أو شطط في التأويل. فهذا منطق تتأبّاه بنية الجملة التعجبية. وأما إكراهها عليه فمسلك في غاية الفساد يفضي إلى البلبلة والاضطراب.

وبالفعل قد اضطرب النحويون شديد الاضطراب حينما ساقوا لهذا الأسلوب أحكاما لا تنسجم مع بنيته، ولا تكشف أسرار عبارته، ولا تفصح عن طاقته التعبيرية، فلوَوْا عنقه كرها لما اهتموا بتوجيهه إعرابيا على نحو قاصر عن الوفاء بمطالبه الوظيفية التي هي أحرى بأن تستلفت أنظار الدارسين، وأن تقع موقعا حسنا من حيزّ اهتمامهم؛ ولعل الذي ساقهم هذا المساق إعظامهم شأن العلامة الإعرابية في الهدي إلى تحديد معاني النحو؛ إذ أنزلوها منزلة عظمى أنستهم أنها لا تزيد عن كونها مجرد قرينة واحدة من قرائن النحو اللفظية والمعنوية، فلا مجال للتعويل عليها بمفردها في سبيل الاهتداء إلى درك الوظيفة التي تشغلها الكلمة في سياق متماسك. فلا مندوحة إذن عن الأخذ بمبدأ تضافر قرائن النحو.

---

[1] ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص114.

[2] ينظر: أقسام الكلام العربي، ص252.

أفلا يكون أولى أن ننطلق من أن هاتين الصيغتين داخلتان في جدول إسنادي، ولكن بطريقة جديدة توجب لهما أوجها وظيفية تختلف عن المعاني الوظيفية الـــتي جرى عليها العرف. فلا فاعلية ولا مفعولية تتعلق بهاتين الصيغتين إلا على ســـبيل الاستكراه. فالأقوم أن يحلَّلَ تركيب التعجب القياسي وظيفيا في نحو: مـــا أحســـن زيدا! كما يلي، وقد اختاره عبد الجبار توامة[1]:

إعـــرابهـــا	الكلمـــــة
أداة تعجب.	مـــا
خالفة تعجب مسند.	أحسنَ
المتعجب منه مسند إليه منصوب.	زيـــدا

ويمكن سوق هذا التحليل وفق المشجر التالي وصولا إلى الوحدات المرفولوجية الدنيـــا:

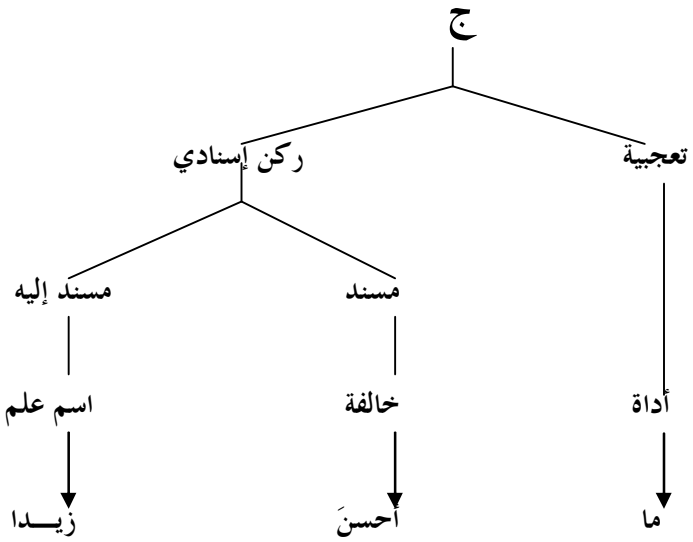

فالملاحظ أنّ هذا التركيب قائم على أساس من إسناد الحسن إلى زيـــد علـــى سبيل إنشاء التعجب، ولا اعتداد بحركة المسند إليه البتة؛ إذ تتعدد وجوهها الإعرابيـــة من: رفع، ونصب، وجرّ باختلاف سياقاته اللغويـــة.

---

[1] ينظر: القرائن المعنوية في النحو العربي، عبد الجبار توامة، (رسالة دكتوراه مخطوطة)، جامعة الجزائر، معهد الآداب واللغة العربية، 1994-1995م، ص86-87.

ودليل كون المتعجب منه مسندا أنّ أبا العباس المبرد (ت285هـ)ذكر أنّ المتعجب منه يجب أن يكون معرفة أو نكرة مخصصة. ففي نحو قولك: ما أحسن زيدا ورجلا معه! «فلولا قولك (معه) لم يكن للكلام معنى. وذلك أنك إذا قلت: ما أحسن رجلا. فليس هذا ممّا يفيد به السامع شيئا؛ لأنه لا يُستنكرُ أن يكون في الناس من هو كذا كثير»[1]، وفيه إشارة واضحة إلى مفهوم الفائدة الذي هو من أظهر ميزات الإسناد.

وإحساس بعض النحويين بكون المتعجب شاغلا وظيفة المسند إليه تكاد تفصح عنه عباراتهم تلويحا لا تصريحا، فهذا أبو حيان يقول: ((والمتعجب منه مخبر عنه في المعنى، فلا يكون إلاّ معرفة أو نكرة مختصة)) [2]، وشبيه به عبد القاهر الجرجاني حينما فسّر تركيب التعجب بـ: أعجبني الشيء.[3]

وقد يكون وجيها تحليل تركيب التعجب وظيفيا في نحو: أحسن بزيد! كما يلي:

إعرابها	الكلمة
خالفة التعجب مسند.	أحسنْ
أداة ربط.	بِـ
المتعجب منه مسند إليه مجرور.	زيدٍ

ويتم سوقه في المشجر التالي:

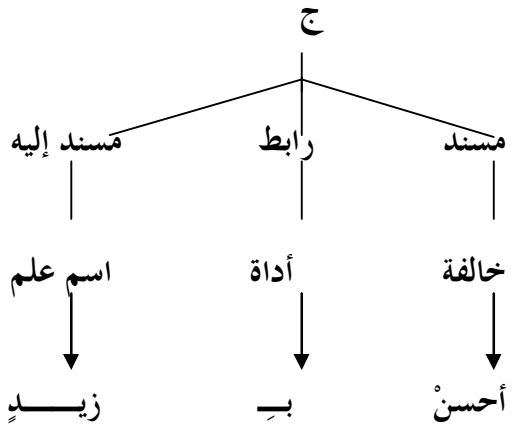

---

[1] المقتضب، 186/4.

[2] ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1418-1998م، 2069/4.

[3] ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة والإعلام العراقية ودار الرشيد، بغداد، 1982م، ، 373/1.

ويؤيد هذا التوجيه أنّ البصريين عبّروا عن صيغة (أفعلْ) بما يشبهه، فقالوا: «لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر، وهو في الأصل فعل ماض على صيغة أفعَلَ...ثمّ غُيِّرت الصيغة، فقبُح إسناد صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر، فزيدت الباء في الفاعل؛ ليصير على صورة المفعول به، كـ(امرر بزيد) »[4].

فمثل هذا التخريج لصيغتي التعجب القياسيتين أرعى للوظيفة النحوية، وأوصل بها، يكون حريا التزامه، ما لم يقطع الدليل بفساده، فاليسرُ كلُّ اليُسر في الأخذ به، بعيدا عن تعقيدات النحويين، وما أقحموه في الدرس النحوي من تأويلات وتقديرات ترهق الدارسين، وتنال من طاقتهم الفكرية التحصيلية لقواعد النحو العربي.

فهذا الإعراب أيسر وأوضح، وهو إلى عقول ناشئة المتعلمين أقرب؛ إذ لا عَنَتَ فيه ولا تكلف. أما ما مضى عليه أسلافنا، ونمضي عليه في مقرراتنا المدرسية يوما بعد يوم، فمسلك وعرٌ ملتوٍ لا يأمن فيه الطالب من العثرة والانزلاق، وقد أحسَّ بوعورة مسلكه طائفة من الباحثين المتخصصين في الدراسات اللغوية، فطفقوا ينفرون منه، ويدعون إلى معالجته معالجة مستقلة تقوى على النفاذ إلى جوهره واستكناه حقيقته؛ كي تتهيأ النفوس لقبوله بقبول حسن. يقول نديم دمشقية في هذا الصدد: «...وأنَّ الخطب كان أهون وأيسر لو اعتُبِرَتْ صيغة التعجب قائمة بذاتها، ونُظِر إليها على أنها تنسب إلى دائرة اللغة الانفعالية ولا تمت لا هي ولا أختها (ما أفعله) إلى الصيغ الفعلية بصلة»[1].

وفي الصدد نفسه يقول محمد المنجي الصيادي: «والعبارات الدالة على التعجب... تندرج ضمن لغة الوجدان التي يعبر بها المتكلم عن أحاسيسه، وهي لا تخضع لقواعد الإعراب كأفعال التعجب، كما أنها لا تخضع للتعدي بل ينبغي مقارنتها بأفعل التفضيل، ولاسيما أنّ جملة التعجب تستخدم وزن (أفعل به) و(ما أفعله)و هما من الأوزان التي لا تنظَمُّ إلى الأفعال أو الصفات...»[2].

---

[4] أوضح المسالك، 253/3.

[1] المنطلقات التأسيسية والفنية في النحو العربي، نديم دمشقية، معهد الإنماء العربي، بيروت، (د.ت)، ص163.

[2] التعريب وتنسيقه، محمد المنجي الصيادي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (د.ت)، ص503.

وفي السياق نفسه يقول محمد خان: «...فهذه تندرج في لغة الوجدان التي يعبّر بها المتكلم عن أحاسيسه فتؤدي وظيفة إبلاغية سريعة تتجاوز قواعد الإعراب المعهودة، ولعلها لم تتقيد به أبدا...والمؤسف أنّ الإعراب كان على تمثُّل ما لم يُتكلّمْ به»[3].

فليس بعد هذا الإحساس بصعوبة الطريق والتواء المسلك إلا مفارقة أحكام المنهج النحوي التقليدي في معالجة أسلوب التعجب ورصد طاقته التعبيرية الانفعالية.

أحكام التعجب القياسي:

1.شروط صياغته: من الجدير بالملاحظة أن خالفة التعجب منقولة عن (أفعل) التفضيل، فبينهما قربى لا تخفى على ذي نظر. يقول تمام حسان: «فلا جرم أننا نزعم هنا أن صيغة التعجب هي صيغة التفضيل منقولة إلى معنى جديد في تركيب جديد... ولكن هذه الصيغة في تركيبها الجديد أصبحت مسكوكة لا تقبل الدخول في جدول إسنادي كما تدخل الأفعال، ولا في جدول تصريفي كما تدخل الأفعال والصفات، ولا في جدول إلصاقي كما يدخل هذان ومعهما الأسماء».[1]

ومن ثمة فإن الشروط المطلوبة في (أفعل) التفضيل هي ذاتها المطلوبة في (أفعل) التعجب، وقد انتبه النحويون إلى ذلك مع أنهم لم يتلمّسوا وجه الصلة الذي لا خفاء به بين الصيغتين. يقول ابن مالك (ت 672هـ) في شان أفعل التفضيل[2]:

صُغْ مِنْ مَصوغٍ مِنْهُ للتَّعَجُّبِ أفعلَ للتفضيلِ وأْبَ اللَّذْ أُبي

وما بهِ إلى تعجُّبٍ وُصِلْ لمانعٍ به إلى التفضيلِ صِلْ

ومن ذلك أيضا قول ابن هشام: «إنما يصاغ أفعل التفضيل مما يصاغ منه فعلا التعجب»[3]. ونظيره قول الأشموني: «صُغ من كل مصوغ منه للتعجب اسما موازنا أفعل للتفضيل قياسا مطّردا»[4].

---

[3] (النحو العربي بين التعليم والتخصص)، محمد خان، اللسان العربي، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، ع45، صفر1419هـ-يونيو (حزيران)1998م، ص96.

[1] اللغة العربية معناها ومبناها، ص114. وجدير بالذكر أنّ صاحبة البحث تختلف مع تمام حسان في قوله بعدم دخول خالفة التعجب في جدول إسنادي، فالخوالف -باستثناء خوالف الأصوات- تؤلف مع غيرها تراكيب إسنادية، سواء أكانت للتعجب، أم للمدح والذم، أم للإحالة.

[2] الألفية، ص39.

ويجري عباس حسن من المحدثين على المنوال نفسه، فينص على أنّ أفعل التفضيل يصاغ من مصدر الفعل الذي يراد التفضيل في معناه بشرط استيفاء كل شروط التعجب[5].

وشروط أفعل التفضيل التي تنسحب على أفعل التعجب هي أن يكون الفعل المصوغ من مصدره «ثلاثيا، متصرفا، تاما، غير منفي، قابلا معناه للتفاوت، ليس الوصف منه على أفعل فعلاء، غيرَ مبني للمفعول، لم يستغن عنه بالمصوغ من غيره، نحو: قال من القائلة، فإنهم لا يقولون ما أقيَلَه استغناء بما أكثر قائلتَه!»[1].

2. الرتبة: الرتبة بين أجزاء صيغتي التعجب محفوظة،فلا يتقدم على خالفة التعجب المتعجَّب منه، كما لا يتصرف فيها بتقديم ولا تأخير ولا فصل، فلا يقال: عبدَ الله ما أحسنَ، ولا ما عبدَ الله أحسنَ، ولا بزيدٍ أكرمْ؛ ذلك أنّ صيغ التعجب مسكوكة تجري مجرى الأمثال، حيث لا يجوز تغيير صورة المثل عن وضعه الأول، وقد جاز الفصل على خلاف الأصل في المواضع التالية:

الموضع الأول: الفصل بـ(كان) الزائدة: يجوز الفصل بين (ما) وخالفة التعجب بكان الزائدة، نحو: ما كان أعدلَ عمر (رضي الله عنه)! والسبب في زيادة (كان) هو أنّ أفعل التعجب لا أثر للزمن فيه على الأرجح؛ لأنه صار مع التعجب إنشاءً لمجرد التعجب، مسلوب الدلالة على الماضي[2]، فلما دخلت (كان) بقيت محتفظة بدلالتها الزمنية الأولى. وإن قُصِد الاستقبالُ جيء بها بصيغة المضارع (يكون)، أو بنحوها كالظروف الدالة على الاستقبال، أو بما في معناها للنص على التقييد بالزمن الحالي. وإن روم الزمن الماضي جيء بـ(كان) أو (أمسى) للنص على التقييد بالمضيّ.

---

[3] أوضح المسالك، 286/3.

[4] شرح الأشموني، 299/2.

[5] ينظر: النحو الوافي، 395/3-396.

[1] الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص94-95. ولمزيد من التفصيل ينظر: منهج الصواب في علم الإعراب، ابن رحمة الحويزي، تحقيق: عبد الرحمن كريم اللامي، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2002م، ص144. وينظر أيضا: النحو الوافي، 349/3 إلى 352.

[2] ينظر: النحو الوافي، 361/3.

فلا مناص من وجود قرينة دالة على التقييد المقصود، وبغير هذا التقييد تنسلخ الجملة التعجبية من الدلالة الزمنية انسلاخا كلّيّا[3].

فـ(كان) تنقل التعجب –إذن – من اللحظة الحاضرة إلى الماضية، وهو في هذه الحالة تعجب غير مباشر، يوظف للتعبير عن حالات انصرمت، فهو مختلف تمام الاختلاف عن التعجب المباشر في أنه لا يقوى على حمل العواطف والمشاعر التي يتكفل بحملها التعجب المباشر، فهو تعبير مفرغ من معناه الأصلي. فالتعجب الحق هو ذاك الانفعال الذي يتأجج في النفس في غمرة دهشتها دون تقيّد بالدلالة الماضوية أو الاستقبالية. أما التعجب غير المباشر، فنقل للتعبير عن المتعجِب، حيث يُرْوَى كأيِّ خبر عادي، مفتقدا بذلك حيويته[1].

الموضع الثاني: الفصل بالظرف: يجوز الفصل بين خالفة التعجب والمتعجب منه بالظرف، مثل: ما أثبَتَ لحظةَ الهولِ المؤمنَ![2].

الموضع الثالث: الفصل بالجار والمجرور: يجوز الفصل بين خالفة التعجب والمتعجب منه بالجار والمجرور، ومن ذلك قول العرب: ما أحسنَ بالرجل أن يَصدُقَ، وما أقبحَ به أن يكذب![3].

ويجب الفصل بينهما إذا كان المتعجب منه مشتملا على ضمير يعود على المجرور، نحو: ما أحقَّ بالمريض أن يصبَر![4].

وقد أجاز الجرمي(ت225هـ) من البصريين الفصل بينهما بالحال وبالمصدر، نحو: ما أحسنَ إحسانا زيدا!، ومذهب الجمهور المنع في المسألتين[5].

وإنَّ منهم من أجاز الفصل بالمنادى، ومنه قول علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لما قُتل عمار بن ياسر: «أعززْ عليَّ أبا اليقظان أن أراك صريعا مُجَدَّلا»[6].

---

[3] ينظر: المرجع السابق (الهامش).

[1] ينظر: التعجب:صيغه وأبنيته، ص34.

[2] ينظر: النحو المصفى، ص567.

[3] ينظر: أوضح المسالك، 263/3.

[4] ينظر: شرح الأشموني، 273/2. وينظر: النحو الوافي، 359/3.

[5] ينظر: ارتشاف الضرب، 2071/4.

[6] المصدر السابق. وشرح الأشموني، 273/2.

وأجاز ابن كيسان الفصل بـــ(لولا)، نحو: ما أحسن لولا بُخْلُه زيدا.[7]

3-الجمـــود:خالفتا التعجب لا تدخلان ضمن جدول تصريفي البتة، لجمودهما بعد استخلاصهما لإنشاء التعجب؛ ولأجل ذلك لا يجوز أن يتقدم عليهما المتعجب منـــه، ولا يصح أن تلحقهما علامات المطابقة العددية أو النوعية. ولكن إذا ما اتصل بآخرهما ضمير بارز عائد على المتعجب منه وجب تطابُقُه مع مرجعه، نحو: الزارعُ ما أنفعَـــه!، والزارعةُ ما أنفعَها! والجنديانِ ما أشجعَهما! والوالداتُ ما أشفقَهنَّ![1].

4-يجب أن يكون المتعجب منه معرفة، أو نكرة مختصة؛لجني محصول الفائدة المطلوب، وهو التعجب من حال شخص مخصص، فلا جواز أن يقال: ما أحســـنَ رجـــلا! أو أحسنْ برجل، فإن قلت: ما أحسنَ رجلا يفعل الخير!، أو أحسِنْ بقـــائم بالواجـــب! كان جائزا لحصول الفائـــدة.[2]ولولا هذا الشرط لكان التعجب- على حـــد قـــول عباس حسن- لغوا لا فائدة تحصل منـــه.[3]

5-يجوز حذف المتعجب منه سواء أكان منصوبا أم مجرورا في إحدى الحالتين:[4]

- أن يكون ضميرا يدل عليه دليل الحذف، وفيه يقول ابن مالك:[5]

وحَذْفَ ما منه تَعَجَّبْتَ استَبِحْ إنْ كان عندَ الحذْفِ معناه يَصِحْ

ونظيره قول علي (كرم الله وجهه):[6]

جَزَى اللهُ عَنّا والجزاءُ بِفضْلـــهِ ربيعةَ خيراً، ما أعَفَّ وأكْـــرَما!

أي: ما أعفَّهم وأكرمَهم!

- أن تكون خالفة التعجب هي (أفعِلْ)، وقد حذف المتعجب منه، وحـــذف معه حرف الجر، وقبلها خالفة تعجب نظيرة لها، ولها متعجَّب منه مذكور مماثـــل

---

[7] ينظر: شرح الأشموني، 273/2.

[1] ينظر: النحو الوافي، 357/3.

[2] ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا-بيروت،ط1422،39هـ-2001م، 70/1.

[3] ينظر: النحو الوافي، 360/3.

[4] ينظر: المرجع نفسه.

[5] الألفيـــة، ص38.

[6] ديوانه، جمع: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص171.

للمتعجب منه المحذوف مع حرف الجر، نحو قوله عزّ من قائل: (أَسْمِعْ بِهِمْ وأَبْصِرْ).[7]

6-يجوز حذف الباء الداخلة على المتعجب منه، شريطة أن يكون هذا الأخير مصدرا مؤَوَّلا[8]، نحو قول الشاعر:[1]

وقالَ نَبيُّ المسلمينَ: تقدَّموا أَحْبِبْ إلينا أنْ تكونَ المُقَدَّما!

هذه –بعامة– أهمُّ الأحكام النحوية التي يمكن أن تساق في سبيل تمحيص ضوابط التعجب القياسي، واستجلاء خصائصه التركيبية.

ثانيا– عبارات التعجب السماعية: هي مطلقةٌ لا تحديدَ لها ولا ضابط، وهي متروكة لمقدرة المتكلم، ومترلته البلاغية، ولا تفهم إلا بتضافر القرينة[2]، لم يولها النحويون العناية، ولم يسبغوا عليها الاهتمام مع أنها أوسع مجالا من سابقتها، فأشاحوا عنها، وتركوها ممزقة شرَّ مُمَزَّقٍ في كتب اللغويين، لا يجمعها باب، ولا يستقلُّ بها كتاب. وتتخذ لها الصور التالية:

1. **النداء التعجبي**: وقد مزّق النحويون أوصاله في مباحث نحوية عدة، وقد عبر الزركشي(ت784هـ) عنه بعنوان: (وضع النداء موضع التعجب)،[3]والأصل فيه إدخال لام الجر مفتوحة على المتعجب منه، مسبوقة بحرف النداء (يا) نحو: يا للماء! يا للسماء! يا للعجب! يا للهول! وقد تحذف اللام فيجاء بألف في آخر المتعجب منه، نحو: يا عجبا! يا هولا!.

وفارق القيمة بين الصورتين أنّ في الأخيرة مدّا للصوت زيادةً في التعجب ومبالغة فيه، وهذا أكثر ما يكون فيما كان فيه عاطفة قوية دافقة.

والتعجب عن طريق النداء يجري على وجهين:[4]

---

[7] مريم/38.

[8] ينظر: النحو الوافي، 340/3.

[1] ديوان العباس بن مرداس، جمع وتحقيق: يحيى الجبوري، نشر مديرية الثقافة العامة في وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية، بغداد، ط1، 1968م، ص106.

[2] ينظر: النحو الوافي، 340/3.

[3] ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ،353/3.

[4] ينظر: شرح التصريح، 181/2.

- أن يرى المتعجِب أمرا عظيما، فيتعجب منه بنداء جنسه نحو: يا للماء! ويا للدواهي! تعجبا من كثرتها.
- أن يرى أمرا يستعظمه، فينادي من له نسبة إليه أو مكنة فيه، نحو: يا للعلماء! ونظير ذلك أن تسمع قصيدة تهتز لها فتقول: يا للشعراء![5]

وجدير بالذكر أن التعجب بالنداء قياس مطَّرِد[1]، فالاعتداد بقياسيته أجدر من المضيّ إلى سماعيته التي درج عليها النحويون قديما. وإليه ذهب جميل علوش بقوله: ((وبوسعنا أن نستعين بهذه الصيغة للتعجب من كل اسم في الوجود نلمح من الغرابة أو من مخالفة العادة أو من تجاوز ما هو معهود فيه أو التفوق على ما هو معروف عندما يبهر ويهول))[2]. فحقيق بهذه الصيغة أن تستلحق بالصيغ القياسية لا العبارات السماعية؛ نظرا لكونها لا تحفظ فقط، بل تنقاس أيضا.

2.الاستفهام التعجبي: الاستفهام أسلوب لغوي إنشائي تحدده مناسبات القول أساسه طلب الفهم، ويتحقق بأدوات كثيرة على اختلاف ما يراد فهمه. وقد يخرج عن أصل وضعه؛ ليفيد معانيَ سوى طلب حصول صورة الشيء في الذهن من تنبيه، واستبطاء، وتعجب، وإنكار، وتقرير، ونحوها؛ تبعا لملابسات القول، وما يستتبعها من تلوين الخطاب بقيّم صوتية وإشارية مختلفة لها القدرة على الإفصاح عن المعنى المطلوب، والوظيفة المتوخاة. يقول محمد محمد أبو موسى في هذا الصدد:((ولذلك تجد المتكلم يعمد أحيانا إلى الصوت فيرفعه أو يخفضه أو يوزع علوه وانخفاضه في تقطّعات وتنغيمات معينة يريد بذلك وغيرِه أن يُحَمِّل الأنغام ما أحسَّ أنه تَفَلَّتَ من الكلمات و التراكيب، بل إنك تراه أحيانا يشير بيده إشارات قصيرة هادئة أو طويلة قوية ...))[3].

فالاستفهام –إذن– قد يخرج من دائرة الطلب إلى دائرة التعجب، فيصير مجرد تركيب يفصح عما يضطرب في النفس من انفعالات وأحاسيس، وهو في ذلك لا

---

[5] ينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط1، 1420هـ–2000م، 291/4

[1] ينظر: المرجع السابق.

[2] التعجب:صيغه وأبنيته، ص81.

[3] دلالات التراكيب، ص218.

ينضبط بقواعد نحوية دقيقة تؤهله لأن يتشرّبَ هذه القيمة التعبيرية الطارئة، بل إن المقام الذي يحيط بالمقال هو الكفيل بتحديد الغرض، وإماطة اللثام عن المعنى الراجح من المعنى المرجوح.

وحريٌّ بالذكر أن جميع أدوات الاستفهام قد تخرج عن أصل وضعها؛ لتفيد معنى التعجب، ومن أضربها قوله تعالى:

- ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾[1] وفيه تعجيب للمخاطَب.[2]
- ﴿وهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ﴾[3]، فقد جاء في (شرح الجلالين) تعليقا على هذه الآية «معنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق لسماع ما بعده».[4]
- ﴿وأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ اَلْمَيْمَنَةِ وأَصَحابُ الْمَشْأَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ﴾[5]، والمراد تعجيب السامعين من شأن الفريقين فخامةً وفظاعة.[6]
- ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[7]؛ أي: كيف يُصرفون عن الحق، وهو تعجيب من حالهم.[8]
- ﴿فكَيْفَ كانَ عِقَابِ﴾[9] وهوتعجيب وتعظيم.[10]

3.التعجب بتعبيرات معينة:

أ–التعجب بـ(كفى) وما بمعناها: ويتحقق ذلك إذا ما زيد على مرفوعها الباء، نحو قوله

---

[1] العلق/9-10.

[2] ينظر: معالم التنزيل، أبو محمد البغوي، دار المعرفة، بيروت، 1407هـ-1987م، 508/4.

[3] ص/21.

[4] تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، (د.ت)، ص600.

[5] الواقعة/8-9.

[6] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)،189/8.

[7] المائدة/75. التوبة/30. العنكبوت/61. الزخرف/87. المنافقون/4.

[8] ينظر: إرشاد العقل السليم، 252/8.

[9] الرعد/32. غافر/5.

[10] ينظر: تفسير البيضاوي، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، 1416هـ-1996م، 84/5. وينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د.ت)، 66/4.

(صلى الله عليه وسلم): «كفى بالمرءِ إثما أنْ يُحَدِّثَ بكلِّ ما سَمِعَ»[11]، وقوله جلَّ ثناؤه: (كَفَىَ بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ)[12].

وتجري مجراها (حسبُ)، نحو: حسبُكَ به رَجُلا! مع جواز حذف الباء ورفع الضمير، وجواز إدخال من في (رجل).[1]

ب–التعجب بـ (أيّ) الكمالية: وذلك في نحو قول القائل: مررت برجل أيَّما رجل!، حيث يؤتى بـ(أيّ) للدلالة على وصف الشيء بالكمال، والتعجب من حاله «فأيما نعت للرجل في كماله وبذّه غيره».[2]

ج– التعجب بإدخال (ربّ) على الضمير وتفسيره بالتمييز: نحو قول الشاعر:[3]

رُبَّه فِتْيَةً دعوت إلى ما يُورِثُ المَجْدَ دائِمًا فأَجابُوا

د– التعجب بـ(لله دره): **نحو**: لله درُّه فارسا!؛ أي: لله لبنُه؛ بمعنى أن الله سقاه لبنا خاصّا، فصار فارسا يُتَعَجَّبُ منه، وقريب منه (لله أبوه!) و(لله أنتَ!).[4]

هـ– التعجب بلام القسم: نحو: لله لا يؤَخَّرُ الأجَلُ ![5] يقول الرضي: «قولهم في التعجب يعنون في الأمر العظيم الذي يستحق أن يتعجب منه فلا يقال لله لقد قام زيد بل يستعمل في الأمور العظام».[6]

و– التعجب بـ (ما هذا بَشَرًا[7]): قالته النسوة في يوسف (عليه السلام) «لما استعظمن صورته»[8].

---

[11] سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (د.ت)، 298/4. وصحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ–1993م، 213/1. والمستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ–1990م، 195/1.

[12] الرعد/43. الإسراء/96.

[1] ينظر: همع الهوامع، 63/5.

[2] الكتاب، 422/1.

[3] قائله مجهول، وهو من شواهد شرح الأشموني، 66/2، وهمع الهوامع، 180/4.

[4] ينظر: معاني النحو، 295/4.

[5] ينظر: شرح الكافية، 329/2. وينظر: همع الهوامع، 64/5.

[6] شرح الكافية، 329/2.

[7] يوسف/31.

[8] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 235/2.

ز- التعجب بـــ: بعض المصادر النائبة عن أفعالها: كـــ: سُبحانَ اللهِ، ومعـــاذَ اللهِ، ووَيْلَه، وويحه، وويْسَه، ونحوها.[9]

ح- التعجب بـــ (ما أنتِ جارةً): بالنصب على التمييز.[10]

ط- التعجب بـــ: (لا إله إلا الله).[1]

ي-التعجب بـــ: (واها): نحو: واها له ناهيا.[2]

ك-التعجب بـــ (هذا الرجل): وأنت تريد أن ترفع شأنه.[3]

ل-التعجب بـــ: (تالله رجلا).[4]

م-التعجب بمثل: (لا كالعشية زائرا): يقول سيبويه: «فلا يكون إلا نصبا من قبل أنّ العشية ليست بالزائر، وإنما أراد: لا أرى كالعشية زائرا، كما تقول: ما رأيت كاليوم رجلا، فكاليوم كقولك في اليوم، لأن الكاف ليست باسم. وفيه معنى التعجب».[5]

هذا غيض من فيض، وما من سبيل إلى حصر عبارات التعجب السماعية؛ لأن معنى التعجب الذي تتشرّبه يساق إليها من قِبَلِ الاستعمال، بحيث تفرغ العبارة مـــن معناها الأصلي؛ لتتمحّض للدلالة على المعنى التعجبي، وليس يخفى ما للنغمة الصـــاعدة من أثر في استخلاص العبارة لحمل هذا المعنى الانفعالي الذي لا يمكنه أن يؤدى بنغمـــة ثابتة لا أثرَ للتوتر فيها، فهذا ليس سبيلَ اللغة الانفعالية على الإطلاق، وقـــد يكـــون أدخل في سياقات اللغة المنطقية التي تتسم بالهدوء الذي يساعد على ترتيـــب الفكـــر وعدم تشويشه.

---

[9] ينظر: التعجب: صيغه وأبنيته، ص134.

[10] ينظر: همع الهوامع، 63/5.

[1] ينظر: المصدر السابق.

[2] ينظر: المصدر نفسه.

[3] ينظر: المصدر نفسه.

[4] ينظر: الكتاب، 293/2.

[5] ينظر: المصدر نفسه.

المبحث الثاني:
تركيب المدح والذم

إنه تركيب تأثري إفصاحي قائم على أساس من الإفصاح عن انفعال يعرض للنفس الإنسانية إزاء موضوع يستحق أن يمتدح أو أن يذم، فهو معقود أساسا بالوظيفة الانفعالية التي يفصح فيها المرسِل عن شعوره بالرضا أو الاشمئزاز على سبيل المبالغة[1] في إنشاء المدح أو الذم. ومن ثمة فهو ليس عرضة للتصديق أو التكذيب؛ مما يجعله مسوقا وفق المصطلحية البلاغية إلى دائرة الإنشاء غير الطلبي.[2]

والصيغ التي تتكفل بالإفصاح عن هذين المعنيين المتقابلين يمكن النظر إليها من زاويتي العموم والخصوص على نحو ما يتضح:

صيغ المدح والذم العامة:

يفسر الرضي معنى إنشاء المدح والذم العام بقوله: «وذلك أنك إذا قلت: نِعْم الرجلُ زيدا، فإنما تنشئ المدح وتحدثه بهذا اللفظ وليس المدح موجودا في الخارج في أحد الأزمنة مقصودا مطابقة هذا الكلام إياه حتى يكون خبرا، بل تقصد بهذا الكلام مدحه على جودته الحاصلة خارجا ولو كان إخبارا صرفا عن جودته خارجا لدخله التصديق والتكذيب. فقول الأعرابي لمن بشره بمولودة وقال: نعم المولودة، والله ما هي بنعم المولودة ليس تكذيبا له في المدح إذ لا يمكن تكذيبه فيه، بل هو إخبار بأن الجودة التي حكمت بحصولها في الخارج ليست بحاصلة فهو إنشاء جزؤه الخبر»[3].

---

[1] جاء في (لمع ابن جني، ص200): ((اعلم أنّ نعم وبئس فعلان ماضيان غير متصرفين، ومعناهما المبالغة في المدح والذم)).

[2] ينظر: البحث، ص.....

[3] شرح الكافية، 311/2.

ويتوسل إلى الإفصاح عن هذا المعنى العام بصيغتي: (نعم)، و(بئس)؛ فالأولى لإنشاء المدح العام، والثانية لإنشاء الذم العام. قال سيبويه: «وأصل نعم وبئس نَعِم وبئس، وهما الأصلان اللذان وضعا في الرداءة والصلاح، ولا يكون منهما فعل لغير هذا المعنى ».[4]ومن شأنهما أن يستغرقا المدح والذم، فأولاهما موضوعة لأعلى مراتب المدح، وثانيهما موضوعة لأعلى مراتب الذم

وتجدر الإشارة إلى أن تركيب المدح والذم الذي تكون قوامه هاتان الصيغتان يجيء مؤلفا من خلال تجاور الأركان التالية: صيغة ذم أو مدح + اسم مرفوع + مخصوص بالمدح أو الذم وهذا بيانها:

الركن الأول: الصيغـــــة:

وفيها أربع لغات (نَعِمَ وبَئِسَ) على التمام، و(نِعِم وبِئِس) و(نِعْمَ وبِـئْسَ) و(نَعْـمَ وبَئْسَ)، وهذه الوجوه تطّرد في كل ذي عين حلقية اسما كان أم فعلا.[1]

ويقال في بِئس(بَيْس) بفتح الباء وتسكين ياء مبدلة من الهمزة على غير قياس، مثلما يقال في نعم (نَعِمَ) بالإشباع، وحملها بعض النحويين على الشذوذ، وقيل الأفصح لغةً: نِعْمَ، ثم نِعِمَ، ثم نَعِمَ، ثم نَعْمَ.[2]

وقد اختلف النحاة في سبيل تحديد بنيتيهما الصرفيتين شديد الاختلاف، وتجنبوا الإنصاف، فمضى فريق إلى أنهما فعلان ماضيان جامدان موضوعان لإنشاء المدح والذم على سبيل المبالغة[3]، ومضى آخر إلى كونهما اسمين بنيا لتضمنهما معنى الإنشاء[4]، وتفصيل الحديث في هذه المسألة الخلافية فيما يلي:

يرى البصريون ومعهم الكسائي من الكوفيين أنّ (نعم) و(بئس) صيغتان فعليتان ماضويتان لا تتصرفان، واستدلوا على وجهة نظرهم بالقيّم الشكلية التالية:[5]

1.اتصال الضمير المرفق بهما على حدّ اتصاله بالأفعال، فيقال: نِعْما رجلين، ونِعْموا رجالا، وحكى ذلك الكسائي.

---

[4] الكتاب، 179/2.

[1] ينظر: المقتضب، 140/2. وينظر: شرح الكافية، 312/2. وينظر: همع الهوامع، 28/5.

[2] ينظر: همع الهوامع، 29/5.

[3] ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، ص126.

[4] ينظر: الموفي في النحو الكوفي، ص87.

[5] ينظر: ينظر: الإنصاف، 104/1. وينظر:أسرار العربية، ص102.

2. اتصالهما بتاء التأنيث الساكنة، وهي تختص بلحوق الفعل الماضي ولا تتعداه، نحو: نِعْمَت المرأة، وبئست الجارية.

بينما احتجّ الكوفيون، خلا علي بن حمزة الكسائي، بأن قالوا: الدليل على أنهما اسمان، و ليسا بفعلين توفرهما على القيم الشكلية والوظيفية التالية: [6]

1..دخول حروف الجر عليهما، ونظير ذلك قول العرب (ما زيد بِنِعْمَ الرجلُ)، وقول بعض الفصحاء (نِعْمَ السَيْرُعلى بِئْسَ العيْرُ)، ومنه أيضا ما روي من أن أعرابيا بشر بمولودة فقيل له: نعم المولودة مولودتك! فقال: والله ما هي بنعم المولودة، نُصرتُها بكاء، وبرها سرقة.

2.نداؤهما دليل على اسميتهما، من ذلك قول العرب: يا نِعم المولى ونعم النصير، فلو كانت (نعم) فعلا لما توجه إليهما النداء؛ لأنه من أمارات الفعل.

3.عدم اقتران الزمن الصرفي بهما دليل اسميتهما؛ إذ لا يحسن القول: نعم الرجل أمس، ونعم الرجل غدا، علما أن الزمن من مقومات الأفعال، فلما لم يحسن اقتران الزمن بهما عُلم أنهما ليسا بفعلين.

4. عدم التصرف دليل على اسميتهما.

5. ثبت عن العرب قولهم: نَعيم الرجلُ زيدٌ، وليس من أمثلة الأفعال شيء على وزن فعيل.

التوجيه الإعرابي للصيغتين:

ذهب الكوفيون إلى أن (نعم) و(بئس) اسمان مبتدآن[1] صارا مع مرفوعهما محكيين نقلا عن أصلهما كتأبط شرا، وشاب قرناها، ونحوِ ذلك من الأسماء المحكية المنقولة عن تركيب إسنادي تام.[2]

ومضى البصرية إلى أنهما فعلان ماضيان يؤلفان –بعد الإسناد إلى الفاعل– جملتين فعليتين واقعتين خبرا للاسم المخصوص.[3]

الركن الثاني: الاسم المرفوع الممدوح أو المذموم: جمهور النحويين على أن فاعل نعم وبئس على ضربين:[4]

---

[6] ينظر: أسرار العربية، ص102. وينظر: الإنصاف، 97/1 إلى 104..

[1] ينظر: الإنصاف، 97/1.

[2] ينظر: همع الهوامع، 27/5.

[3] ينظر: المصدر نفسه.

[4] ينظر: المصدر نفسه، 29/5 إلى33.

الضرب الأول: أن يكون اسما ظاهرا معرفا بـــ((أل))، نحو: (نِعْمَ المَوْلى)[5]، و(لبـــئْسَ المِهادُ)[6]، أو مضافا لما هي فيه نحو: (وَلَنِعْمَ دارُ المُتَّقِينَ)[7]، و(فَبِئْسَ مَثْـــوى المُتَكَبِّـــرينَ)[8]، أو مضافا لمضاف إليه، نحو قول الشاعر: [9]

فإنْ يكُ فَقْعَسٌ بانَتْ وبِنّا فَنِعْمَ ذوو مجاملةِ الخَليلِ

أو مضافا إلى ضمير عائد على ما هي فيه، كقول الشاعر العربي: [1]

فنِعْم أَخـــو الهَيْجـــــا ونِعْمَ شِهابُـــــــــها

وقد أجاز الكوفية إضافته إلى نكرة، وشاهدهم قول الشاعر: [2]

فنِعْمَ صاحبُ قومٍ لا سلاحَ لهم وصاحِبُ الرَّكْبِ عثمانُ بنُ عَفّانا

وهو محمول عند جمهور النحويين على الضرورة. [3]

واختلف في (أل) بين كونها للجنس، أو للعهد الذهني؛ فقال الجمهـــور هـــي للجنس، واختلفوا على رأيين:

فقيل: هي للجنس حقيقة، والمخصوص به فرد من أفراده يندرج تحته، وفي ذلك مبالغة في إثبات المدح أو الذم للجنس[4]، وقد عبر سيبويه عن هذا المعنى بقولـــه: «إذا قلت: عبدُ الله نعم الرجلُ، فإنما تريد أن تجعله من أمة كلهم صالح، و لم ترد أن تعرِّف شيئا بعينه بالصلاح بعد نعم». [5]

وقيل: هي للجنس مجازا؛ إذ لما قصدوا المبالغة في المدح أو الذم عدّوا المدح إلى الجنس، و لم يقصدوا غير مدح المخصوص أوذمه[6].

---

[5] الأنفال/40.

[6] البقرة/206.

[7] النحل/30.

[8] غافر/76.

[9] قائله مجهول، وهو من شواهد همع الهوامع، 30/5.

[1] قائله مجهول، وتتمته غير موقوف عليها، وهو من شواهد: شرح الأشموني، 277/2، وهمع الهوامع، 30/5.

[2] من شواهد شرح الأشموني، 278/2، وهمع الهوامع، 36/5.

[3] ينظر: المصدران نفساهما.

[4] ينظر: همع الهوامع،30/5.

[5] الكتاب، 177/2.

[6] ينظر: شرح الأشموني، 280/2. وينظر: همع الهوامع، 30/5.

وذهب قوم إلى أنها عهدية، ولهم في تقرير ذلك قولان: [7] أحدهما: أنها للعهد الذهني، كما إذا قيل: اشترِ اللحم، فلا ينصرف الذهن إلى الجنس، بل إلى معهود ذهني. وثانيهما: أنها للعهد الشخصي، والمعهود هو الشخص الممدوح أو المذموم، واستدل هؤلاء بتثنيته وجمعه، فلو كان للجنس لم يجز فيه ذلك.

الضرب الثاني: أن يكون ضميرا مستترا مفسرا بتمييز مطابق للمعنى، خلافا للكسائي في منعه، نحو قوله تعالى: (وَ بِئْسَ للظَّالِمينَ بَدَلاً)[1]. ولهذا الضمير أحكام يمكن سوقها في النقاط الثلاث التالية: [2]

1. لا يبرز في تثنية ولا جمع، وأجاز ذلك قوم من الكوفيين وهو من الندرة بمكان.
2. لا يُتبَعُ، و أمّا خلافه فشاذٌّ.
3. إذا فُسِّر بمؤنث جاز أن تلحقه تاء التأنيث، نحو: نعمت امرأةً هندُ، ونعم امرأةً هند.

لمفسَّر هذا الضمير المحوَّل عن الفاعلية أيضا جملة من الأحكام النحوية، يتأتى إجمالها فيما يلي: [3]

1. أن يكون مؤخرا عنه وجوبا.
2. أن يتقدم على المخصوص اختيارا، وما كان متأخرا عنه فنادر، نحو: نعم زيدٌ رجلا.
3. أن يطابق المخصوص مطابقة عددية ونوعية.
4. أن يقبل (أل)؛ لأنه خَلَفٌ من فاعل مقرون بها.
5. أن يكون نكرة عامة، ومن ثمة لا يجوز: نِعم شمسا هذه الشمسُ.
6. أن يلزم ذكره غالبا حتى وإن فُهِم المعنى.

وتجدر الإشارة إلى أنه كثيرا ما تتصل (ما) بصيغتي المدح أو الذم فيقال: (نِعم ما) و(بئس ما)، وقد تدغم الميمان فيقال (نِعِمَّا) و(بئسما)، كما في قوله جل شأنه: (إنّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِه)[4]، و(بِئْسَما يأْمُرُكُمْ بِه إِيمانُكُم)[5]،واختُلِفَ فيهما على قولين،[6] وقيل على ثلاثة[7]:

---

[7] ينظر: شرح الأشموني، 280/2. وينظر: همع الهوامع، 31/5.

[1] الكهف/50.

[2] ينظر: شرح الأشموني، 284/2.

[3] ينظر: المصدر نفسه، 284/2-285.

[4] النساء/58.

الأول: أنها معرفة تامة فاعل بالفعل، وهو قول سيبويه، والمبرد، وابن السراج، والفارسي وقد اختلف القائلون بهذا على خمسة أقوال:

1.أنها اسم معرفة تام، والفعل صفة لمخصوص محذوف، وقال به ابن خروف.

2. أنها موصولة والفعل صلتها، والمخصوص محذوف، وقاله الفارسي.

3.أنها موصولة والفعل صلتها وهي فاعل، وقاله الفراء والكسائي.

4.أنها مصدرية.

5.أنها نكرة موصوفة في موضع رفع، والمخصوص محذوف.

الثاني: أنها في موضع نصب على التمييز، وقد اختلف القائلون به على ثلاثة أقوال:

1.أنها نكرة غير موصوفة، والفعل بعدها صفة لمخصوص محذوف.

2.أنها نكرة موصوفة بالفعل بعدها، والمخصوص محذوف، وهو مذهب الأخفش، والزجاجي، والزمخشري، وكثير من المتأخرين.

3.أنها تمييز والمخصوص (ما) أخرى موصولة محذوفة، والفعل صلة لـ(ما) الموصولة المحذوفة، وقد نُقِل عن الكسائي.

الثالث: أنها كافة، تبطل عمل صيغتي المدح والذم، فتدخلان آنذاك على الجملة الفعلية.

وقد نصّ فاضل صالح السامرائي على أن (ما) كلمة مبهمة، قد يكون الغرض منها الإبهام على السامع، كأن تقول: بئسما فعلت فلا تذكر المفعول؛ إما للعلم به، وإما لأنك لا تريد أن يُعْلم به. وقد يكون الغرض الإيجاز؛ نظرا لما في ذكر الفاعل من إطالة في الكلام، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾[1]، فالإتيان بـ(ما) للدلالة على امتداح جميع ما يعظ به المولى عزّوجلّ[2]

---

[5] البقرة/93.

[6] ينظر: همع الهوامع، 39/5.

[7] ينظر: شر ح الأشموني، 288/2-289.

[1] النساء/58.

[2] ينظر: معاني النحو، ص304.

الركن الثالث: المخصوص بالمدح أو الذم: يؤتى به مرفوعا مؤخرا عن الركنين السابقين أو مقدما عليهما، وقد يحذف للعلم به[3]، كقوله تعالى:(نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أوّابٌ)[4] ؛ أي: نعم العبْد أيوب، وقوله أيضا: (فَنِعْمَ الماهِدونَ)[5]؛ أي: فنعم الماهدون نحن.

وقد اختلف في إعرابه على أربعة أوجه: [6]

الوجه الأول: أنه مبتدأ خبره الجملة الفعلية قبله.

الوجه الثاني: أنه مبتدأ خبره محذوف .

الوجه الثالث: أنه خبر مبتدأه محذوف.

الوجه الرابع: بدل من الفاعل.

وقد رجّح فاضل صالح السامرائي[1] الوجه الأول، فعده وجيها، واستدل على ذلك من حيث:

1.لا يختلف إعرابه تقدما وتأخرا.

2.تدخل عليه النواسخ مقدما ومؤخرا نحو: نعم الرجل كان محمد، وكان محمد نعم الرجل، فدَلَّ ذلك على أنّ المخصوص مبتدأ.

هذه –بعامة– أهم الأقسام والأحكام التي يمكن سوقها في سبيل إيضاح بنية تركيب صيغتي المدح والذم العامين، وتليهما على الفور الصيغ الخاصة بهذا الأسلوب الإفصاحي.

صيغ المدح والذم الخاصة:

إنها صيغ ملحقة بـ(نعم) و(بئس) في إنشاء المدح أو الذم، ولكن على جهة الخصوص لا على جهة العموم. فهي صيغ منقولة من أفعال مستوفية شروط التعجب محوّلة إلى (فَعُلَ) سواء أكان الفعل مضموم العين أصالة كـ(ظَرُفَ)، أم تحويلا كـ(قَضُوَ) و(ضَرُبَ) بشرط تضمينه معنى التعجب،[2] فيصير بعد تحويله جامدا لازما مسلوب الدلالة على الزمن، وبهذا يفارق أصل وضعه الأول؛ لتشرّبه معنى انفعاليا جديدا.[2]

---

[3] ينظر: المفصل في علم اللغة، ص327.

[4] ص/44.

[5] الذاريات/48.

[6] ينظر: همع الهوامع، 41/5.

[1] ينظر: معاني النحو، 305/4.

[2] ينظر: شرح الكافية في النحو، 318/2. وينظر: شرح الأشموني، 292/2.

[2] يذكر أنّ العرب شذّت في ثلاثة ألفاظ فلم تحولها إلى (فَعُلَ) بل استعملتها استعمال (نعم)و(بئس) من غير تحويل، وهي: سَمِعَ، وجَهِلَ، وعَلِمَ، وقد قال ذلك الكسائي. ينظر: شرح الأشموني، 293/2. وينظر: همع الهوامع، 44/5.

ومن أظهر أمثلة هذا النوع انتشارا في الاستعمالات اللغوية صيغتا: (ساء) و(حبّذا) إيجابا ونفيا.

1.**صيغة ساء:** أصلها (سَوَأَ) بالفتح، فحولت إلى (فَعُلَ) بالضم، ثم ضمّنت معنى الذم، فصارت جامدة قاصرة، وإن كانت في أصلها متصرفة متعدية، إذ تقول: ساءني ويسوؤني الأمر. وقد أفردت هذه الصيغة بالذكر في كتب النحويين لخفاء التحويل فيها،[4] وقيل للاتفاق عليها.[5] ومن أمثلتها قوله تعالى: (فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرينَ)[1]،و(ساءَ مَثَلًا القَوْمُ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا)[2]،و(ألا ساءَ ما يَزِرونَ).[3]

2.صيغة حبّذا: تجري مجرى (نِعم) في المدح، مع زيادة أن الممدوح فيها محبوب للقلب.[4] يقول ابن الأنباري في شأن ذلك: «ومعناها المدح، وتقريب الممدوح من القلب»[5]. ويقول الأشموني أيضا: «ومثل (نِعْمَ) في المعنى (حَبَذا) وتزيد عليها بأنها تُشْعِر بأن الممدوح محبوب وقريب من النفس».[6] ولا يخفى ما في هذا الإقرار من قيمة انفعالية جلية لا خفاء بها، ومن شواهدها في الاستعمال قول جرير: [7]

يا حبَّذا جَبَلُ الرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وحبَّذا ساكِنُ الريّانِ مَنْ كانا

والأصل فيها: (حَبُبَ ذا)، فاستثقلوا اجتماع حرفين متحركين متجانسين، فحذفوا حركة الحرف الأول، وأدغموه في الثاني، فصار (حَبَّ)، ثم ركّبوه مع (ذا)، فصار (حبذا). واستدل النحاة على هذا الأصل المقول به بالوجهين التاليين:

1.اسم الفاعل منه (حبيب) على زنة (فعيل)، وهذا الأخير أكثر ما يجيء فعله على (فَعُل)، نحو: لَطُفَ فهو لطيف، وشَرُفَ فهو شريف.

---

[4] ينظر: الأشموني، 292/2.

[5] ينظر: همع الهوامع، 43/5.

[1] الصافات/177.

[2] الأعراف/177.

[3] الأنعام/31.

[4] ينظر: همع الهوامع، 45/5. واللمع، ص202.

[5] أسرار العربية، ص111.

[6] شرح الأشموني، 293/2.

[7] ديوانه، ص596.

2.حُكي عن بعض العرب نقلهم الضمة من الباء إلى الحاء، فدلّ ذلك على أن أصله: فَعُل.[8]

و(حبذا) إذا أريد بها إنشاء الذم صدّرت بـ(لا) النافية فصارت(لا حبذا)، ولا خلاف بين تركيبي الصيغتين إلا من حيث زيادة أداة النفي، لسلب الدلالة على المدح، وتحويلها إلى معنى الذم، وفيه قال ابن مالك: [9]

وَمِثْلُ نِعْمَ حَبَّذا، الفاعلُ ذَا وإن تُرِدْ ذمًّا فَقُلْ:لا حبذا

ومن شواهد هذه الصيغة قول الشاعر: [1]

ألا حبَّذا أهْلُ الملا غَيْرَ أنَّه إذا ذُكِرت ميٌّ فلا حبَّذا هِيا.

ومما يلاحظ-ههنا- أن النحويين اختلفوا بخصوص تفسير هاته الصيغة وتوجيههما اختلافا كبيرا، فمضى قوم إلى أنها مركبة من الفعل (حَبَّ) وفاعلها (ذا)، فإذا قيل: حبذا زيد، يصير (زيد) مبتدأ والجملة قبله خبره، وهي رتبة محفوظة لا معدل عنها، «وإنما التزم ذلك لأنها كالمثل والأمثال لا تتغير».[2]

وقيل: الكلُّ اسم مركب، قاله الخليل بن أحمد فيما رواه عنه سيبويه «وزعم الخليل رحمه الله أن حبذا بمنزلة حبّ الشيءُ، ولكن ذا وحبّ بمنزلة كلمة واحدة نحو لولا، وهو اسم مرفوع».[3] وقاله -أيضا- المبرد في (مقتضبه)[4]، وخرجه على أساس كونه مبتدأ.

والقول باسمية هذه الصيغة بعد التركيب مذهب أكثر النحويين؛ لأن الاسم أقوى من الفعل، فكان التغليب للأقوى الذي هو الاسم، دون الأضعف الذي هو الفعل، وذهب الأخفش إلى أن المغلب عليها الفعلية لأن قوة التغليب للجزء الأول وهو الفعل، وذهب فريق آخر من النحويين إلى أنها لا يغلب عليها أي جزء، فهي جملة مركبة من فعل ماض واسم إشارة هو فاعل.[5]

---

[8] ينظر: أسرار العربية، ص111-112.

[9] الألفية، ص 39.

[1] ديوان ذي الرمة، تحقيق: عبد القدوس أبي صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط1، 1980، ص192.

الملا: الأرض.

[2] همع الهوامع، 45/5.

[3] الكتاب، 180/2.

[4] ينظر: 145/2. وينظر: النحو العربي نقد وبناء، إبراهيم السامرائي، ص108.

[5] ينظر: أسرار العربية، ص112-113.

وتجدر الإشارة أن للنحاة في توجيههم المخصوص إعرابيا أوجها خمسة، تساق في النقاط التالية: [6]

1.حبذا: مبتدأ، والمخصوص خبره

2.حب: فعل، وذا فاعله، والمخصوص: بدل منه.

3.المخصوص خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو.

4. المخصوص مبتدأ، وحبذا خبره.

5.حبّ: فعل، ذا: زائدة، المخصوص فاعل.

أما النكرة التي تنتصب بعد المخصوص في نحو: حبذا زيد رجلا، فمختلف في تخريجها على خمسة أوجه[1]: فقيل على التمييز مطلقا، وقيل على الحالية مطلقا ، وقيل على التمييز إن كانت جامدة وعلى الحالية إن كانت مشتقة، وقيل المشتقُّ إذا أريد تقيد المدح به فحالٌ وغيره الجامد، والمشتق الذي لم يُرد به ذلك فتمييز. مثال الأول: حبذا هند مواصلةً، ومثال الثاني: حبذا زيد راكبا، وقيل: إنه منصوب (أعني) على الاختصاص.[2]

وقد ذهب فاضل صالح السامرائي إلى أنه بحسب المعنى، فقد يكون تمييزا وقد يكون حالا، ولا شأن للجمود والاشتقاق في المسألة؛ ذلك أنك تقول: حبذا الماء باردا، وتقول: حبذا المال مبذولا على الحالية في الموضعين. وتقول: حبذا قمحك خبزا على الحالية أيضا، وتقول: حبذا أخوك رجلا على التمييز. وقد يحتمل المعنيين معا في بعض التراكيب، وترجيحهم أحدهما لا يتمُّ إلا بمعرفة ما يراد تقييده به، فإن أريد تقييد المدح به فهو حال، وإن لم يُرد كان تمييزا.[3]

صيغ المدح والذم في ضوء النظر اللغوي:

لا شكّ أنّ ما استدلّ به الفريقان البصري والكوفي في سياق تحديد بنيتي صيغتي المدح والذم الأساسيتين سبيلُه أن يعصف بحججهما معا، ولا يبقي لهما أثرا، وموضع الزلل في ذلك كله حصرُ الجدال في دائرتي: الأسماء والأفعال دون إنعام النظر في مدى صحة هذا الحصر والقصر.

---

[6] ينظر: المصدر نفسه،ص 113-114.

[1] ينظر: المصدر نفسه، ص114.

[2] ينظر: همع الهوامع، 5/49-50.

[3] ينظر: معاني النحو، 4/309.

فلا ريب أنّ حجج الفريقين الداحضة لتصوريهما تنهض آية صدق على أنّ صيغ المدح والذم تخرج من القائمة التصنيفية التي ضيّق بها النحاة الخناق على هذا القسم من الكلم العربي إثر تقييده بها إلى قسم الخوالف المُفصِح عن القيّم الانفعالية من الخطاب. فمثلُ هذه الصيغ تؤسس مع نظيراتها لقسم مستقل من أقسام الكلم العربي يُدعى قسمَ الخوالف، وهو ينماز بجملة من القيم الشكلية والوظيفية التي تؤكد ضرورة إفراده بالاستقلالية بلا استلحاق أو استتباع.[4]

ويندرج في هذا السياق جميع ما كان مفصحا عن هذه القيمة التعبيرية، كـ: ساء وحبذا، وما جرى مجراهما من الصيغ المحوّلة.

إنّ الاضطراب الذي وقع فيه النحويون في سبيل تحديد ماهية هذه الألفاظ وتصنيفها ضمن القائمة الاسمية أو الفعلية «لتبدي للباحث الحديث أنّ معترك النحاة كان ميدان اجتهاد، وكأنهم وحدهم يملكون هذه اللغة فيصرفون أمرها ويفرقون أصولها ويجمعون شتاتها»[1]، وربما كان مرد هذا التصنيف تبويب هذه الكلمات ضمن خانة الاسمية أو الفعلية اعتمادهم على عناصر شكلية بحتة.

فحبذا –مثلا- ليست من قبيل الأسماء كما هي ليست من قبيل الأفعال، ولكنها «لفظة يعرب بها المعربون عن الحالات التي يمدحون فيها شيئا أو يستحسنونه، فإذا قالوا: حبذا الهواء فلا يعني هذا أنّ هناك إسنادا من قبل الجملة الاسمية أو الجملة الفعلية، بل إنّ القائل أراد أن يبدي إعجابه بالهواء مستحسنا طيبه فأرسل هذه العبارة».[2]

إنّ التسليم باسمية هذه الألفاظ لمجرد قبولها بعض علامات الاسم، مسألة تحتاج إلى تعميق النظر، كما أن الذين قالوا بفعلية هذه الألفاظ غفلوا على أن هذين اللفظين لا يقبلان من علامات الأفعال إلا الترر اليسير، وهذا من شأنه أن يطعن في فعلية هذه الألفاظ.

فهذه الألفاظ تندرج ضمن ما يطلق عليه خالفة المدح والذم، هذه الأخيرة تشترك في سمات تميزها عن غيرها من أقسام الكلم العربي الأخرى، فرتبتها من ضميمتها محفوظة أبدا، وجميعها صيغ مسكوكة مقطوعة الصلة بغيرها من الناحية التصريفية، كما أنها مسلوبة

---

[4] ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص115.

[1] النحو العربي نقد وبناء، ص108.

[2] النحو العربي نقد وبناء، ص108.

الدلالة على الزمن، وهي تقوم بدور المسند دون المسند إليه،[3] وهي بهذه القيم المبنوية والمعنوية مؤهلة لإنشاء تركيب إفصاحي إنشائي يتحمل عبء التعبير عن المعنى الانفعالي الذي يُعَدُّ بحق أظهر مقومات لغة الوجدان.

والملاحظ أن تحليل النحويين القدامى للبنية الوظيفية لتركيب المدح والذم تحليل قاصر بحاجة إلى معاودة النظر وتعميقه من جديد على نحو ما يلي:

1.تركيب (نعم وبئس): جدير بالملاحظة انه مركب في الأشيع الأعم من علاقتي إسناد وهذا من شأنه أن ينشئ جملتين: كبرى وصغرى، ولكن له أن يتحول إلى تركيب إسنادي أحادي إذا ما استغنى عن مرفوعه عن طريق تحويله إلى تمييز، فليس هنالك داع آنذاك إلى القول بالإضمار ولاسيما أنّ التمييز حل محله وأغنى عنه، كما أن إظهاره مسألة خلافية، وفيها يقول ابن مالك[1]:

وجَمْعُ تَمْيِيزٍ وفاعِلٍ ظَهَرْ فيهِ خِلافٌ عَنْهُم قَدْ اشْتَهَرْ

ففي مثل قولنا: نعم الرجل زيد، أو زيد نعم الرجل، يمكن الخلوص إلى التحليل الوظيفي التالي المنتهي بأصغر الوحدات المرفولوجية الدالة، على نحو ما يظهره المشجران التاليان:

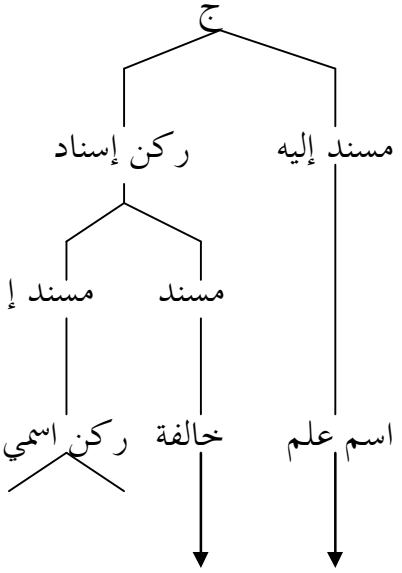

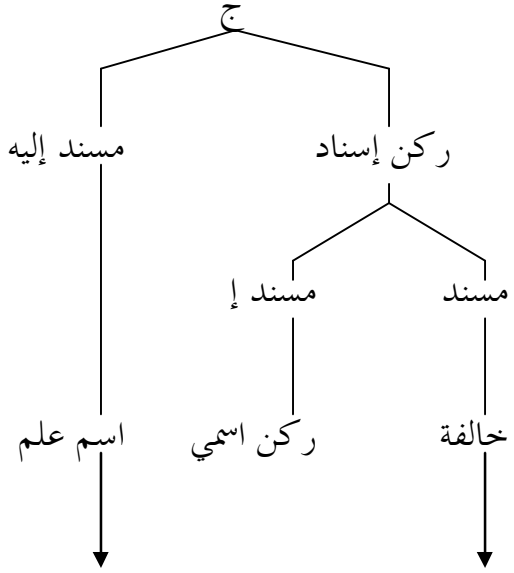

[3] ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص117-118.

[1] الألفية، ص39.

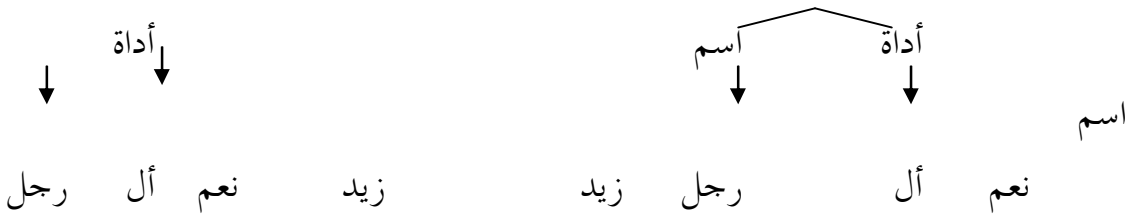

فالملاحظ أن المخصوص بالمدح أو الذم يشغل حيثما كان -متأخرا أو متقدما- وظيفة المسندِ إليه إما مركبٌ إسنادي، وقد تقدم التمثيل له، وإما مسندٌ على جهة الإفراد حينما يحل محل الاسم المرفوع اسمٌ منصوب يغني عن ذكره أو أداة هي (ما)[2]، أو حالما يرد المخصوص ضميرا موصولا، بيد أنه قد يُنسخ حكمُه، فيفارق وظيفة الإسناد، فيصير مفعولا به أولا والجملة التي تليه مفعولا به ثانيا إذا دخل عليه ما سبيله أن ينصب مفعولين كـ: أعلمت زيدا أخاه نعم الرجل. أما إذا دخلت عليه كان وأخواتها أو إنّ وأخواتها، فإنه يظل على حاله، ولا يفارق بابه، أو حالما يكون المخصوص موصوفا بمفرد أو جملة، نحو: (نعم الرجل الحليم)، و(نعم الرجل تستعين به)؛ أي: نعم الرجل رجل تستعين به، أو حالما يرد ضميرا موصولا كـ: نعم ما توعظون به، فالأصل: نعم الشيء ما (الذي) توعظون، وقد يحذف المخصوص إذا كان معلوما كما في: نعم مقامُ الشيخ، أو كما في حال أن يُسبق ب(يا) نحو: يا نعم المولى، فالأصل: نعم المولى أنت، ثم دخلت على التركيب أداة تنبيه.

ولنا في هذا التركيب تخريج آخر كأن يحمل (نعم المولى) على محمل الحكاية، ليكون اسما منادى . وجدير بالذكر أن تركيب المدح قد يعامل معاملة الاسم المفرد في أحايين ما، فيفقد الدلالة التركيبية فلا يلتفت إلى تحليل عناصره، بل يحمل على محمل الحكاية كما في التراكيب التالية:

1. الصالحُ وبئس الرجلُ في الحق سواء.
2. ما هي بنعم المولودةُ.
3. يا نعمَ المولى.

---

[2] لقد اختير أن تعرب (ما) في قول القائل مثلا: نعمّا هي، أداةً مركبة مع الخالفة، وما بعدها مسند إليه، وقال به قوم، وأجازه الفراء. ينظر: شرح الأشموني، 289/2.

التركيب الأول (بئس الرجل) محمول على الحكاية مطلقا، والتركيب المحكي يشغل وظيفة الاسم المعطوف.

أما التركيبان الآخران (2) و(3) ففيهما وجهان على الحكاية:

التركيب الثاني يمكن سوقه على جهة زيادة الباء التي لا تغير شيئا من وظيفة مدخولها، مثلما يتأتى سوقه على جهة أخرى بجعل الباء أداة زائدة مع حمل (نعم المولودة) على الحكاية.

والتركيب الثالث يجوز فيه وجهان:

الوجه الأول: أن تخرّج الياء على سبيل النداء، والمنادى الجملة المحكية بعده.

الوجه الثاني: أن تخرج الياء على أنها للتنبيه فقط، والتركيب باق على حاله، والأصل فيه: نعم المولى هو أو أنت.

2.تركيب المدح والذم الخاصين: ونمثل له بـ(حبذا)؛ لأنها أظهر في بابها لما دار حولها من جدال، فحسبها أنها خالفة مسندة إلى المرفوع الذي يليها، ولا داعي لفصل (ذا) عن (حب) إعرابيا، وإن كان هنالك انفصال على مستوى الاستعمال بحيث لا ترد (ذا) موصولة بـ(حب)، فإن الخالفة هي هذه الأخيرة لا غير، وجائز فيها فتح فائها أو ضمها على حدٍّ سواء، وإليك أمثلةً من تركيب (حبذا) مع محاولة تحليلها وظيفيا:

- حبذا زيد: مسند + مسند إليه.
- حبذا ربًّا: مسند+ تمييز+ مسند إليه (محذوف تقديره: الإله، استغنى عنه بما دلَّ عليه).
- حبذا رجلا زيدٌ: مسند+ تمييز+ مسند إليه.
- حبذا هند مواصلةً: مسند + مسند إليه+ حال.
- حبذا حبذا زيد: مسند+ توكيد لفظي+ مسند إليه.
- لا حبذا الجاهل: أداة نفي+ مسند+مسند إليه.
- حُبَّ زيد: مسند + مسند إليه.
- حُبَّ ديناً: مسند+ تمييز+ مسند إليه (محذوف).
- حَبَّ بزيد: مسند+ أداة ربط زائدة+ مسند إليه.
- حُبَّ بزيد: مسند+ أداة ربط زائدة+ مسند إليه.

تحقيق القول فيما سبق أن تركيب المدح والذم تركيب إفصاحي له أبنيته التي تُعَـــدُّ الخالفةُ عمودَها الأساس الذي لا مَعدلَ عنه. وإنه لحريٌّ بالدارسين أن يعيدوا فيـــه النظـــر للوقوف على حقيقته، والكشف عن وظيفته بطريقة لا تلوي بأعناق تراكيبه، بما من شأنه أن يُسهم في تيسير تعليمية قواعد اللغة العربية.

المبحث الثالث:
تركيب الندبــة

المرء في غمرة حياته من المهد إلى اللحد بين لحظة تثلج الصدر وتغبطــه، وأخــرى تَفجَعُ القلب وتمزقه، فيترف دما ويعتصر ألما، وإنها الأبعد غورا والأعظم أثــرا في الــنفس البشرية على الإطلاق، إذ تترك بصماتها جلية على مساحة الشعور، وتخطُّ أحرفها غير خفية بين تلافيف الذاكرة على نحو لا مشاحةَ فيه، مع ما يصحب ذلك كله من مشاعر دافقــة طافحة تغمر صاحبها، فتزعزع كيانه، وتزلزل بنيانه، فلا يستطيع لها ردا، ولا يقوى علــى أن يضع لها حدا، ولا يجد من التنفيس عنها بدا، فيصطرخ حينا، ويذرف الدمع حينا آخر، وقد تنفسح على قدر طاقتها، وتبلغ مداها، فتضطره إلى الإفصاح عنها؛ إمــا بأصــوات و صرخات نازفة، وإما بتراكيب واصفة، لعل أظهرها في هذا الباب تركيب الندبة الذي هو ألصق بالنساء لضعفهن، وقلة احتمالهنّ للشدائد والمحن.[1]

فيا ترى: بم يتقوّم وجود هذا التركيب؟ وما صوره؟ وما طبيعة الأحكام التي يمكن سوقها في بابــــه؟

لعل من متطلبات الإفادة ضبط مصطلح الندبة على أوضاع النحويين، وفي ســبيل درك هذا الغرض يكون أجدى تقصي أبعاد لفظه عند اللغويــن.

الندبة على أوضاع اللغويين:

تسوق المعجمات اللغوية في مادة (ن/د/ب) مجموعة من المعاني، تكاد تسبح في مدار المعنى الاصطلاحي، منها:

1.الأثــر: فقد جاء في (لسان العرب)[2] أنّ ((الندبة أثر إذا لم يرتفع عن الجلد والجمــع ندبٌ وأنداب وندوب، كلهما جمع الجمع، وقيــل: النــدب واحــد والجمــع أنــداب وندوب...))، ومنه ترى النادب كأنه يذكر أثر من مضى[3].

2.البكاء على الميت: يقال: ندب فلان الميت، إذا بكاه وذكر محاسنه وعدّد مناقبه.[4]

---

[1] ينظر: ينظر: اللمع في العربية، ص181. وينظر: أسرار العربية، ص220.

[2] 160/6.

[3] ينظر: تاج العروس، 425/2.

[4] ينظر: المصدر نفسه. وينظر: محيط المحيط، ص885.

3.الدعوة والترشيح للقيام بالأمر والحث عليه،[1] ومنه فإن المندوب بلغة مكة هو الرسول.[2]

وليس بخفي أن هذه المعاني الثلاثة تتردّد عند النحاة في سبيل ضبطهم مصطلح الندبة على نحو ما يتضح:

الندبة على أوضاع النحويين:

الندبة في اصطلاح النحويين ((نداء موجه إلى المتفجع عليه حقيقة أو حكما أو إلى المتوجع منه))[3]، وقد عبّر سيبويه عن هذا المعنى بأنّ المندوب مدعو على سبيل التفجع عليه.[4] وشرحه السيرافي بقوله: ((الندبة تفجع ونوح من حزن وغم يلحق النادب على المندوب عند فقده، فيدعوه وإن كان يعلم أنه لا يجيب لإزالة الشدة التي لحقته لفقده ... ولما كان المندوب ليس بحيث يسمع احتيج إلى غاية بُعد الصوت، فألزموا أوله يا أو وا، وآخره الألف في الأكثر من الكلام؛ لأن الألف أبعد للصوت، وأمكن للمد))[5]. وقيل: هي ضرب من النداء قوامه التفجع والتحسر على المتوجع له، أو إظهار الألم من المتوجع منه.[6]

ومجموع هذه الحدود تنبئ بوضوح عن مدى أخذ دلالات هذا المصطلح بأعناق الدلالات اللغوية؛ ذلك أن الندبة في الأنموذج النحوي التراثي قائمة على أساس من التفجع والتوجع، وكلاهما داعٍ إلى البكاء ، وباعثٌ عليه، وليس بخفي ما ينجرّ عنهما من آثار نفسية دفينة تترك بصماتها منقوشة على مساحة اللاشعور.

والمندوب –أيضا– مدعوٌّ عند النحويين على جهة كونه منادى. وبهذه المعاني الثلاثة تؤسس الدلالة اللغوية للدلالة المصطلحية.

وحدّ الندبة بهذا الشكل قوامه درك القيمة الانفعالية لهذا التركيب، إلا في نقطة واحدة تكاد تعصف بالمفهوم، وتنحرف به عن وظيفته التعبيرية التي استخلص لها إلى وظيفة انتباهية هو منها براء.

---

(1) ينظر: محيط المحيط، ص885.

(2) ينظر: تاج العروس، 427/2.

(3) موسوعة الحروف العربية، إميل بديع يعقوب، دار الجيل، بيروت–لبنان، ط2، 1995م، ص482.

(4) ينظر: الكتاب، 220/2.

(5) ينظر: المصدر نفسه (الهامش).

(6) ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص146.

فمن التعسف حملُ هذا التركيب على محمل التركيب الندائي لمجرد الشراكة في البنية السطحية الظاهرة، فهذا نهج يصدر عن النظر إلى الأشكال لا إلى الوظائف التي هي أولى بالنظر والتتبّع.

فمن المعلوم أن المعنى الوظيفي الواحد قد يصاغ بمبانٍ متعددة، كما أن المبنى الواحد قد تتعدد وظيفته، ولا يترجح المقصود منه آنذاك، إلا بتضافر قرائن شتى تُمحِّضُه لأداء غرض دون آخر، يتم ذلك على مستوى الأبنية المفردة والمركبة على حدّ سواء؛ أي: على مستوى المفردات والتراكيب بلا استثناء.

الحقيقة أن النحاة أدركوا هذا التعدد، إلاّ أنهم حملوه على مبدأ الأصلية والفرعية؛ فجعلوا للتركيب الواحد معنى أصليا ومعاني أخرى هامشية فرعية، وحملوا الفرع على الأصل بطريقة تحكمية لا تبرأ من المزالق، ولا تخلو من الاعتراضات؛ لأنها تُغْمِضُ الغرض الذي من أجله أنشئ التركيب، كما تضطرهم أحيانا إلى إقحام ما لم يعنه المتكلمون في سبيل تسوية صناعتهم الإعرابية القائمة على أساس من هذا الغرض. ولعلّ الأمر يكون أدهى وأمر إذا تعلق بالنص القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فعجيب أن نتأوله بإقحام معان وألفاظ إرضاءً للقاعدة المصنوعة التي كان الأحق بها أن تكون تابعةً للمنطوق لا متبوعتَه!

فالندبة في حقيقتها تؤسس لتركيب إفصاحي مستقل ومشحون بانفعالات المتكلم وفيض وجدانه، لا علاقة له –على مستوى الدرس الوظيفي– بالتركيب الندائي من قريب أو من بعيد، فلا جامع بينهما إلا الشكل الظاهر الذي لا يمكن إيلاؤه العناية في التصنيف والتحليل، فالأسلم أن نجعل الرائد في هذا المجال البنية العميقة التي هي مسرح المعاني.

ففي تركيب الندبة لا يكون المرء إزاء أداة نداء ولا منادى، بل يكون أمام أداة ندبة ومندوب، وشتان ما بين الأمرين من الوجهة الوظيفية. فالقيمة الفارقة بينهما هي تلك التي تفصل بين اللغة الفاعلة، واللغة الانفعالية؛ فالنداء مسرحه الأولى، والندبة مسرحها الثانية.

وقد أحس بعض النحويين بعدم وجاهة نداء المندوب؛ لأنه لم يُطلَبْ إقبالُه، فتأولوه على وجوه: فقيل: إنّ النادب لا ينادي منتظرا جوابا، بل ليشهر ويشعر من حوله بمصيبته وتفجعه، وأنه وقع في أمر عظيم وخطب جسيم.[1] وقيل: إنه نداءٌ مجازا لا حقيقة، فالقائل:

---

[1] ينظر: اللمع في العربية، ص181. وينظر: أسرار العربية، ص222.

يا محمداه، كأنّه يقول له: أقبل فإني مشتاق إليك، وللقائل: واحزناه: احضر حتى يراك الناس فيعذروني فيك.[2]

ولا يضطرهم إلى هذا التأول داع ذو بال، فما أغناهم عنه لو أنهم انكفأوا إلى المعنى الوظيفي وجعلوا المبنى خدما له، ولاسيما أنهم أجازوا ندب المضاف لضمير المخاطب نحو: واغلامك، مع منع ندائه![3]

تحقيق القول أن الندبة تركيب غير إسنادي مفْصِحٌ عن التفجع والتوجع، قوامه ركنان: أداة ندبة ومندوب لا تجمعهما علاقة إسنادية البتة، إلاّ على سبيل التوهم والتخيّل.

الخصائص التركيبية للندبة:

قيل: للمندوب حكمُ المنادى سواء بسواء؛ يضمّ إن كان مفردا، وينصب إن كان مضافا أو شبيها به.[4]

ولما كانت الندبة تفجعا على الهالك وَجَبَ ألاّ يُندَب إلاّ بأعرف أسمائه وأشهرها حتى يكون له عذره في التفجع، فإذا ما عرفوه عذروه، وشاركوه في التفجع، فتهون بذلك مصيبته.[5] وفي شأن ذلك قال البصريون: ((والمقصود بالندبة أن يظهر النادب عذره في تفجعه على المندوب ليسَاعَدَ في تفجعه فيحصل التأسي بذلك فيخف ما به من المصيبة، وذلك إنما يحصل بندبة المعرفة، لا بندبة النكرة)).[6]

في حين، وبما أن المندوب لا يجيب، أجاز الكوفيون ندبة النكرة والأسماء الموصولة نحو: واراكباه، وامن حفر بئر زمزماه، وحجتهم في ذلك أنّ الاسم النكرة يقرب من المعرفة بالإشارة، ومن ثمة جازت ندبته كالمعرفة. في حين أنّ الأسماء الموصولة معارف بصلاتها، كما أن أسماء الأعلام معارف، ومثلما يجوز ندبة أسماء الأعلام يجوز ندبة ما يشبهها.[7]

---

[2] ينظر: حاشية الخضري، ص81.

[3] ينظر: المصدر نفسه.

[4] ينظر: همع الهوامع، 66/3. وينظر: مناهج الصواب في علم الإعراب، ابن رحمة الحويزي، ص166. وينظر: شرح المكودي، ص154.

[5] ينظر: اللمع في العربية، ص181. وينظر: أسرار العربية، ص220. وينظر: التبصرة والتذكرة، الصيمري، تحقيق: فتحي أحمد ومصطفى علي الدين، دار الفكر، دمشق، ط1، 1402هـ-1982م، 362/1.

[6] الإنصاف في مسائل الخلاف، 363/1.

[7] ينظر: المصدر نفسه، 362/1.

والمندوب هو المذكور بعد (يا) أو(وا) تفجعا لفقده، أو توجعا لكونه محـــل ألم أو سببَـــه.[1]

وعلامة الندبة (وا) أو(يا) في أوله و(الألف)و(الهاء) في آخره[2]، فتذكر الـــواو أو الياء في أول الاسم، والألف والهاء في آخره، كقولنا: يا زَيْدَاه، وواعَمْرَاه، فالمندوب لا يسمع النادب؛ لذلك كان لزاما على هذا الأخير أن يضيف الألف والهاء مدّا للصوت؛ ليكون في ذلك دلالة على حزن الفاقد. ويصح أن تعامله معاملة المنادى فلا تمده فتقول: يا عمر، ووامحمد.[3] والألف التي تلحق المندوب تُفتَح كلُّ حركة قبلها مكسورة كانت أو مضمومة بحكم أنها تابعة للألف، أما ما قبل الألف فلا يكون إلا مفتوحا.[4]

فالتعبير عن مشاعر الأسى والحزن إزاء المندوب تفرض أن يمدّ المتكلم من صـــوته؛ لينفس عن مشاعره عسى أن يدرك منه السامع أنه حزين ومتألم. فالسياق والتنغيم والمشاعر عناصر رئيسة في هذا الأسلوب؛ إذ تساهم جميعها في إظهار دلالته التأثرية الانفعالية، ومن ثمة يكون مصدّرا بلفظ (وا)، ونادرا ما تستعمل معه (يا) لأمن اللبس بالمنادى، كأن يندب ميتا اسمه زيد، وفي المجلس من اسمه زيد، فهذا لبس يمنع استعمال (يا) على الإطلاق.[5]

قلا شك أنّ في استطالة الصوت في آخر الاسم المندوب تعبيرا عـــن الحـــزن والألم الشديدين الذين يلحقان النادب إثر الفاجعة التي ألمت به، فينفجر إحساسه وانفعاله؛ ليدرك السامع أنّ المتكلِّم في أقصى درجات الحزن والألم.

أما ما يجوز ندبته فيقول ابن مالك: [6]

ويُندب الموصولُ بالذي اشتهرْ كـــبئرَ زَمْزَمٍ) يلي وا مَن حَفَرْ

وقد شرحه الأشموني فقال: «ويندب الموصول بالذي اشتهر اشتهارا بعينه ويرفـــع عنه الإبهام (كبئر زمزم) يلي (وامن حفر) في قولهم: وامن حفر بئر زمزماه، فإنه بمنزلـــة واعبد المطلباه».[7]

---

[1] ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص185.

[2] ينظر: أسرار العربية، ص220.

[3] ينظر: الكتاب، 220/2. وينظر: شرح الأشموني، 57/3.

[4] ينظر: دروس في المذاهب النحوية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص57.

[5] ينظر: همع الهوامع، 66/3. وينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص146-147.

[6] الألفية، ص46.

[7] شرح الأشموني، 59/3.

فلا يندب الاسم النكرة، ولا اسم الإشارة، ولا الموصول المبهم، ولا اسم الجنس المفرد، فهي غير دالة على المندوب دلالة تبين بها عذر النادب،[1] كما لا يندب الضمير.[2]

أما ندبة المثنى ويحي وما شابه ذلك من المقصور من غير إضافة، فتقتضي حذف ألف الأصل لالتقاء الساكنين، فتقول: وَامُثّناه ووايَحْيَاه.[3]

أما إذا ذُكرت مع المندوب صفة، نحو: وازيد الظريف، فتلكم مسألة خلافية بين البصرية والكوفية تتعلق –أساسا- بجواز استلحاق الندبة بالصفة؛ فالكوفيون يبيحون أن تُلقى علامة الندبة على الصفة نحو قولنا: وازيدُ الظريفاه، وهو مذهب يونس بن حبيب البصري(ت....) وأبو الحسن ابن كيسان، وحجتهم في ذلك أن الندبة تلحق المضاف إليه نحو: وا عبد زيداه، وا غلام عمراه، فلما كانت الصفة مع الموصوف بمنزلة المضاف مع المضاف إليه، جاز أن تلحق الندبة الصفة، وقد استدلوا على ذلك بما يروى عن بعض العرب عندما ضاع منه جمجمتان؛أي: قدحان، فقال: واجُمْجُمتيَّ الشَّامِيَّتَيْنَاه، فألحق علامة الندبة الصفة.[4]

في حين يذهب البصريون إلى عدم جواز ذلك،[5] فإذا ذكرت مع المندوب صفة، نحو: وازيدُالظريف، لم يجز أن تقول: وازيد الظريفاه على مذهب الخليل؛ لأن الظريف غير منادى على غرار المضاف والمضاف إليه، فهما بمثابة اسم واحد نحو: وأميرَ المؤمينناه، وواعبدَ قيساه، أما الصفة والموصوف، فليسا كذلك.[6]

أما إذا كان آخر اللفظ ألفا، فقد أجاز الكوفيون قلبه ياء مع الحذف أيضا، وإبقاء التنوين للمنون، وفتحه أو كسره، في حين أجاز الفراء الكسر مع الحذف أيضا، فتقول: وازيداه، وازيدنيه، ووازيديه وواقام الرجلاه، ووقام الرجلوه، وواعبد الملكاه، وواعبد الملكيه، ووامُوساه، ووامُوسياه، ووازيدانيه، ووازيدوناه، ولا يجوز إثبات هذه الواو إلا في الوقف خلافا للفراء .[7]

---

[1] ينظر: شرح ألفية ابن مالك، ابن الناظم، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1420هـ-2000م،ص420.

[2] ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص147.

[3] ينظر: التبصرة والتذكرة، 364/1.

[4] ينظر: الإنصاف، 364/1-365.

[5] ينظر: المصدر نفسه.

[6] ينظر: التبصرة والتذكرة، 1/ 364.

[7] ينظر: الموفي في النحو الكوفي، ص70.

في حين ذهب آخرون إلى أنه إذا كان آخرُما تلحقه ألف الندبة فتحةً، لحقتــه ألف الندبة دون أي تغيير لها: فتقول: واغلام أحمداه. أما إذا كان سوى ذلك، وجب فتحه مخافة اللبس مثل: واغلامهوه، واغلامكيه وأصله: واغلامكِ بكســر الكــاف، واغلامهُ بضم الهاء، فيجب قلب ألف الندبة بعد الكسرة ياء وبعد الضمة واواً؛ لأننــا إذا تُرك ذلك وحُذفت الضمة والكسرة وأوتي بــألف الندبــة نحــو: واغلامكــاه، وواغلامهاه، لالتبس المندوب المضاف إلى ضمير المخاطبة بالمندوب المضاف إلى ضمير المخاطب، ولالتبس –أيضا– المندوب إلى ضمير الغائب بالمندوب المضاف إلى ضــمير الغائبــة.[1]

وقد علّق إبراهيم السامرائي على هذا الكلام بأسلوب متهكم قائلا: «لا يخيــل أن النحوي قد استقرى العربية فوجد هذه النماذج، وما أظن أن شيئا من هذا جــرى على ألسنة أهل العربية. وكأن الناطق بالعربية على هذا المنطق النحوي مفكر يــتعلم اللغة تعلمًا فهو ينتقل من تركيب لفظي إلى آخر خشية حدوث الالتباس».[2] بل كأن النحاة هنا منوطةٌ بهم صناعة الكلام لا تفسيره، فهم ينشئون بعقولهم النماذج التركيبية التي لم تلكها الألسنة، و لم تداولها الاستعمالات، حتى يخيّل إليك أن هذا المشغل مــن وظيفة النحوي لا الناطق العربي، وإن هذا إلاّ تحكم محض يفســد اللغــة ويربكهــا، وحسبك دليلا أنّ بعض ما صنعوه يبعث على الضحك والسخرية لا على التفجــع أو التحسر، نحو: واغلامهوه، فاللاحقة (هوه) قد تكون مطابقة لما يصدر عن الضــاحك من أصوات، يقول عبد السلام محمد هارون في هذا الصدد: «وقد اتخذ النحويون من هذا الباب مجالا للتخيل والتصور، فافترضوا أساليب وصورا أصدروا فيها فتاوى دالــة على سعة الخيال...».[3]

ويمكن سوق التغيرات التي تلحق ألف الندبة في المخطط التالي الذي أورده تمام حسان في (خلاصته)[1]:

---

[1] ينظر: النحو العربي:نقد وبناء، ص114-115.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص115.

[3] الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص148.

[1] ص149.

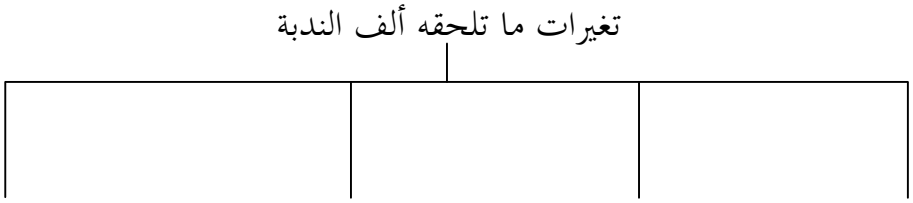

النـدبة نحـــو: يفتح آخره نحو: وازيداه

يبقى على حاله نحو:

واموســـاه واغلام زيداه واغلامهوه، واغلامَكيه

لئلاّ يلتبس الفتح في الأول بضـــــــمير الغائبة، وفي الثانية بضـــــــمير المخاطب المذكر

صفوة القول ومحصول الحديث أنّ الندبة تعبير عن مشاعر المتكلم وعواطفه اتجـــاه موقف صعب فهي ترتبط بسياق معين وتنغيم صوتي يناسب هذه المشاعر، وهو ما يجعلـــها تنماز عن النداء. فالندبة جملة إفصاحية تغلب عليها الانفعالية التأثرية؛ نظرا لما تتضمنه هذه الأساليب من طبيعة الإفصاح الذاتي عن مشاعر المتكلم وانفعالاته، وهو ما ســـيقف عليـــه الجانب التطبيقي الذي ينصب على المدونة القرآنيـــة.

المبحث الرابـــــع:
تركيب خوالف الإخالة

خوالف الإخالة تشحن التركيب الذي تحُلُّ به بقيم نفسية انفعالية تؤهله لينضـــوي تحت قسم الإفصاحيات، الذي لا مسوِّغ لتفسيره بلغة منطقية هو منه براء، ولا أدلّ علـــى ذلك من أنّ فارق القيمة بينهما لا خفاء به، فقولك: أوّه، وأتألم لا يتناظران وظيفيا؛ ذلك أن الصيغة الأولى لإنشاء التألم، والثانية للإخبار عنه، وشتّان ما بين المعنيين!

فلا تتهيأ على الأرجح معادلة الصيغة الأولى بالثانية إلا على جهة التمحّل، وعـــدم إيلاء العناية إلى اختلاف أساليب الخطاب تبعا لاختلاف وظائفه، فحسبك شاهدا أنك لو وضعت يدك على سطح ساخن وأنت لا تدري، فسحبتها من شدة الألم مصطرخا وقلت: أوّه، لهمَّ السامعون إلى نجدتك، أما أن تستعيض قولك بـــ: أتألم فسلوك لغوي باعث على الضحك ومدعاة للدهش؛[1] لسوقه المقال على خلاف مقتضيات المقام، وهو مـــن أقـــبح السقطات التي يقع فيها المتكلمون .

ولا شك أن مصطلح الإخالة يبدو غريبا في الاستعمال؛ فهو –وإن كـــان رديفـــا لقسم واسع من أسماء الأفعال– فلا ندري على جهة القطع ما الذي ابتعث تمام حســـان،

---

[1] ينظر: الخلاصة النحوية، ص152.

ومن اقتفى أثره من الباحثين على اختياره دون غيره، مع أنه بعيد الصلة في دلالته على موضوعه؟ فليس بين لفظه وموضوعه قربى تدعو إلى التمسك به. فالإخالة على أوضاع اللغويين لا تعدو أن تكون بمعنى الاشتباه حيث يقال: أخال الشيء وإخاله (بالفتح على القياس وبالكسرة علىالأشهر) إذا ما اشتبه،[2] ولسنا ندري ما وجه الصلة بين الاشتباه ومعاني أسماء الأفعال؟! فكيف تأخذ الدلالة الاصطلاحية بأعناق الدلالة اللغوية في هذا الموضع تحديدا؟!

قد يرتئي المولعون بهذا المصطلح أن يؤسسوا لمشروعيته على جهة كونه يشتبه بالأسماء من جهة، وبالأفعال من جهة أخرى؛ ذلك أن هذه الأسماء تقوم مقام الأفعال وتعمل عملها سواء بسواء.

حقا قد يأنس بمثل هذا التخريج الآخذون بهذا المصطلح، بيد أنه تخريج لا تخفى غثاثته، ولا تستبين وجاهته؛ ذلك أن تمام حسان لا يُقرّ بكون هذه الألفاظ أسماء تناظر الأفعال دلالة وعملا، فهي عنده مسلوبة الدلالة على الزمن، وهو من أجلى مقومات العنصر الفعلي وأظهر سماته، مثلما أنّ القول بالاشتباه العملي ليس له سند في مصطلحيته على الإطلاق.[1]

فلسنا ندري على جهة الدقة ما الذي ساق هذا الباحث إلى الأخذ بهذا المصطلح الذي لا ينطبق لفظه على معناه؟ فلولا شيوعه وذيوعه لكان الإعراض عنه أولى، واستبداله أحرى.

وتجدر الإشارة إلى أن خوالف الإخالة لا تعدو أن تعبر عن قسم محدود من أسماء الأفعال، فهي لا تمثل إلا جزء المبنيات منها، نحو: هيهات، وشتان، و وي،وآمين، ومه، وصه،[2] أما باقي الأجزاء مما كان محولا عن الظروف والحروف كـ: دونك وإليك، أو مصدرا منصوبا، نحو: رويدَ وبَلْهَ، أو مشتقا مبنيا على الكسر مما جاء على وزن فَعَالِ، مثل: ضرابِ وتراكِ، فليس له من الإفصاح شيء البته، فقصاراه أنه موضوع للدلالة على الطلب؛ مما يهيئه للدخول ضمن جملة الأمر لا غير.[3] فلم يبق –إذن– للإخالة إلا القسمُ الأول

---

[2] ينظر: لسان العرب،226/11.

[1] ينظر: الخلاصة النحوية، ص152.

[2] لمزيد من التفصيل ينظر: الخصائص، 34/3 إلى51.

[3] ينظر: المرجع نفسه.

الذي هو ألصق بالوظيفة الانفعالية التي أغفلها النحويون شرَّ إغفال عندما سَعَوا جهدَهم إلى تفسير هذا الضرب من الألفاظ تفسيرا منطقيا لا يدعو إليه سوى إعمال لغة المنطق، وإضعاف منطق اللغة.

فتفسير (شتان) –مثلا– بـ (افترق)، و(أفٍّ) بـ(أتضجر)، و(هيهات) بـ (بَعُدَ)، و(صه) بـ (اسكت)، ونحو ذلك تفسيرٌ ظاهر الفساد ليس به اعتداد؛ لأنه يفسر لغة انفعالية بلغة منطقية منافرةٍ لها، وهيهات أن تجريا على نسق واحد.

فالأمثل تفسير الصيغ الانفعالية بمثيلاتها دلاليا، بلا خروج عن الإطار الوظيفي الواحد؛ فينبغي أن تفسر (شتان) بـ:ما أشبه الافتراق، و(هيهات) بـ: ما أبعَد، و(بطآن) بـ: ما أبطأ، و(وَيْ) بـ: ما أعجب، و(أفٍّ) بـ: ما أضجر. أما (صَهْ) و(مَهْ)، فموضوعان للإفصاح عن استنكار القول أو العمل على الترتيب، وليس لنا أن نحملهما على محمل الطلب البتة، فإنه مُخرجٌ لهما عن أصل وضعهما، كذلك (إيهٍ) موضوعة للإفصاح عن استحسان الحديث دون التصريح بطلب الاستزادة منه، وإنما ذلك يفهم ضمنا لا نصًّا. وتفيد (آمين) الدلالة على استحسان الدعاء.

وهكذا يجب أن تُفسَّر خوالفُ الإخالة بما من شأنه أن يكشف عن القيمة الوظيفية المخبوءة بها، وإحساس النحويين بهذه القيمة الانفعالية التي تزخر بها هذه الصيغ كان يراودهم بين الحين والآخر، فهم إذ يفسرون هيهات بـ: بَعُد، وبطآن بـ: بَطُؤ، وسَرْعانَ، ووَشْكان بـ: سَرُع كانوا قاب قوسين أو أدنى من درك الطابع الإفصاحي لهذه الألفاظ المفسَّرة فهي صيغ محولة على وزن (فَعُلَ) تفيد التعجب، وكذلك شأن (وي) و (واهاً) التي سيقت بمعنى: أعجب.[1]

فهي أقرب رحمى إلى الصيغ التعجبية منه إلى الصيغ الخبرية أو الطلبية. لكن هنالك بعض الاستثناءات التي ينبغي أن تعالج معالجة مستقلة لخروجها عن هذا الأصل، نحو: حيَّ و هَلُمَّ، وها، فمثل هذه الصيغ تفيد الأمر على نحو واضح، ويعضد ذلك أن (هلم) و(ها) –مثلا– تصرفان مع الضمائر، فيقال: هاكَ، وهاكِ، وهاكما، وهاكم، وهاكنّ، وهاءَ، وهاؤما، وهاؤم، وهاءون من جهة، وهلمّي، وهلمّا، وهلمّوا، وهَلْمُمْنَ من جهة أخرى.[2] فمثل هذه الصيغ تفيد الأمر على نحو واضح، وليست في عداد الصيغ الإفصاحية، فاستلحاقها بجملة

---

[1] ينظر: همع الهوامع، 5/122-123.

[2] ينظر: المصدر نفسه، 5/122-127.

الأمر –مع أنّ ليس لها ماض أو مضارع من لفظها- أحق وأولى من الإبقاء عليها في قسم خوالف الإخالة.

فبهذا تكون الإخالة مصطلحا جامعا لأغلب مبنيات ما اصطلح عليه قديما بأسماء الأفعال، غير أنه تجدر الإشارة إلى أن مِن الباحثين من وسّع دائرة هذا القسم الخالفي، وإن منهم من ضيقها إلى أبعد حدّ، وإنّ منهم من كان بين ذلك قواما.

يمثل الطائفة الأولى عبد القادر مرعي خليل الذي ساق أسماء الأفعال حيثما وجدت مساقَ خوالفِ الإخالة مع تكلف إشراب أقسام منها القيمة الانفعالية، فحسبك قوله: ((ومن هنا نرى أن ما يسمى أسماء الأفعال ألفاظ تستخدم للمبالغة في التعبير عن الانفعال والإفصاح عن مشاعر المتكلم عندما لا يستطيع أن يعبر عما يريد بجملة منطقية، وهي في معناها ودلالتها أقوى من المعاني التي وضعها لها النحاة، حيث تعبر عن مشاعر المتكلم وعواطفه بقوة وتجعل السامع يدرك أن المتكلم في غاية الانفعال)).[3]

أما الطائفة الثانية فيمثلها فاضل صالح السامرائي الذي لاحظ ضمنيا المعنى الانفعالي فيما كان بمعنى الخبر من أسماء الأفعال، إلا أنه مع ذلك استمسك بالمصطلح التقليدي، و لم يرض عنه حِوَلا، وقد عبر عن ذلك بقوله: ((وكل ما هو بمعنى الخبر ففيه معنى التعجب، فمعنى هيهات أي ما أبعده، وشتان أي ما أشد الافتراق، وسرعان ووشكان أي: ما أسرعه، وبطآن أي: ما أبطأه)).[1]

وأما الطائفة الثالثة التي لم تغال في التوسعة، و لم تبالغ في التضييق، فيأتي على رأسها تمام حسان الذي قَصَر الإخالة على المبنيات من أسماء الأفعال لا غير –وقد أغنى القول عن إعادته- وهو الموقف الذي تتبناه هذه المذكرة بنسبة عالية.

خوالف الإخالة في الموروث النحوي العربي:

اختلف النحويون في طبيعة هذه الألفاظ، فزعمها الكوفيون أفعالا لدلالتها على الحدث والزمان، وزعمها ابن صابر قسما رابعا زائدا على أقسام الكلم الثلاثة سماه الخالفة، وعدها جمهور البصريين أسماء واختلفوا في مسماها، فقيل مدلولها لفظ الفعل، لا حدث ولا زمان، وقيل: بل تفيدهما، ودلالتهما على الزمان بالوضع لا بالطبع، وعليه فهي اسم لمعنى

---

[3] أساليب الجملة الإفصاحية، ص92.

[1] معاني النحو، 45/4.

الفعل، وقيل هي أسماء للمصادر وهو ظاهر قول سيبويه، ثم دخلها معنى الفعل، وهو معنى الطلب في الأمر، ودلالة الحال في غيره.[2]

وانتصارا لقول البصريين يستدل ابن جني على اسمية هذه الألفاظ بالتنوين الذي هو علم التنكير نحو: صهٍ ومهٍ وإيهٍ، وبالتثنية كقولهم: دُهْدُرَّينِ،[3] وبالجمع كما في هيهات، وبتاء التأنيث وألفه في هيهاة، وهيهات، وأولاة، وأُفَى.[4] ولعل الذي حملهم على أن قالوا: إنها أسماء وليست بأفعال ((أمر لفظي وهو أن صيغها مخالفة لصيغ الأفعال، وأنها لا تتصرف تصرفها، ويدخل اللام على بعضها والتنوين في بعض، وظاهر كون بعضها ظرفا وبعضها جارا ومجرورا)).[5]

والجدير بالذكر أنّ النحاة قسموا هذه الألفاظ حسب دلالتها الزمنية إلى ثلاثة أقسام:[6]

1. أسماء تدل على حدث ماض، نحو: هيهات، وشتان، وسرعان، ووشكان.
2. أسماء تدل على حدث حاضر، نحو: أوّه، وأف، وواهًا، ووَيْ.
3. أسماء تدل على حدث مستقبل لتضمنها معنى الطلب، نحو: صه، ومه، وإيه...

والحق أن هذا التقسيم افتراضي متخيل لا سند له من الواقع، فمن الواضح- على حد تعبير تمام حسان- ((أن هذه الألفاظ تخلو من علامات تبرر تقسيمها إلى ماض ومضارع وأمر. ولكنها جميعا للتعبير عن شحنة نفسية انفعالية يحس بها المتكلم في الحاضر فلا تنسب إلى تقسيم زمني)).[1]

التنوين في خوالف الإخالة بين الشكل والوظيفة:

يلحق التنوين قسما من هذه الألفاظ، وذلك نحو: صهٍ، وإيهٍ، وأفٍ، وهو يفيد التنكير عند جمهور النحويين، فإذا قلنا: (صهْ) بالسكون كان أمرا له بالسكوت عن حديث معين، أما (صهٍ) بالتنوين فأمر له بالسكوت عن كل حديث. فمعنى (صهْ) السكوت، و(صهٍ) سكوتا، ومثلها (إيهِ)، و(إيهٍ)؛ فالأولى لطلب الاستزادة من حديث معين، في حين

---

[2] ينظر: همع الهوامع، 121/5.

[3] بمعنى: بطل بطلا بعد بطل.

[4] ينظر: الخصائص، 44/3-45.

[5] شرح الكافية في النحو، 62/2.

[6] ينظر: همع الهوامع، 122/5-123.

[1] الخلاصة النحوية، ص152.

تعني (إيهٍ) بالتنوين طلب الاستزادة من أي حديث يختاره المتكلم، وهكذا مع (مهْ)، و(مهٍ)؛ فالأولى بمعنى: الانكفاف، والثانية بمعنى: انكفافا.[2]

وجاء في شرح الرضي على الكافية: ((وأما التنوين اللاحقة لبعض هذه الأسماء فعند الجمهور للتنكير ... فصه بمعنى سكوتا، وإيه بمعنى زيادة، فيكون المجرد من التنوين مما يلحقه التنوين كالمعرّف. فمعنى صهْ اسكت السكوت المعهود المعين، وتعيين المصدر بتعيين متعلقه؛ أي: المسكوت عنه، أي افعل السكوت عن هذا الحديث المعين، فجاز عن هذا أن لا يسكت المخاطب عن غير الحديث المشار إليه، وكذا مه؛ أي: كفَّ عن هذا الشيء، وإيه؛ أي: هات الحديث المعهود، فالتعريف في المصدر راجع إلى تعريف متعلقه، وأما التنكير فيه فكأنه للإبهام والتفخيم...)).[3]

وترى طائفة من الباحثين أنّ ارتباط دلالة التنوين على التنكير وعدمه على التعريف ليس له سند لغوي.[4] وقد نقل الرضي توضيحا لابن السكيت(ت...هـ) والجوهري(ن...هـ) يتعلق بالألفاظ التي وردت منونة وغير منونة، فقد قالا: إن دخول التنوين دليل كون اللفظ موصولا بما بعده، في حين حذف التنوين دليل على الوقف عليه، فيقول القائل: صهٍ صهْ، ومهٍ مهْ فتنون الهاء الأولى، وتسكن الثانية. فيكون التنوين عند ابن السكيت والجوهري في أصله تنوين التمكين الدال على كون ما لحقه موصولا بما بعده غير موقوف عليه، فقد جُرِّد من معنى التمكن في هذه الأسماء، وجُعل للدلالة على المعنى المذكور فقط.[1]

هذا، ويذهب محمد عبد الله جبر إلى أنه « ليس التنوين للتنكير كما يرى الخليل بل هو دال على الوصل، وإن كان الرضي قد رده إلى تنوين التمكن المألوف في الأسماء الأخرى، ولست أوافقه في هذا الرأي... ولست أقبل أن يكون هذا التنوين دالا على التمكين ولو افتراضا، فهذه الألفاظ ليست من المعربات حتى يكون تنوينها للتمكين.

---

[2] ينظر: معاني النحو، 41/4.

[3] شرح الكافية، 69/2.

[4] ينظر: أسماء الأفعال وأسماء الأصوات في اللغة العربية، محمد عبد الله جبر، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص15-19.

[1] ينظر: شرح الكافية، 69/2.

وأرتضي مع شيء من الاحتياط أن يكون التنوين وسيلة لوصل اللفظ بما بعده... والـــذي أذهب إليه هو أن تنوين تلك الألفاظ إنما هو من التنوين الشاذ...»).[2]

ومضى تمام حسان إلى تفسير التنوين تفسيرا وظيفيا يقـــول: «التنـــوين في خالفـــة الإخالة (صهٍ) له معنى وظيفي هو التعميم وعدم التعيين فيشبه التنوين الذي يلحق النكـــرة غير المقصودة في النداء نحو: يا رجلا أقبل، والذي يلحق المصدر النائب عن فعل الأمر نحو: ضربًا زيدًا، إذ المعنى يا رجلا أيا كان وضربا أي نوع من الضرب وعلى ذلك يكون معـــنى صهٍ: أمسك عن أي نوع من أنواع الكلام تحاوله، فإذا أردت كلاما معينا أسكنت الهاء في الوصل. وهذه المعاني التي يساق التنوين من أجلها هنا ليست شبيهة بتنوين التمكين الـــذي للأسماء المصروفة»[3].

أما فاضل صالح السامرائي فيرى أن اللفظ المنون أعم وأشمل مما لم ينون فـــ(صـــهٍ) تفيد السكوت التام المطبق، كما تدل إيهٍ على الحديث العام الشامل.[4] وردّ ما ذهب إليه القدامى حين اعتبروا (صهٍ) تفيد معنى سكوتًا و(صهْ) معناها السكوت، فالسكوت لـــيس معناه: اسكت عن حديث معين، إنما هو تعريف للسكوت لا للمسكوت عنه؛ أي:اسكت السكوت المعهود[5].

يفسر مهدي المخزومي هذا الضرب من التنوين بقوله:«التنوين في صه ومـــه لـــيس تنوين التنكير الذي هو من خصائص الأسماء ولكنه نون لحقت هذه الأبنية الثنائية لتكثيرها أو تثليثها بعد أن استقرت الوحدة الكلامية في الثلاثي، ولذلك لم ينون منها ما كان كـــثير الحروف، كهيهات، وشتان، وأوّاه، ونزال، وأمثالها، وما نون منها فثنائي غالبا، كصه ومه، وقد ألحقت بهما هذه النون لتكون على ثلاثة أحرف ليسهل النطق بها...»).[1]

أما الميزة الثانية التي جعلت النحاة يُضفون صفة الاسمية على هذه الألفاظ، فهـــي: التعريف والتنكير، وفيها يقول ابن مالك:[2]

واحْكُمْ بتَنْكِيرِ الَّذي يُنَوَّنَ مِنْها، وتَعْريفُ سِواهُ بَيِّنُ

---

[2] أسماء الأفعال وأسماء الأصوات في اللغة العربية، ص20.

[3] اللغة العربية معناها ومبناها، ص93.

[4] ينظر: معاني النحو، 43/4.

[5] ينظر: المرجع نفسه، 43/4.

[1] في النحو العربي نقد وتوجيه، ص203.

[2] الألفية، ص48.

فقد جعل النحاة ما يلحقه التنوين نكرة، في حين عدّوا ما لا يلحقه معرفة، وقالوا: إنّ معنى التنكير أو التعريف لا يتجه إلى الفعل الذي يعبر اسم الفعل عن معناه، وإنما يتجه إلى المصدر أو الحدث المفهوم من اسم الفعل.[3]

ويرى الرضي أنّ ترك التنوين ليس في جميع أسماء الأفعال دليلَ التعريف، بل تركه فيما يلحقة تنوين التنكير دليل التعريف.[4] في حين مضى قوم آخرون إلى كون أسماء الأفعال جميعِها معارفَ –ما نُوِّن منها وما لم يُنَوَّنْ– تعريفَ علَمِ الجنس.[5]

هذه –بعامة– جملة الأقسام والأحكام التي خص بها النحويون التراكيب الإفصاحية. وقد اتضح على جهة القطع أنّ الأحكام المسوقة لا تنسج –في الأشيع الأعرف– مع بنياتها، وأنّ المعاني النحوية التي أشربوها إياها لا تفصح عن طاقاتها التعبيرية؛ لأنهم حملوها على محمل اللغة المنطقية، واجتلبوا لها أحكاما على هذا الوجه الذي لا يتكفل بإيضاح القصد، وبيان الغرض.

فقد كان لزاما أن يعاد النظر من جديد في تحليل التراكيب الإفصاحية بطريقة تعنى بتوصيف مكوناتها وتوجيهها توجيها سليما لا ينحرف بها عمّا وضعت له.

ولعلّ جدوى هذه المراجعة تتأكد أكثر فأكثر إذا ما حظيت بالقبول على المستوى العملي، ولنا في تقصي تراكيب المدونة القرآنية آيات صادقة وشواهد ناطقة تظهر –فيما أحسب– قدرة التحليل المتوصل إليه على المعالجة التطبيقية لتراكيب الوظيفة الانفعالية.

---

[3] ينظر: شرح الكافية، 69/2.

[4] ينظر: المصدر نفسه.

[5] ينظر: شرح الأشموني، 103/3.

المبحث الأول:
الأنماط التركيبية الوظيفيةالتعجبية
وصورها الشكلية في القرآن الكريـــم

أولا: التعجب القياســـي:

شغل التعجب بصيغتيه القياسيتين أربعة أنماط وظيفية، توزعت على النحو التالي:

النمط الأول: أداة تعجب+ركن إسنادي+ركن إضافي[1]= أداة تعجب+(مسند+مسند إليه) +(أداة إضافة+ مضاف إليه).

اتخذ هذا النمط الوظيفي صورة شكلية واحدة ائتلفت من تجاور الوحدات الصرفية التالية: أداة+ (خالفة+ضميرالغائبين)+(أداة+ركن اسمي)= أداة + (خالفة+ ضمير)+ (أداة + (أداة تعريف+ اسم)).

مثالها قوله تعالى: (فَما أَصْبَرَهُمْ عَلى النَّارِ)[2]، فالآية تعجيب للمخاطبين من حال هؤلاء الذين باشروا الأسباب الموجبة لعذاب النار إيجابا قطعيا؛ فكأنهم بهذه المباشرة قد صبروا على نار جهنّم[3]. فالسياق سياق «تعجب من كثرة صبرهم»[4]، ويحتمل أن يكون استفهاما، كما حمله قوم معنى النفي،[1] وساقه ابن جني على جهة حذف مضافين، كأنما الأصل فيه: ما أصبرهم على أفعال أهل النار!.[2]

ويمكن سوق ذلك من خلال المشجر التالي؛ بيانا للغرض، وتوضيحا للقصد:

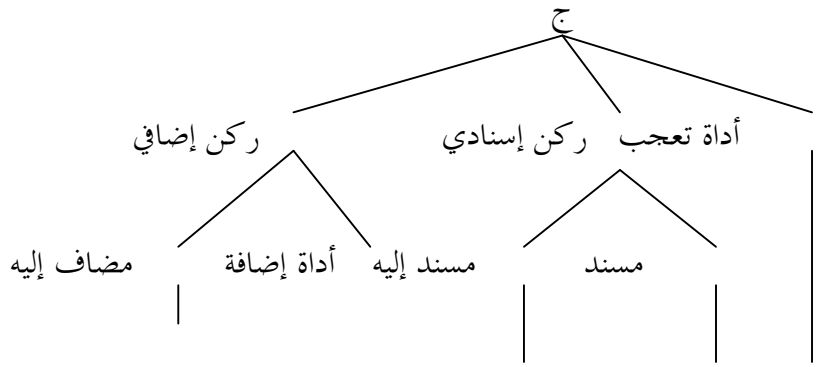

[1] ارتضيت أن استعيض مصطلح الركن الحرفي بمصطلح الركن الإضافي؛ لكونه قاصرا عن الوفاء بمطالب الوظيفة النحوية، فهو لا يعبر عنها، ولا يبين عن معانيها. وقد استأنست في إقامة البديل المصطلحي بما قرّ عند النحاة القدامى أنفسهم من أنّ حروف الجرّ حروفُ إضافة تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء. أما إذا كانت زائدة فهي مجرد روابط تفيد التوكيد ولا مزيد. وبهذا يكون الركن الإضافي مشكلا إما من: أداة إضافة (حروف الجر) + مضاف إليه (المجرور)، وإما من مضاف + مضاف إليه. وهذا الشكل الأخير شكل أصيل لم يمسسه التحوير.

[2] البقرة/175.

[3] ينظر: تفسير البيضاوي، 451/1. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 192/1. وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، 44/2. وينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، 171/1.

[4] النهر الماد من البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عمر الأسعد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1416هـ-1995م، 647/4.

[1] ينظر: التبيان في إعراب القرآن، 76/1-77. وينظر: مشكل إعراب القرآن، ، مكي بن أبي طالب، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1405هـ117/1.

[2] ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، تحقيق: على النجدي ناصف وآخرين، جنة إحياء التراث الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، 1386هـ، 353/2-354.

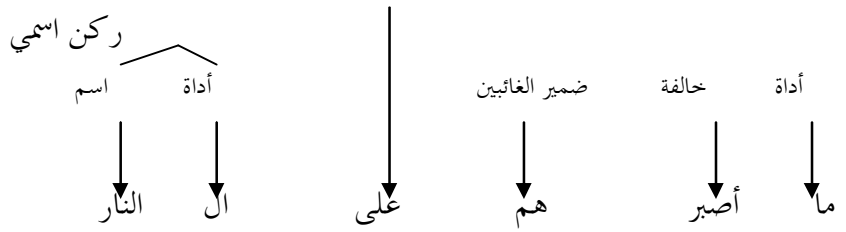

النمط الثاني: أداة تعجب+ ركن إسنادي= أداة تعجب +(مسند+مسند إليه).

تجلّى هذا النمط الوظيفي في صورة شكلية واحدة قوامها التتابع المرفولوجي التالي: أداة+ (خالفة+ضمير الغائب).

مثالها قوله جلّ ثناؤه: (قُتِلَ الإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ)[3]؛ تعجبا من فرط كفـــره بالـــذي خلقه، مع كثرة إحسانه إليه وآياديه السابغة عليه.[4]ويحتمل أن يكون استفهام توبيخ على معنى: أيُّ شيء حمله على الكفر، مع ما يرى من الآيات الدالة على التوحيد؟.[5]

يتم سوقه في المشجر التالي:

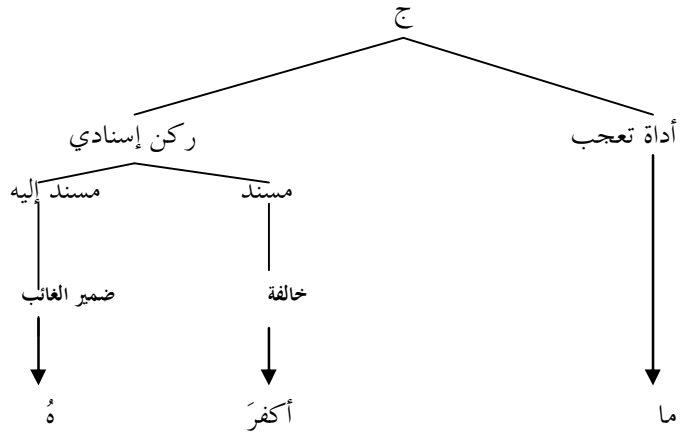

النمط الثالث: مسند + رابط + مسند إليه.

توزع هذا النمط الوظيفي على صورتين شكليتين:

الصورة الأولى: خالفة + أداة + ضميرشخص.

مثالها قوله عزّ وجلّ: (أَسْمِعْ بِهِمْ)[1] على جهة تعجيب النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) من حدة سمعهم يوم القيامة بعد أن كانوا في الدنيا صمّا.[2]

---

[3] عبس/17.

[4] ينظر: معالم التنزيل، 448/4. وينظر: إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم، 110/9. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، 1405هـــ، 92/2. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد عبد الحليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط2، 1372هـــ، 218/19.

[5] ينظر: مشكل إعراب القرآن، 801/2-802. وينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 388/4. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، 218/19.

ويجري على منوالها –أيضا– قوله عزّ من قائل: (وأَبْصِرْ بِهِ)[3]بصيغة التعجب، «على أنّ شأن علمه سبحانه بالمبصرات...خارج عمّا عليه إدراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل».[4]

ويأخذ هذان المثالان الشكل التشجيري الموالي:

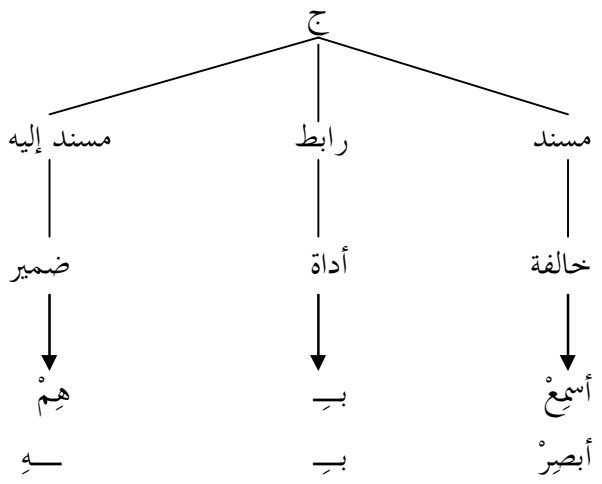

الصورة الثانية: خالفة + Ø + Ø.

مثالها قوله تعالى: (وَأَسْمِعْ)[1] تعجيبا لشأن علمه سبحانه بالمسموعات[2]، حيث يلاحظ حذف المسند إليه مع رابطه من السياق لدلالة ما قبله عليه، وإغنائه عن إعادة ذكره.

نسوقه في المشجّر التالي:

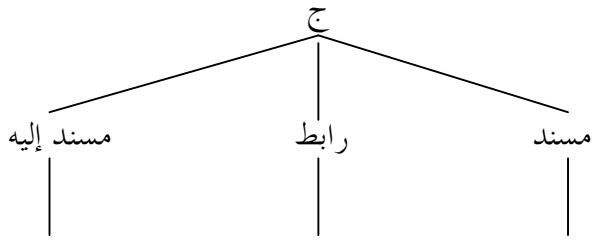

---

[1] مريم/38.

[2] ينظر: إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم، 265/5. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، 108/11.

[3] الكهف/26.

[4] ينظر: إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم، 218/5.

[1] مريم/38.

[2] ينظر: إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم، 218/5.

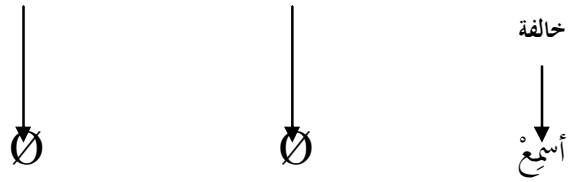

النمط الرابع: مسند + رابط + مسند إليه +ركن إضافي = مسند + رابط + مسند إليه + (مفعول فيه + مضاف إليه).

سيق هذا النمط الوظيفي في صورة واحـــدة قوامهـــا: خالفـــة +Ø+ Ø+ Ø+ (اسم+جملة)، تكشفت في قوله سبحانه وتعالى: (وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنا)[3]، وفيه تعجيب للنبي (صلى الله عليه وسلّم) من حدّة إبصار هؤلاء يوم يأتون ربهم للحساب والجزاء، فحقيقٌ أن يتعجَّب منه بعد أن كانوا في هذه الدنيا عميا.[4]وقد حذف المسند إليه مع رابطه بمسنده ثقةً في دلالة ما قبله عليه، ويجري تقديرهما على: بهم.

وسوق ذلك في الخطاطة التاليـــة:

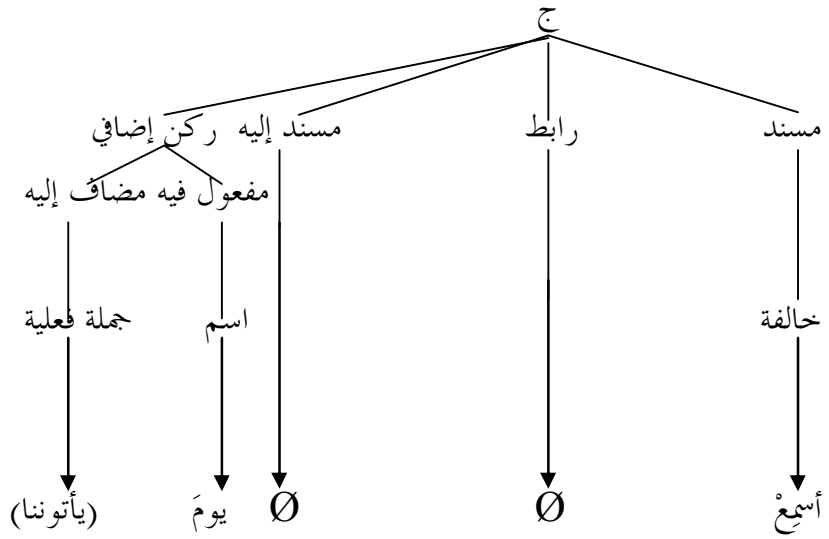

ثانيا: التعجب السماعي:

---

[3] مريم/38.

[4] ينظر: إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم،265/5. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، 108/11.

جدير بالذكر أنّ الأنماط التركيبية لهذا القِسْم لا تنضبط، ولا تنقاس؛ فلا تأخذ شـــكلا معينا مطّردا يمكن أن تنبني عليه قاعدة، أو يترتّب عليه سلوك لغوي يفضي إلى إشـــرابه معـــنى التعجب حين الاستعمال.

فقد استبان حين الفحص أنّ تراكيب المدوّنة القرآنية الموصولة بباب التعجب السماعي تضيق عن الحصر جرّاء كثرتها، واتساع الخلاف بشأن إشرابها هذه القيمة التعبيرية. فلا يكاد المفسرون يقفون حيّالها موقفا واحدا؛ ذلك أنها -في الأغلب الأشيع- تتشرّب معنى الإفصاح من خلال السياق العام الذي يحيط بالعبارة، لا من نظام تأليفها فحسب؛ مما يكون سبيلا إلى اختلاف الفهم، وتعدد الرؤى. فطالما دلّنا البحث في كتب المفسرين على قراءات متباينة لوظائف بعض التراكيب القرآنية التي تندرج في هذا الباب.

فعبارات التعجب السماعي في القرآن الكريم أجلّ من تحصى، وأعظم من أن تتجاوز أو تنسى؛ لأجل ذلك بدا من المفيد أن تستقرأ بعض النماذج التركيبية منها، دون ادعاء الإحاطة بها، فهي أوسع من أن تجتمع في فصل، بلْه أن تأتلف في مبحث منه.

وقد قادنا النظر -سعيا إلى دقة العرض- أن نعرض لنماذج من هذا القسم بمراعاة الأصول الوظيفية للتراكيب قبل أن تفارق وظيفتها الأمّ، وتشحن بقيمة تعجبية جديدة طارئة، فاهتدينا إلى التقسيم التالـــي:

1.الاستفهام التعجبي: يمثل أغلب الأنماط التركيبية التعجبية؛ لأنّ كلّ لفظ استفهام ورد في القرآن الكريم من المولى عزّ وجلّ خارج عن أصل وضعه، مفارق لبابه، فلا يخلو من أحد ستة أوجه: أن يكون توبيخا، أو تقريرا، أو تعجبا، أو تسوية، أو إيجابا، أو أمرا. فأما أن يكون استفهاما صريحا، فلا؛ لأنّ المستفهِم مستعلم ما ليس عنده، طالب للخبر من غيره، والله عليم خبير بالأشياء قبل خلقها، فلا تخفى عليه خافية.[1]

ونسوق فيما يلي بعض وجوه الأنماط التركيبية الاستفهامية التعجبية دون ادعاء الحصـــر:

النمط الأول: استفهام + ركن إسنادي + ركن إضافي + ركن موصول + رابط عطف + معطوف + رابط حال + حال + رابط عطف + معطوف = استفهام + (مسند + مسند إليه) + (أداة إضافة+مضاف إليه) + (مفعول به + صلة) + رابط عطف + معطوف + رابط حال + حال + رابط عطف + معطوف.

---

[1] ينظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، 1401هـــ، ص327.

الصورة: أداة +(فعل مضارع+Ø)+(أداة+ضمير) + (ضمير موصول +صلة)+ أداة + جملة + أداة +جملة +أداة جملة.

المثال: قال تعالى: ﴿ وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ للملائِكَةِ إِنّي جاعِلٌ في الأَرْضِ خَليفَةً قالوا أَتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[2] ليس إنكارا أو اعتراضا من قِبَل الملائكة، بل تعجبا من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها، وطلبا للحكمة التي غلبت تلك المفاسد وألغتها،[3] فالألف –هاهنا– هي ألف الاسترشاد.[4]

المشجّر:

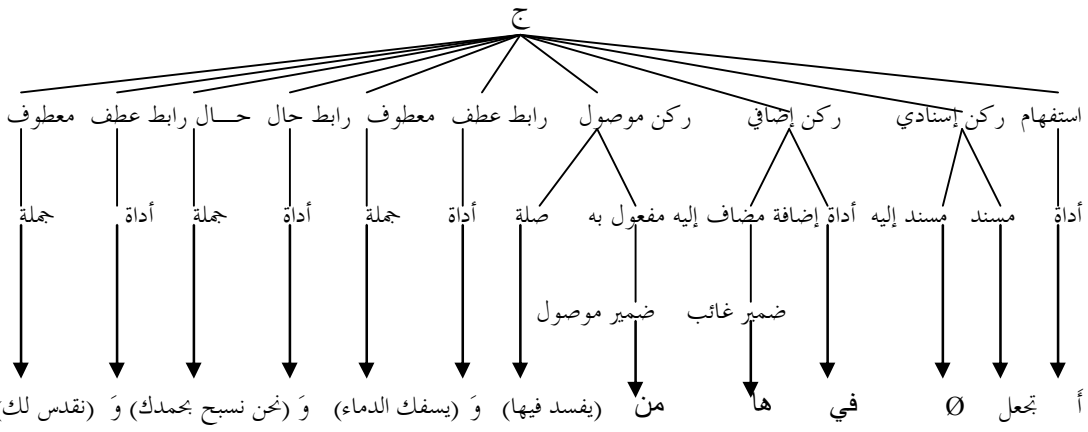

النمط الثاني: استفهام + نفي + ركن إسنادي + مفعول به = استفهام + نفي + (مسند + مسند إليه) + مفعول به.

الصورة: أداة + أداة + (فعل مضارع+ Ø) +جملة فعلية.

المثال: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ﴾[1] تعجيبا لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ، وإن لم يكن رآهم حقّا أو سمع بقصتهم. فقد جرى هذا الكلام مجرى المثل في مقام التعجيب؛ ذلك «أنّه شبّه حال غير الرائي لشيء عجيب بحال الرائي له بناء على ادعاء ظهور أمره وجلائه بحيث استوى في إدراكه الشاهد والغائب، ثمّ أجري الكلام معه كما يجري مع الرائي قصدا إلى المبالغة في شهرته

---

[2] البقرة/30.

[3] ينظر: تفسير البيضاوي، 282/1. وينظر: معالم التنزيل، 61/1. وينظر: روح المعاني، 221/1.

[4] ينظر: مشكل إعراب القرآن، 85/1.

[1] الحِجْر/6.

وعراقته في التعجب».[2] ويأخذ حكمه قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفيلِ)[3]، وفيه تعجيب للنبي (صلّى الله عليه وسلّم) بما فعله المولى عزّ وجلّ بأصحاب الفيل من الحبشة حينما قصدوا تخريب بيت الله الحرام، ويجوز أن يكون الخطاب موجها لكلّ من يصلح له المعنى.[4]

المشجّر:

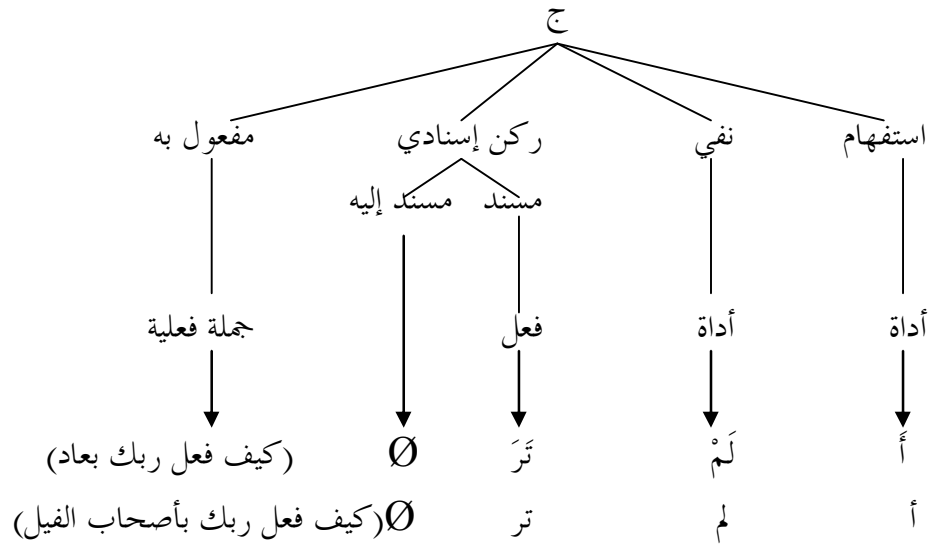

النمط الثالث: استفهام + نفي + ركن إسنادي +ركن إضافي = استفهام + نفي + (مسند + مسند إليه) + (أداة إضافة + مضاف إليه).

الصورة: أداة + أداة + (فعل مضارع +Ø) + (أداة + ركن موصول) = أداة + أداة + (فعل مضارع +Ø) + (أداة + (ضمير موصول+ صلة)).

المثـــال: قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلى الّذينَ أُوتوا نَصيباً مِنَ الْكِتابِ)[1]تعجيبا لنبيه ولكلّ من تصحّ منه الرؤية من حال أحبار اليهود[2]، والرؤية بصرية لا قلبية، وتعديتها بـــ(إلى) حملا لها على النظر، كما يمكن أن تكون علمية، ومن ثمة تكون تعديتها لتضمنها معنى الانتهاء، على تقدير: ألم ينتهِ علمك إليهم، وهو على جهة لا تخرج عن مقام التعجيب أيضا.[3]

المشجر:

---

[2] إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم، 237/1.

[3] الفيل/1.

[4] ينظر: فتح القدير، 495/5.

[1] النساء/44-51. آل عمران/23.

[2] ينظر: فتح القدير، 328/1. وينظر: روح المعاني، 20/3.

[3] ينظر: روح المعاني، 44/5.

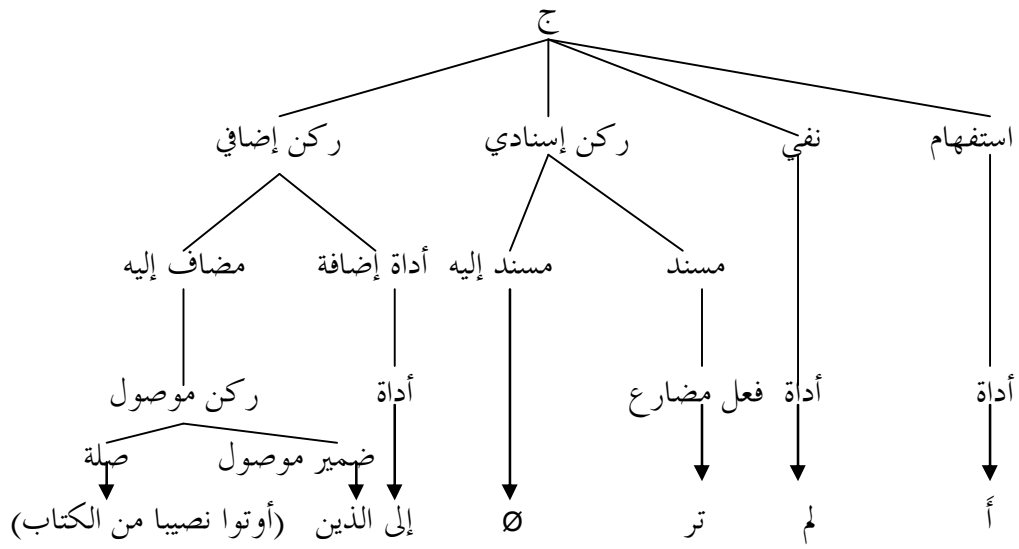

النمط الرابع: استفهام + معطوف عليه + رابط عطف + معطوف + رابط عطف + معطوف.

تجلى هذا النمط الوظيفي في صورة واحدة قوامها الوحدات الصرفية التالية: أداة + Ø+أداة + جملة فعلية + أداة + جملة فعلية.

المثال: ﴿أَفَلا يَتُوبونَ إِلى اللهِ وَيَسْتَغْفِرونَهُ﴾[4]، حيث ليس يخفى أنّ في الاستفهام تعجيبا من إصرارهم؛[5]لإنكار الواقع، لا لإنكار الوقوع، على أنّ الفاء للعطف على مقدّر يقتضيه المقام، كأنما الأصل فيه: ألا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والأقاويل الباطلة، فلا يتوبون إلى الله، ويستغفرونه.[6]

المشجّر:

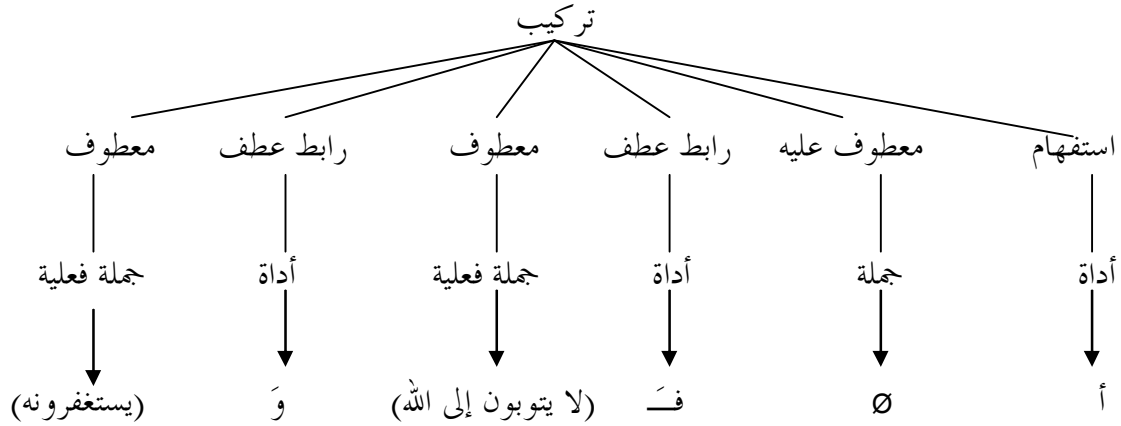

النمط الخامس: استفهام + ركن إسنادي + مفعولين = استفهام + (مسند + مسند إليه) + مفعولين.

الصورة: أداة + (ركن فعلي + Ø) + Ø = أداة + ((فعل ماض + أداة خطاب) + Ø)+Ø.

---

[4] المائدة/74.

[5] ينظر: تفسير البيضاوي، 354/2.

[6] ينظر: إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم، 67/3.

المثال: (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[1]، وهو استفهام تعجب، والكاف للخطاب، ومفعولا رأيت محذوفان لدلالة الكلام عليهما، والتقدير حينئذ: أرأيتكم عبادتكم الأصنام هل تنفعكم عند مجيء الساعة؟، وقد دلّ على ذلك جواب الشرط: (أغير الله تدعون). وقال قوم آخرون: لا يحتاج إلى مفعول؛ لكون معناه محصّلاً من الشرط وجوابه.[2]

المشجر:

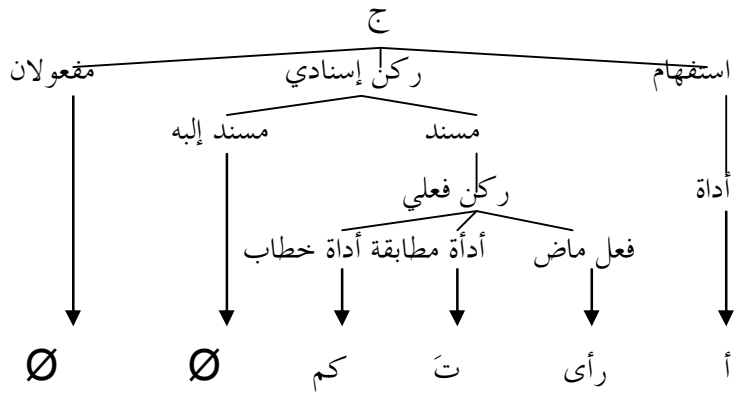

---

[1] الأنعام/40.

[2] ينظر: التبيان في إعراب القرآن، 242/1.

النمط السادس: استفهام + ركن إسنادي + مفعول به + ركن إضافي = : استفهام + (مسند + مسند إليه) + مفعول به + (أداة إضافة + مضاف إليه).

الصورة: أداة + (ركن فعلي + Ø) + ضمير متكلم + (أداة + ركن موصول) = أداة + ((فعل ماض + أداة مطابقة) + Ø) + ضمير متكلم + (أداة + (أداة موصولة + صلة)).

المثال: (قَالَ أَبَشَّرْتُموني عَلى أَنْ مَسَّني الكِبَرُ)[1]على طريق التعجب من أن يولد له ولد مع مس الكبر إيّاه.[2]

المشجّر:

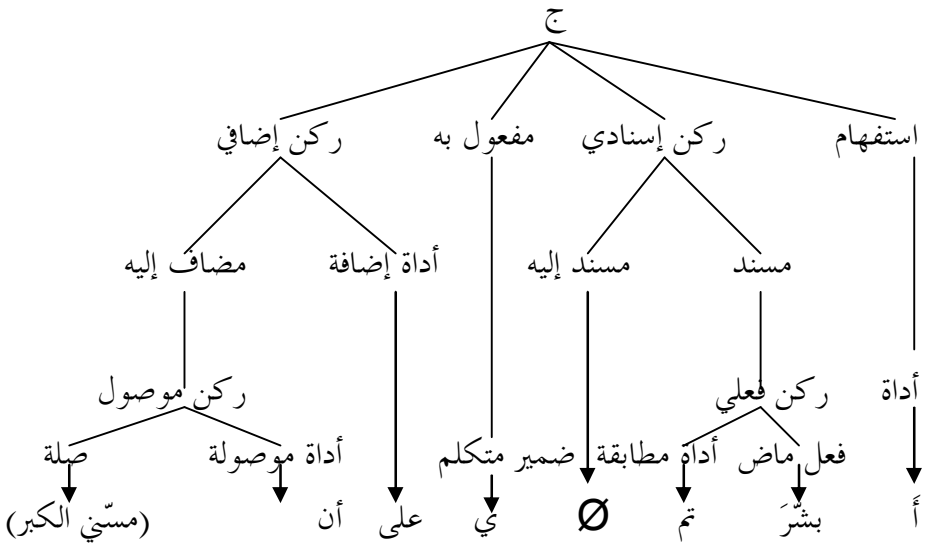

النمط السابع: ركن إضافي + ركن إسنادي = (أداة إضافة + ركن إضافي) + (مسند + مسند إليه) = (أداة إضافة + (استفهام+ مضاف إليه)) + (مسند + مسند إليه).

الصورة: (أداة + (أداة + اسم)) + (ركن فعلي + Ø) = (أداة + (أداة + اسم)) + ((فعل ماض + أداة تأنيث)+ Ø).

المثال: (لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ)[3]، وفيه تعجيب من عظم ذلك اليوم وهولـــه.[4]

المشجّر:

---

[1] الحِجر/54.

[2] ينظر: تفسير البيضاوي، 375/3. وينظر: معالم التنزيل، 53/3. وينظر: تفسير مجاهد، تحقيق عبد الرحمن الطاهر محمد الســـورتي، المنشورات العلمية، بيروت، (د.ت)، 342/1.

[3] المرسلات/12.

[4] ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 377/4.

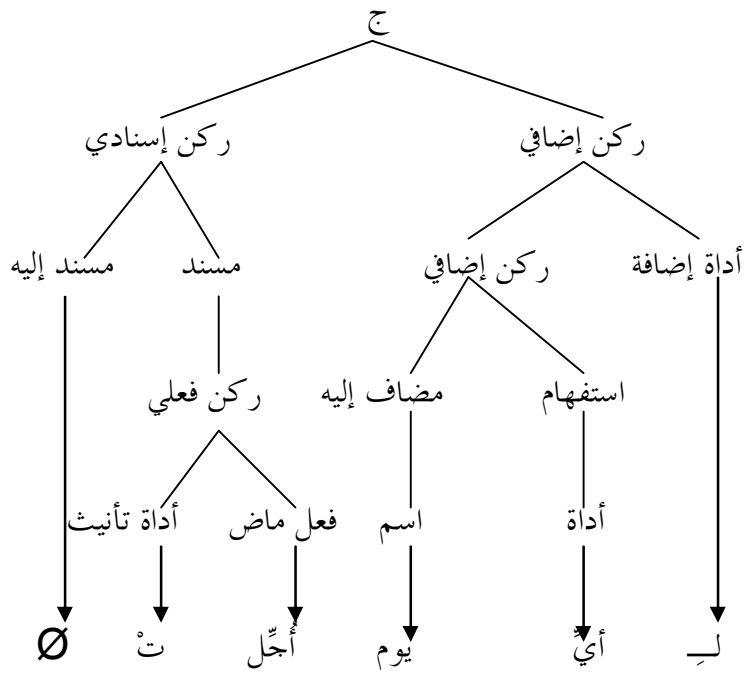

النمط الثامن: استفهام عن المسند إليه + مسند + مفعول به أول + مفعولين

الصورة: أداة + فعل ماض +ضمير خطاب + جملة استفهام.

المثال: ﴿وما أدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ﴾[1]، قاله المولى عزّ وجلّ تعجيبا وتفخيما لشأن ذلك اليوم.[2]

المشجّر:

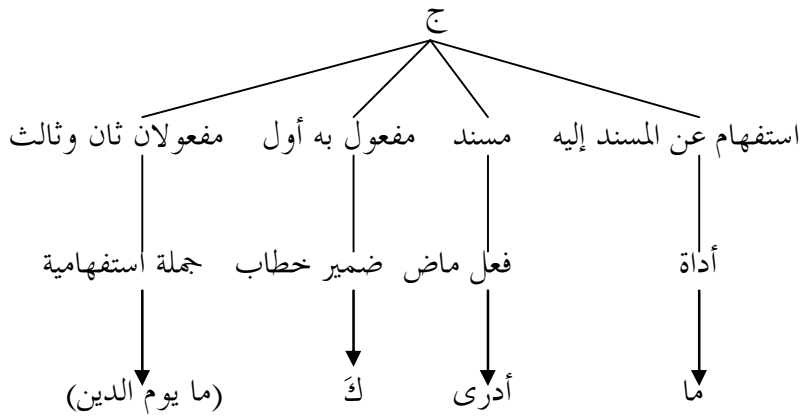

يلاحظ أنّ لهذه الصورة نظائر في القرآن الكريم في مواضع عدة منه، سيقت جميعها؛ لتفيد ضربا من التعجيب والاستعظام، نوردها في الجدول التالي:

الآيـــــة	الرقم	السورة	الصفة

[1] الانفطار/17.

[2] ينظر: تفسير البيضاوي، 462/5.

(وَما أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الفَصْلِ)	14	المرسلات	مكية
(ثمُّ ما أدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ)	18	الانفطار	مكية
(وَما أَدْرَاكَ ما الْحَاقَّةُ)	3	الحاقة	مكية
(وَما أَدْرَاكَ ما سَقَر)	27	المدثر	مكية
(وَما أَدْرَاكَ ما سِجِّين)	8	المطففين	مكية
(وَما أَدْرَاكَ ما الطّارِقُ)	2	الطارق	مكية
(وَما أَدْرَاكَ ما العَقَبَةُ)	12	البلد	مكية
(وَما أَدْرَاكَ ما لَيْلَةُ القَدْرِ)	2	القدر	مكية
(وَما أَدْرَاكَ ما القارِعَةُ)	3	القارعة	مكية
(وَما أَدْرَاكَ ما هِيَهْ)	10	القارعة	مكية
(وَما أَدْرَاكَ ما الحُطَمَةُ)	5	الهُمَزَةُ	مكية

النمط التاسع: استفهام عن مسند + ركن إضافي= استفهام عن مسند + مسند إليه + مضاف إليه.

تجلّى هذا النمط الوظيفي في صورتين، هما كالتالي:

الصورة الأولى: أداة + (اسم + ركن وصفي) = أداة + (اسم + (أداة تعريف + صفة مكان)).

المثال: (وأَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ ما أَصْحابُ المَشْأَمَةِ)[1] في الآية تعجيب للسامع من شأن هذا الفريق في الفظاعة، كأنما قيل: أصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال.[2]

المشجّر:

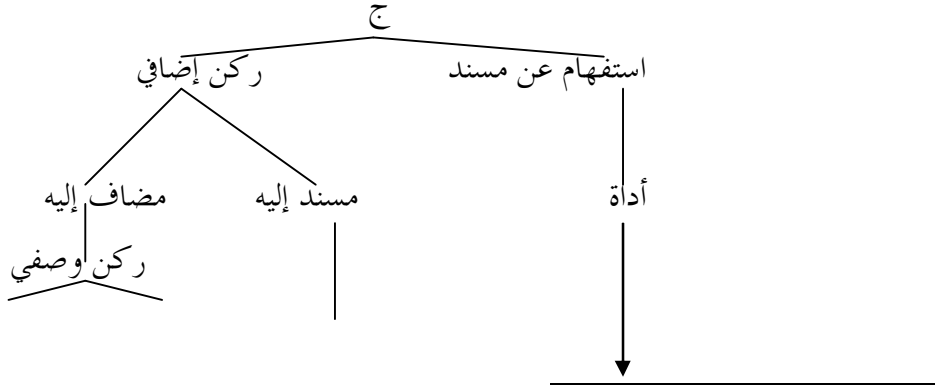

[1] الواقعة/9.

[2] ينظر: إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم، 189/8.

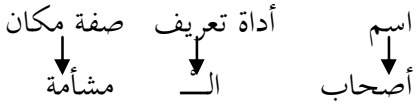

الصورة الثانية: أداة + (اسم + ركن اسمي) = أداة + (اسم + (أداة تعريف + اسم)).

المثال: قوله تعالى:(وَأَصْحابُ اليَمينِ ما أَصْحابُ اليَمين)[1]، وقوله أيضا: (وَأَصْحابُ الشِّمالِ ما أَصْحابُ الشِّمال)[2] حيث المراد تعجيب السامع من شأن الفريقين فخامة وفظاعـــةً.

المشجر:

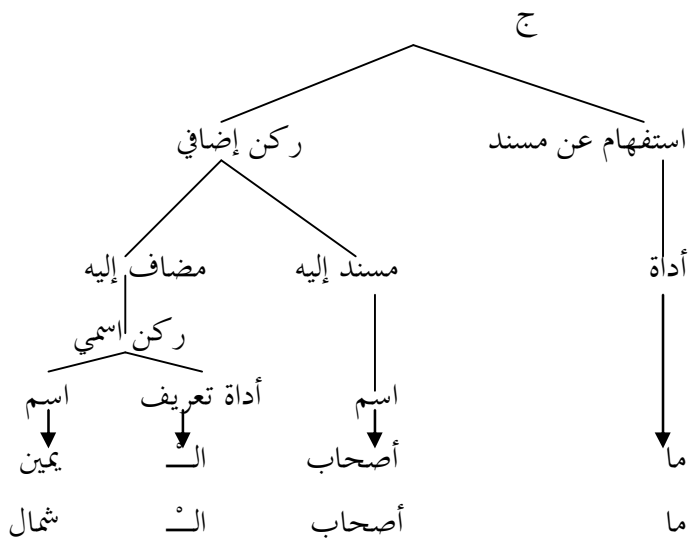

2.النداء التعجبي:

يكثر وضع النداء موضع التعجب في خطاب البشر، فيفارق أصل وضعه، ويصير مفصحا عن انفعال يتأجج بالنفس، إلاّ أنّ وروده في آي الذكر الحكيم كان قليلا لم يجاوز موضعين شكّلا نمطين وظيفيين مختلفين على نحو ما يتضح:

النمط الأول: أداة نداء + منادى+ركن إضافي= أداة نداء + منادى+(أداة إضافة + مضاف إليه).

الصورة: أداة + اسم + (أداة إضافة + ركن اسمي) = أداة + اسم + (أداة إضافة + (أداة تعريف + اسم)).

المثال: (يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ)[1]، وهو من باب وضع النداء موضع التعجب.[2]

المشجّر:

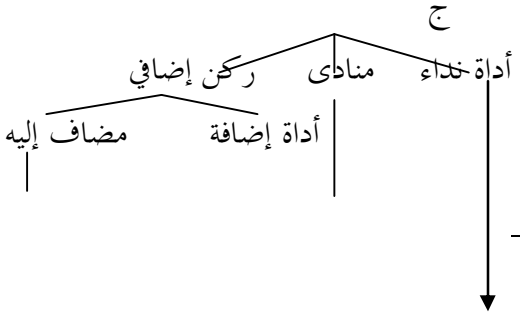

[1] الواقعة/27.

[2] الواقعة/41.

[1] يس/20.

[2] ينظر: الإتقان في علوم القرآن، ص644.

النمط الثاني: أداة نداء +ركن إضافي = أداة نداء + (منادى + مضاف إليه).

الصورة: أداة + (اسم + ضمير المتكلم).

المثال: (قال يا بُشْراي هذا غُلامٌ)[3]. لم أقف في كتب التفسير التي عدت إليها على من جعل هذا المثال آية على التعجب، إلا أني آثرت أن أشربه هذه القيمة التعبيرية، لما تعذّر نداء البشرى على وجه الحقيقة. كما ليس يخفى أنّ في السياق الذي يحيط بالعبارة استقواء لهذا المعنى؛ إذ قيلت العبارة لّما التقط يوسفَ أحدُ السيارة حينما ألقى دلوه فعلق به الغلام، فمثل هذا الموقف يولِّد في النفس السّويّة انفعالا شديدا، قوامه الاندهاش مما تراه العين.

المشجّر:

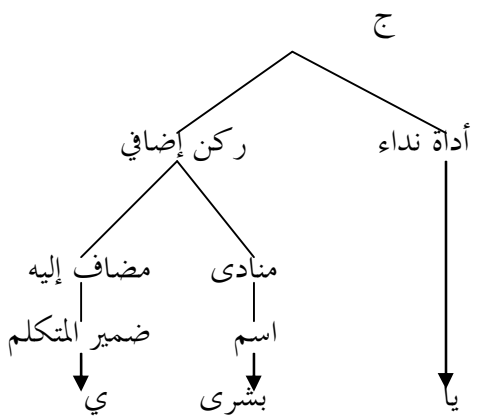

3.الشرط التعجبي:

النمط: شرط + ركن إسنادي + ركن إضافي + جواب شرط = شرط + (مسند + مسند إليه) + (مفعول فيه + مضاف إليه) + جواب شرط.

الصورة: أداة + (فعل + Ø) + (ظرف + جملة) + Ø.

المثال: قوله تعالى ذكره: (وَلَوْ تَرى إِذْ الْمُجْرِمونَ نَاكِسو رُؤوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ)[1]، تعجيبا لمحمد عليه الصلاة والسلام، ولأمته من حال الكفرة وما حلّ بهم، على أنّ جواب الشرط محذوف؛ لأنّ حذفه أدعى إلى الهول في النفوس.[2]

---

[3] يوسف/19.

[1] السجدة/12.

[2] ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 214/3.

ونظيره –أيضا– قوله سبحانه: (وَلَوْ تَرى إِذْ فزِعوا فَلا فَوْت وَأُخِذوا مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ)[3]، على أنّ معنى الآية التعجيب من حال هؤلاء إذ فزعوا من أخذ المولى إياهم.[4]

ويجري على المنوال ذاته قوله كذلك: (وَلَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفّى الَّذينَ كَفَروا المَلائِكَةُ يَضْرِبونَ وجوهَهُمْ وَأَدْبارِهِمْ)[5]، وقد تضمنت الآية «التعجيب ممّا حلّ بالكفّار يوم بدر».[6]

المشجّر:

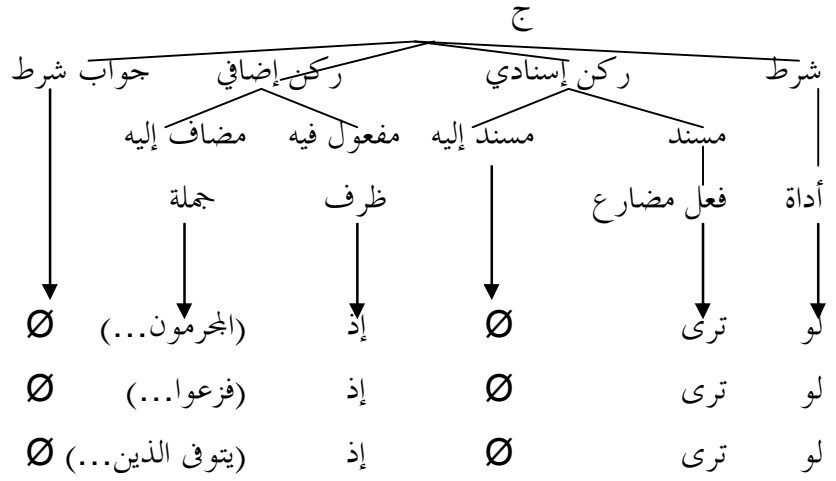

4.الخبر التعجبي:

النمط الأول: ركن إسنادي + ركن إضافي = (مسند + مسند إليه) +(أداة إضافة + ركن موصول = (مسند + مسند إليه) +(أداة إضافة + (مضاف إليه+ صلة)).

الصورة: (فعل ماض + اسم) + (أداة +(ضمير موصول + صلة)).

المثال: (فَتَعالى اللهُ عَمّا يُشْرِكونَ)[1]، وهو تنزيه لا يخلو من التعجب، والفاء فيه على ما فصّل من أحكام قدرة الله عز وجلّ وآثار نعمته.[2]

المشجّر:

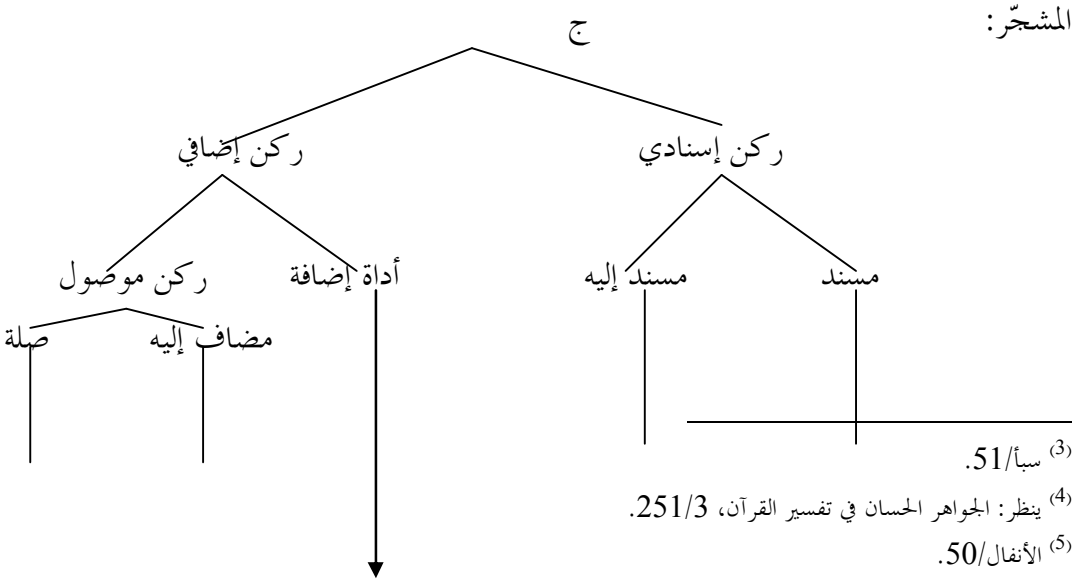

[3] سبأ/51.

[4] ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 251/3.

[5] الأنفال/50.

[6] ينظر: : الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 104/2.

[1] الأعراف/190.

[2] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 304/3. وينظر: روح المعاني، 139/9.

النمط الثاني: مسند + مفعول به + مسند إليه.

الصورة: فعل ماض + ضمير + اسم.

المثال: (قاتَلَهُمُ اللهُ)[3]، يحتمل هذا السياق أن يكون دعاء على هؤلاء بالإهلاك، كما يحتمل أن يقال تعجبا من شناعة قولهم.[4]

المشجّر:

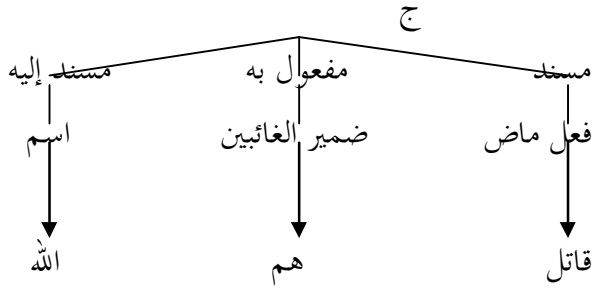

النمط الثالث: ركن إسنادي + ركن إضافي = (مسند + مسند إليه) +(مفعول مطلق + مضاف إليه).

الصورة: (Ø+Ø) +(اسم + ضمير شخص).

المثـــال: عبارتا (سُبْحانَهُ)[1] و(سُبْحانَكَ)[2]، حيث تفيدان الدلالة على التعجب، مع التنزيه والتقديس.

المشجّر:

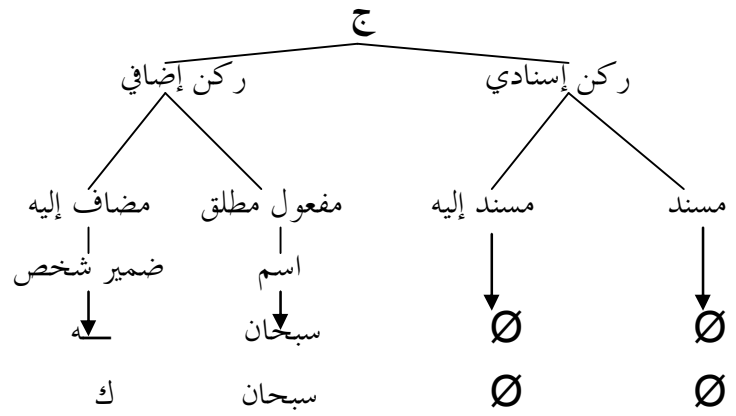

---

[3] التوبة/30. المنافقون/4.

[4] ينظر: تفسير البيضاوي، 141/3. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 60/4.

[1] مريم/35. الأنبياء/26. الروم/40. الزمر/4 – 67.

[2] يونس/10. الأنبياء/87. النور/16. الفرقان/18. سبأ/41.

النمط الرابع: ركن إسنادي + ركن إضافي = (مسند + مسند إليه) + (مفعول مطلق + ركن إضافي) = (مسند + مسند إليه) + (مفعول مطلق + (مضاف إليه + مضاف إليه)).

الصورة الثانية: (Ø+Ø)+ (اسم + (اسم + ضمير)).

المثال: (قُلْ سُبْحانَ ربِّي)[3]، الخطاب موجه إلى النبي (صلى الله عليه وسلّم)، والمقول تنزيه للمولى عزّ وجلّ عن العجز في شيء، أو الاعتراض عليه في فعل. وقيل: إنه مسوق على جهة التعجيب من فرط كفرهم.[4]

المشجّر:

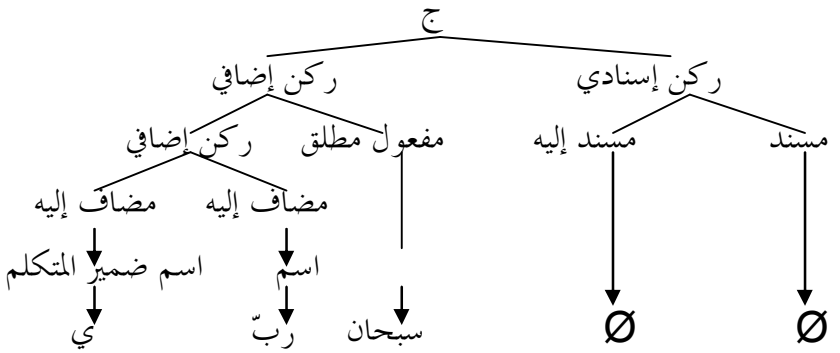

النمط الخامس: ركن إسنادي + ركن إضافي = (مسند + مسند إليه) +(مفعول مطلق + ركن موصول) = (مسند + مسند إليه) +(مفعول مطلق + (مضاف إليه + صلة)).

الصورة الثالثة: (Ø+Ø) + (اسم + (ضمير موصول+ جملة فعلية)).

المثال: (سُبْحانَ الّذي خَلَقَ الأَزْواجَ كُلَّها مِمّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمّا لا يَعْلَمونَ)[1]. قيل: تنزيه فيه معنى التعجب، كأنما الأصل فيه: ((عجبا لهؤلاء في كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه الآيات ، ومَن تعجب من شيء قال: سبحان الله)).[2]

النمط السادس: ركن إسنادي + ركن إضافي + ركن إضافي = (مسند +مسند إليه)+ (مفعول مطلق + مضاف إليه) + (نعت + مضاف إليه).

الصورة: (Ø +Ø)+ (اسم+اسم) + (اسم+ ركن اسمي)= (Ø +Ø)+ (اسم+اسم) + (اسم+ (أداة تعريف+اسم)).

---

[3] الإسراء/93.

[4] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 331/10.

[1] يس/36.

[2] الجامع لأحكام القرآن، 26/15.

المثال: (وَسُبْحانَ اللهِ رَبِّ الْعالَمينَ)[3]، وهو تعجيب لموسى عليه السلام، أو تعجب لما دهاه من عظمته.[4]

المشجر:

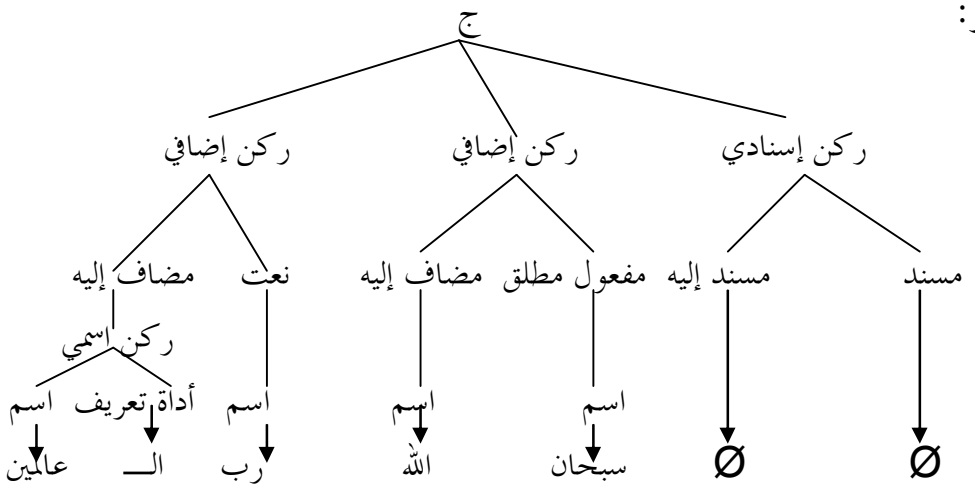

النمط السابع: مسند إليه + ركن موصول = مسند إليه+(مسند + صلة).

الصورة: ركن إشاري + (ضمير موصول + جملة فعلية) = (أداة تنبيه + ضمير إشارة) + (ضمير موصول + جملة فعلية).

المثال: (قالُوا هَذا الَّذي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ) [1]، قولهم هذا يحتمل وجهين: «أن يكون تعجبا منهم ، وهو قول ابن عباس، ويحتمل أن يكون خبرا من بعضهم لبعض، قاله جماعة من المفسرين».[2]

المشجر:

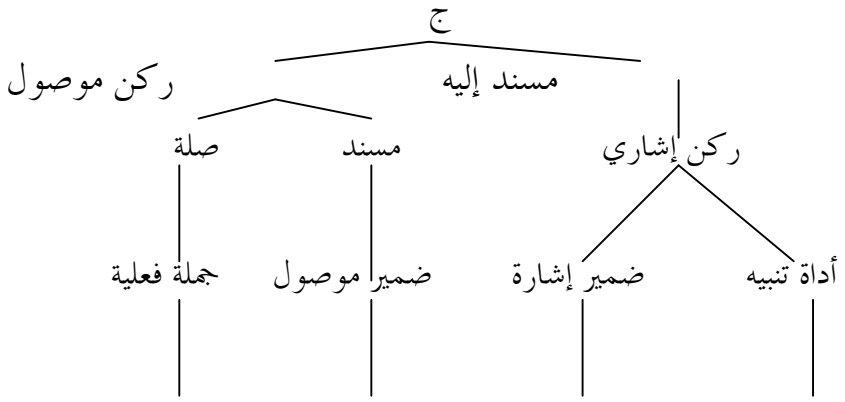

---

[3] النحل/8.

[4] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 274/6.

[1] البقرة/25.

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 40/1.

ها ذا الذي (رُزقنا من قبل)

النمط الثامن: مسند + رابط زائد للتوكيد + مسند إليه + تمييز + نعت

الصورة: فعل ماض + أداة + ضمير الغائب + اسم + صفة فاعل

المثال: (وَكَفى بِهِ إِثْماً مُبيناً)[3] تعجبا وتعجيبا من أمرهم، على أنّ الهاء في (به) عائـــدة على الافتراء، وقيل: على الكذب.

المشجر:

4. ج

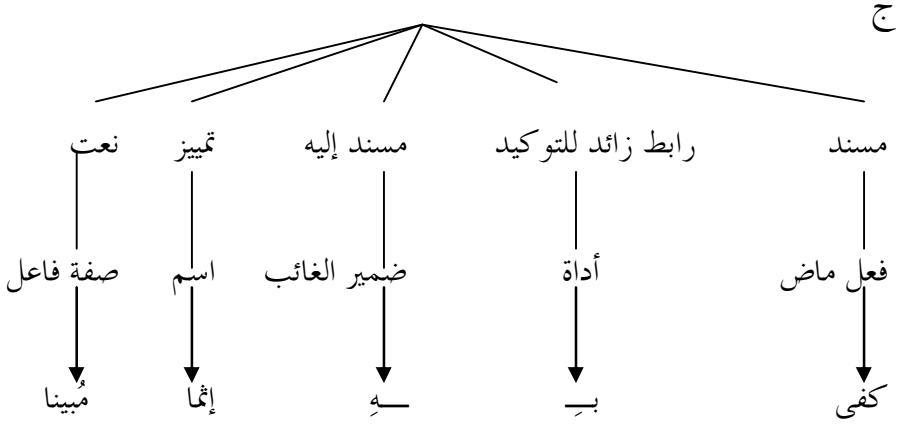

[3] النساء/50.

المبحث الثاني:
الأنماط الوظيفية لتركيب المدح والذم وصورها الشكلية في القرآن الكريم

أولا: المدح:

1. المدح بصيغة (نِعْم):

وردت(نِعْم) في القرآن الكريم لإنشاء المدح، والإفصاح عن قيمته التعبيرية ثماني عشرة مرة في ست عشرة آية؛ تسع منها مكية، وسبع مدنية، وقد سيقت مضبوطة في المصحف الشريف بكسر النون وسكون العين وفتح الميم، إلا في موضعين من سورتي البقرة والنساء؛ أما الأول فقوله تعالى: (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ)[1]، وأما الثاني فقوله: (إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ)[2] فقد تباينت فيهما الحركات على نحو ما هو آت من وجوه القراءات:[3]

---

[1] البقرة/271.

[2] النساء/ 58.

[3] ينظر: كتاب السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1400هـ، ص190-191. وينظر: الحجة في القراءات السبع، ص102. وينظر: حجة القراءات، أبو زرعة بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1402هـ، 1982م، 1/146-147 وينظر: إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز الجامع للقراءات الأربعة عشر، القباقبي، تحقيق: فرحات عياش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص183.

الوجه الأول: قراءة ابن كثير وعاصم في رواية حفص، ونافع في رواية ورش بكسر النون والعين وتشديد الميم. والحجةُ لمن كسر النون أنه قربها من العين؛ ليوافق بها لفظ أختها (بئس)؛ لأن هذه في المدح كهذه في الذم.

الوجه الثاني: قراءة نافع في غير رواية ورش، وأبو عمرو في رواية أبي بكر والمفضل بكسر النون وإسكان العين وتشديد الميم. والحجة لمن أسكن العين وجمع بين ساكنين أنه جعل (نعم) و(ما) كلمة واحدة فخففهما بإسكان.

الوجه الثالث: قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين وتشديد الميم. والحجة لمن فتح النون وكسر العين أنه أتى بلفظ الكلمة على الأصل.

ويكون في الطوق سوق خالفة المدح(نِعْمَ) في التركيب القرآني من خلال أربعة أنماط وظيفية، هي:

النمط الأول: ركن إسناد + مسند إليه = (مسند + ركن إضافي) + مسند إليه= (مسند + (مسند إليه + مضاف إليه)) + مسند إليه.

توزع هذا النمط الوظيفي على الصور الشكلية التالية:

الصورة الأولى:(خالفة + (اسم + ركن وصفي)) + ø = (خالفة + (اسم + (أداة تعريف + صفة فاعل))) + ø.

مثالها قوله تعالى: (نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ)[1]، ويحلل وفق المشجر التالي:

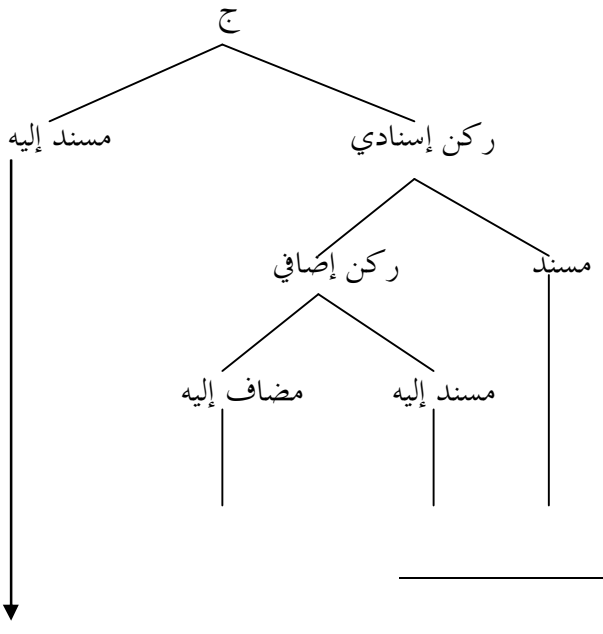

[1] العنكبوت/58.

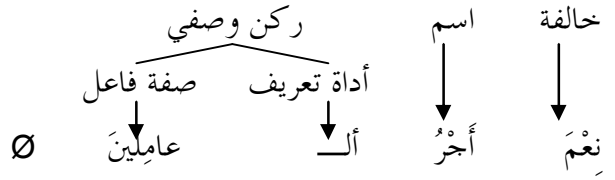

ومن الملاحظ أن المخصوص بالمدح ورد محذوفا؛ ثقةً بدلالة مـــا قبلـــه عليـــه[2]، واختلف في تقديره على أوجه؛ فقيل في تفسيره:

1. «نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرف».[3]
2. « نعمت هذه الغرف أجرا».[1]
3. « نعم أجر العاملين الذين صبروا». [2]
4. « نعم أجر العاملين أجرُهم ». [3]
5. « نعم أجر العاملين هذا الأجر». [4]
6. « نعم أجر العاملين الغرف أو أجرهم، ويجوز كون التمييز محذوفا؛ أي: نعم أجرا أجرُ العاملين». [5]
7. «ذلك نعم أجر العاملين »[6]

كما يلاحظ – أيضا- أنّ هذه الصورة الشكلية تكررت ثلاث مـــرات في القـــرآن الكريم؛ ففي قوله تعالى: (والَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْري مِنْ تَحْتِها الْأَنْهَارُ خالِدينَ فيها نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ) [7]سيق تركيب المـــدح بغـــير رابطـــة؛ لاتصاله بالأول أشدّ اتصال[8]، بينما سيق برابطة العطف في موضعين آخرين:

---

[2] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 46/7. وينظر: روح المعاني ، 11/21.

[3] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 10/21.

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الفكر، بيروت، 1401هـــ، 420/3.

[2] الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، 1993م، 474/6.

[3] فتح القدير، 211/4.

[4] تفسير الجلالين، ص529.

[5] روح المعاني، 11/21.

[6] أسرار التكرار في القرآن، الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، ط2، 1396هـــ، ص166.

[7] العنكبوت/58.

[8] ينظر: أسرار التكرار في القرآن، ص166.

الموضع الأول: قوله تعالى:(أُولئِكَ جَزاؤُهُم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِم وَجَنّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدينَ فيها وَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلينَ)[9] بزيادة الواو؛ لأنّ الاتصال بما قبلها أوثق من غيرها[10]، على أنّ المخصوص بالمدح محذوف، وقد جرى تقديره على جهات، فقيل:

1.ونعم الأجر الجنةُ (بالإفراد).[11]

2.ونعم الأجر الجنات (بالجمع).[12]

3.ونعم الأجر أجرُهم.[1]

4.ونعم الأجر المغفرةُ والجناتُ.[2]

5.ونعم الأجر المغفرة والجنات والخلود.[3]

6.ونعم أجرُ العاملين ثوابُ المطيعين.[4]

الموضع الثاني: قوله تعالى: (نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْم أَجْرُ العَامِلِينَ)[5]، ويسجَّل غياب المخصوص بالمدح هاهنا، وقد درج علماء التفسير على تقديره، فقيل -بداءة -: هو من قولهم، وقيل: هو من قول الله جلّ ثناؤه، على أنَّ الأصل في العبارة: نِعْم ثوابُ المحسنين هذا الذي أعطيتهم.[6]وقيل: الأصل فيها: فنعم الأجرُ

---

[9] آل عمران/136.

[10] ينظر: أسرار التكرار في القرآن، ص52.

[11] ينظر: التبيان في إعراب القرآن، ص150. وينظر: تفسير القرآن العظيم، 409/1. وينظر: الدر المنثور، 329/2.

[12] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 99/4.

[1] ينظر: البرهان في علوم القرآن، 160/3.

[2] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 87/2. وينظر: تفسير البيضاوي، 95/2.

[3] ينظر: أسرار التكرار القرآن، ص52.

[4] ينظر: معالم التنزيل، 353/1.

[5] ينظر: الزمر/74.

[6] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 287/15.

أجرُنا على عملنا. [7]وقيل: فنعم أجرُ العاملين الجنةُ.[8] وقيل: فنعم أجـــر العـــاملين ثوابُ المطيعين.[9]

الصورة الثانية: (خالفة + (اسم + ركن اسمي)) + Ø=(خالفة + (اســـم + (أداة +اسم))) + Ø.

لم ترد هذه الصورة إلاّ مرة واحدة في قوله تعالى: (سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَـــبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبى الدَّارِ)[10]. ويحسُن سوقُ تركيب المدح فيه من خلال المشجّر التالي:

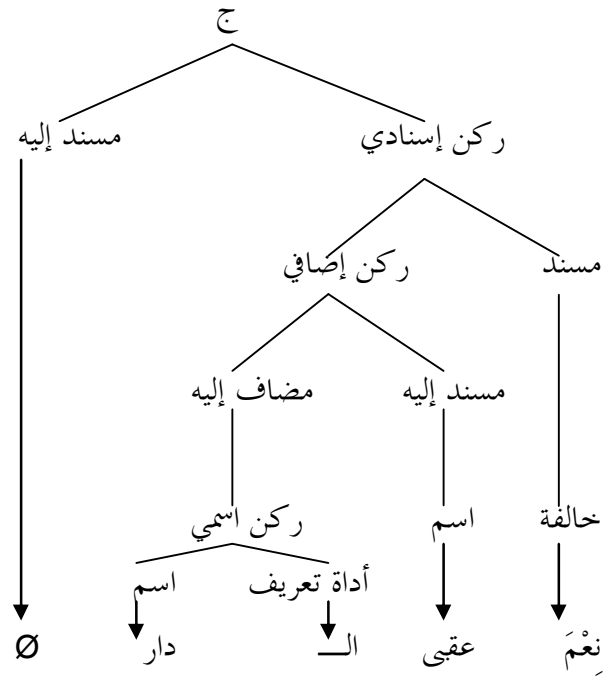

فقد جاء سبحانه بهذا التركيب المتضمن لمدح ما أعطاهم من عقبى الدار للترغيب والتشويق، [1]ويتضح أن المخصوص فيه محذوف لدلالة سياق الكلام عليه، فقيل في تفسيره وتقديره:

---

[7] ينظر: تفسير القرآن العظيم، 86/4.

[8] ينظر: فتح القدير، 478/4. وينظر: تفسير الجلالين، ص617. وينظر: زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن الجوزي، المكتـــب الإسلامي، بيروت، ط3، 1404هـــ، 202/7. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 264/7. وينظر: جامع البيـــان عن تأويل آي القرآن، 37/24.

[9] ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم-الدار الشامية، دمشـــق- بـــيروت، ط1، 1415هـــ، 939/2.

[10] الرعد/24.

[1] ينظر: فتح القدير، 79/3.

1. فنعم عقبى الدار عقباهم.[2]
2. فنعم عقبى الدار عقباكم.[3]
3. فنعم عقبى الدار الجنة.[4]
4. فنعم عقبى الدار دار الجنة.[5]
5. فنعم العقبى عقبى داركم.[6]

النمط الثاني: ركن إسنادي + مسند إليه= (مسند + مسند إليه) + مسند إليه.

الصورة الأولى: (خالفة + ركن وصفي) + Ø =(خالفة +(أداة + صفة)) + Ø.

وقد وردت هذه الصورة مكررة ثماني مرات في آي القرآن الكريم، متوزعةً على الأشكال التالية:

الشكل الأول: (خالفة + (أداة + صفة فاعل)) + Ø.

مثاله قوله تعالى: (وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ)[1]، ويمكن تحليله من خلال المشجر التالي:

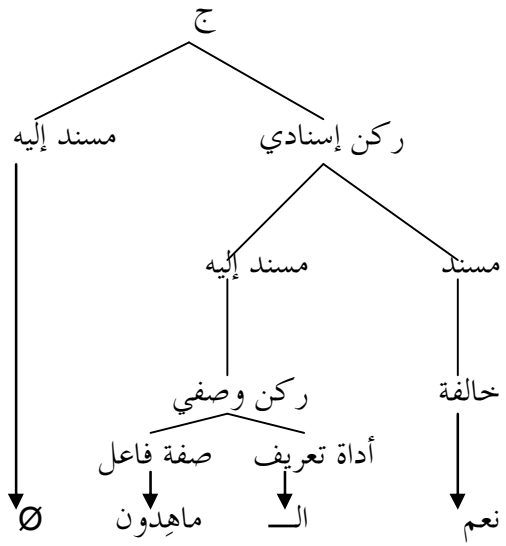

---

[2] ينظر: البرهان في علوم القرآن، 159/3.

[3] ينظر: تفسير الجلالين، ص325.

[4] ينظر: روح المعاني، 145/13. وينظر:تفسير الصنعاني، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1410هـ، 335/2.

[5] ينظر: الدر المنثور، 639/4.

[6] ينظر: الوجيز في الكتاب العزيز، 571/1.

[1] الذاريات/48.

حيث يلاحظ حذف المخصوص بالمدح من هذا السياق القرآني، وتقـــديره: نحن[2]، وليس يخفى- كما يقول القرطبي- أن((المعنى في الجمع التعظيم)).[3]

وقد تمثل هذا الشكل أيضا في قوله تعالى: (فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ)[4]، حيث حذف المخصوص على نية تقديره بـــ: نحن.[5]

الشكل الثاني: (خالفة+(أداة + صفة مفعول)) +Ø .

مثاله (نِعْمَ الْمَوْلَى) في قوله تعالى: (وَإِنْ تَوَلَّوا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلاكُمْ نِعْـــمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)[1] ، وفي قوله: (وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)[2]، ولا فارق بين التركيبيين إلا من جهة سوق أوّلهما بغير رابطة العطف التي تحققَ وجودُها في ثانيهما. ولاشك أن المخصوص بالمدح فيهما معا جار على تقـــدير واحد وهو: الله سبحانه.[3]

ويمكن سوق المثالين معا، وهما متناظران تأليفا ودلالة، وفق المشجر التالي:

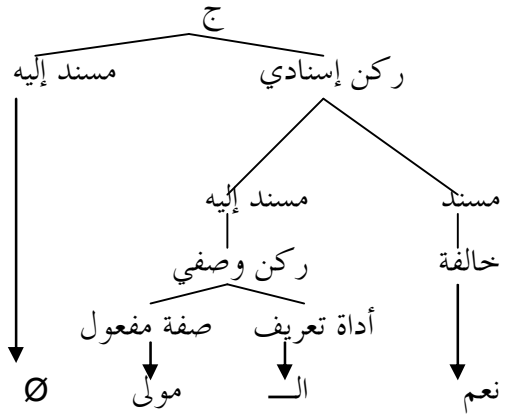

---

[2] ينظر: تفسير البيضاوي، 241/5. وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 8/27.

[3] الجامع لأحكام القرآن، 59/17.

[4] المرسلات/23.

[5] ينظر: الإتقان، 168/2. وينظر: التبيان في الإعراب القرآن، 278/2. وينظر: البرهان في علوم القرآن، 159/3. وينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 1162/2.

[1] الأنفال/40

[2] الحج/78.

[3] ينظر:التبيان في إعراب القرآن، 6/2.

الشكل الثالث: (خالفة + (أداة + صفة مبالغة)) + Ø.

وقد ورد هذا الشكل ثلاث مرات على زنة (فعيل) التي تفيد الدلالة على كثرة اتصاف الموصوف بالصفة، من خلال لفظتي: (وكيل) و(نصير) من قوله تعالى:

1. (وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)[4].
2. (وإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)[5].
3. (وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَولى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)[6].

فمن الملاحظ أن اللفظة الأول سيقت بمعنى اسم المفعول؛ أي: الموكول إليه أمر الخلائق قاطبة، بينما سيقت اللفظة الثانية بمعنى اسم الفاعل؛ أي: الناصر على جهة المبالغة، والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: الله سبحانه.

ونسوق هذا الشكل من خلال المشجر التالي:

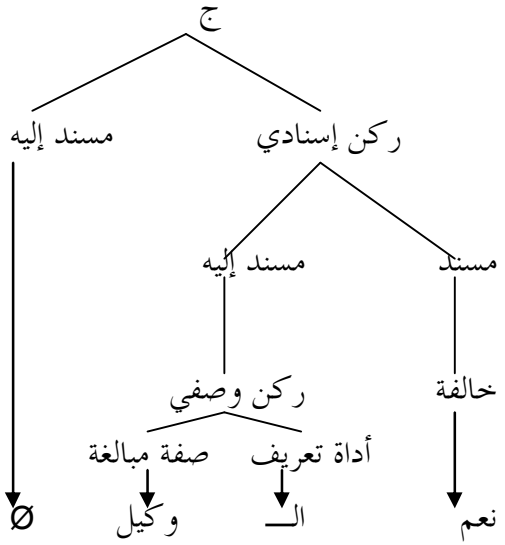

الصورة الثانية: (خالفة + ركن اسمي) + Ø =(خالفة +(أداة + اسم)) + Ø.

---

(4) آل عمران/173.

(5) (2) الأنفال/40.

(6) (3) الحج/78.

ترددت هذه الصورة ثلاث مرات في السياقات القرآنية التاليـــة:

1. في قوله تعالى: (أُولئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ مِـــن أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيابًا خُضْرًا مِن سُنْدُسٍ وإِسْتَبَرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيها عَلى الْأَرائِكِ نِعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقا)،[1]حيث سيق المخصوص على سبيل الحذف من هـــذا السياق القرآني الكريم، فقيل في شأنه: « نعم الثواب الجنة ونعيمها»، [2]وقيل: المراد الجنات، ولو كانت (نعمت) لجاز؛ لأنه اسم لها[3]، وقيل: نعم ثواب المحسنين هـــذا الذي أعطيتهم[4]، وقيل: نعم الثواب جنات عدن.[5]

ويمكن سوق هذا المثال على النحو التالي:

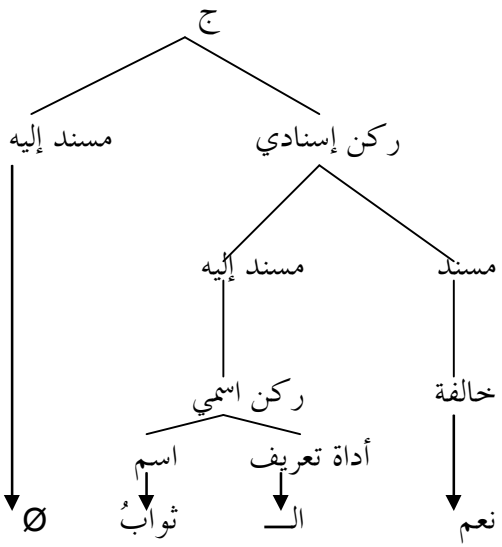

2. في قوله تعالى: (وَوَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْـــدُ إِنَّـــهُ أَوَّابٌ)،[1] فحـــذف المخصوص لما عُلِمَ من سياق الكلام، وأكثر المفسرين على أنه سليمان؛ إذ ما بعده تعليل للمدح، وهو في حالـــه[2]. وقيل: إنه داود[3]، وكلا المعنيين جائز لا مطعن فيه، وإن كان الأول أقوى سندا من سواه.

---

(1) الكهف/31.

(2) تفسير البيضاوي، 495/3. ينظر: تفسير القرآن العظيم، 83/3.

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 398/10.

(4) ينظر: المصدر نفسه، 287/15.

(5) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 243/15.

(1) ص/30

(2) ينظر: تفسير البيضاوي، 45/5. وينظر: تفسير القرآن العظيم، 34/4. وينظر: البرهان في علوم القرآن، 159/3.

3. في قوله تعالى: (إِنّا وَجَدْناهُ صابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)،[4]والتقدير فيه: نعم العبد أيوب، أو نعم العبد هو؛ لأن القصة في ذكره، فيكون الضمير- إن قدّرته- عائدا على أيوب لا على العبد.[5]

النمط الثالث: مسند +مسند إليه.

وقد اتخذ هذا النمط الوظيفي له صورةً واحدة في القرآن الكريم قوامها: خالفة + ضمير الغائبة، تجلت من خلال قوله عزّ وجل: (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ)،[6]حيث أثنى المولى على إبداء الصدقات لا على الصدقة ذاتها، كما يبدر للذهن[7]، وعودُ الضمير على الإبداء بدليل قوله سبحانه وتعالى في الآية نفسها: (وَإِنْ تُخْفُوها وَتُؤْتُوها الفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)[1]، قال الزركشي: «فذكر الضمير العائد على الإخفاء، ولو قصد الصدقات لقال فهي[أي: فهي خير لكم]، وإنما أنّث هي، والذي عاد إليه مذكر على حذف مضاف؛ أي: وإبداؤها نعم ما هي»[2].

وسلك العلماء في تفسير هذا التركيب مسالك شتى؛ فقيل: إنّ معناه: نعم شيئا هي، على أساس كون(ما) نكرة غير موصوفة، وعليه السيوطي في (إتقانه)[3]، أما الفاء فرابطة لجواب الشرط باتفاق.[4]

والأولى من هذا التقدير أن تحمل(ما) في هذا الموضع تحديدا على أنها صارت بعد أن رُكِّبت مع الخالفة جزءا منها، لا يحسن إشرابها معنى نحويا على الإطلاق، وقد قال بهذا قوم، وأجازه الفراء[5]، وقد وقع عليه الاختيار هاهنا.

ومن ثمة تساق صورة هذا النمط الوظيفي على النحو التالي:

---

(3) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، 210/2.

(4) ص/44.

(5) ينظر: البرهان في علوم القرآن، 159/3. وينظر: الإتقان، 168/2. وينظر: تفسير البيضاوي، 49/5. وينظر: روح المعاني، 209/23.

(6) البقرة/271.

(7) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 334/3.

(1) البقرة/271.

(2) البرهان في علوم القرآن، 367/3.

(3) ينظر: 513/1.

(4) ينظر: الإتقان، 485/1. وينظر: روح المعاني، 45/3.

(5) ينظر: شرح الأشموني، 289/2.

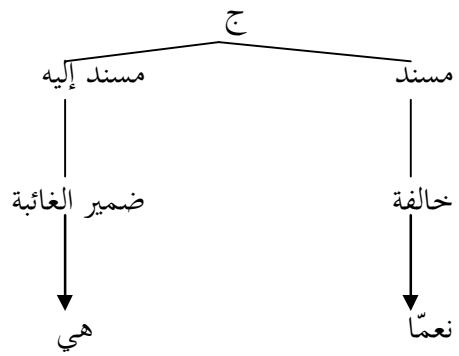

النمط الرابع: مسند + ركن موصول = مسند + (مسند إليه + صلة).

شغل هذا النمط صورة واحدة في آي الذكر الحكيم، قوامها: خالفة + ضمير موصول + جملة فعلية، تبدّت في قوله تعالى: (إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ)[6]، وقد وقع هذا التركيب بأسره مستأنفا مقررا لمضمون ما قبله متضمنا لمزيد من اللطف بالمخاطَبين، وحسن استدعائهم للامتثال، وجملة (نعما يعظكم به) خبره.[1]

أما (ما) ففيها أوجه: أحدها: أن تكون معرفة تامة، و(يعظكم) صفة موصوف محذوف هو المخصوص بالمدح على تقدير: نعم الشيء شيء يعظكم به، وجائز أن يكون (يعظكم) صفة لمنصوب محذوف على تقدير: نعم الشيء شيء يعظكم به من جهة كون المخصوص محذوفا. وثانيها: أن تكون(ما) بمعنى الذي وما بعدها صلتها والمخصوص محذوف تقديره: نعم الذي يعظكم بتأدية الأمانة والحكم بالعدل. وثالثها: أن تكون(ما) نكرة موصوفة، والفاعل مضمر، والمخصوص محذوف.[2]

وما هو بخفي مدى وجاهة الوجه الثاني قياسا بالوجهين الآخرين، لعدم انسياقه مع ضروب التقدير والتأويل المختلفة التي يحسن تركها ما لم يكن هنالك داع قوي يضطرّ إليها اضطرارا، ويحمل عليها كرها لا اختيارا.

فالاستئناس بالوجه الثاني أولى بالاعتبار، ولكن ما الداعي فيه إلى تقدير المخصوص؟! فإن العبارة قائمة على أساس من تعالق مسند بمسند إليه لا غير. أما المضيُّ إلى تقدير المخصوص بالمدح، فمحض تحكم ينبني على أساس افتراض أنموذج تركيبي، لا تجوز مفارقته بأية حال.

---

[6] النساء/58.

[1] ينظر: روح المعاني، 64/5.

[2] ينظر: التبيان في إعراب القرآن، 184/1.

وجدير بالذكر –هاهنا– أنّ تحريك عين الخالفة في هذا السياق القرآني كان جريا على لغة من قال (نِعِمَ)، وهي لغة هذيل، فهؤلاء يكسرون ويقولون: لِعِب.[3] ولنا أن نمثل لهذه الصورة الأحادية من هذا النمط الوظيفي بالمشجر التالي:

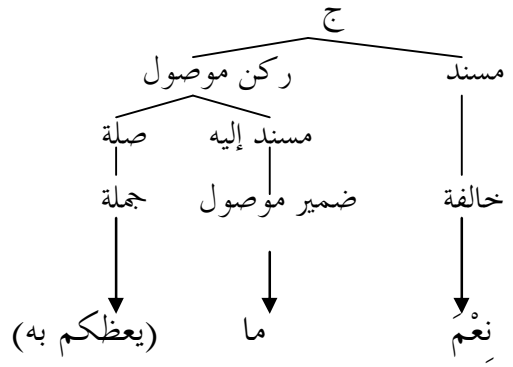

النمط الخامس: توكيد + مسند + ركن إضافي + مسند إليه = توكيد + مسند + (مسند إليه + مضاف إليه)+ مسند إليه.

الصورة: أداة + خالفة + (اسم + ركن وصفي) + Ø = أداة + خالفة + (اسم + (أداة تعريف + صفة فاعلين)) + Ø.

المثال: قوله تعالى: (وَلَدارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دارُ الْمُتَقِينَ)[1]، وفيه وجهان: قيل: «المعنى: ولنعم دار المتقين الدنيا؛ لأنهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة و دخول الجنة، وقيل: المعنى: ولنعم دار المتقين الآخرة، وهذا قول الجمهور» [2]، ومما يلاحظ –هاهنا– عدم مراعاة المطابقة النوعية بين المسند والمسند إليه، وقد خُرِّج التذكير على المعنى. قال ابن منظور: (الدار مؤنثة وإنما قال تعالى: (ولنعم دار المتقين) فذكّر على معنى المثوى والموضع).[3]

المشجر:

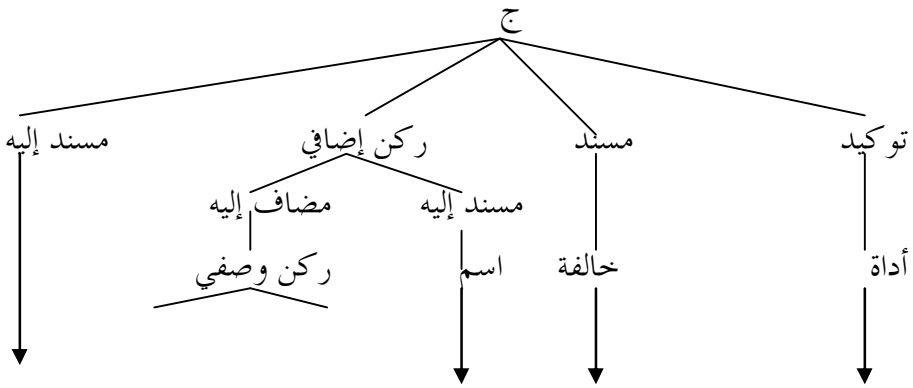

[3] ينظر: الكتاب، 4/439-440.

[1] النحل/30.

[2] الجامع لأحكام القرآن، 10/101.

[3] لسان العرب، 4/298.

أداة تعريف صفة فاعلين

لـَ نعم دار ألـ متّقيـن Ø

النمط السادس: توكيد + ركن إسنادي + مسند إليه = توكيد + (مسند + مسند إليه) + مسند إليه.

الصورة: أداة + (خالفة + ركن وصفي) + Ø = أداة + (خالفة + (أداة تعريف + صفة فاعلين)) + Ø .

المثال: قوله تعالى: (وَلَقَدْ نادانا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجيبُونَ)[4]، حيث حذف المخصوص بالمدح لقيام الدليل على حذفه على نية تقديره بـــ: نحن، إلا أنّ الكسائي يسوقه مساقا آخر على جهة الدلالة الماضوية، فكأنما الأصل فيه: فنعم المجيبون له كنّا[1]. وهو في مجملـــه- كمـــا يقول أبو حيان الأندلسي(ت... هـــ)- جواب قسم اللام آيته، وهو يجري مجرى قولهم: يمينا لنعم السيدان وجدتما.[2]

المشجّر:

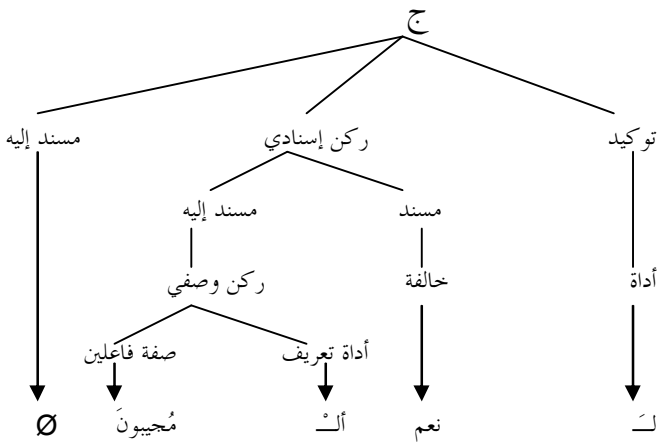

2.المدح بصيغة (فَعُلَ):

تجلت خير مجلى في صيغة (حَسُنَ) التي وردت ثلاث مرات في ثلاث آيـــات مـــن القرآن الكريم، اثنتان منها مكية، وهي:

الآيـــــــة	السورة	رقمها	صفتها

(4) الصافات/75.

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 89/15.

(2) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 20/4.

(وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)	النساء	69	مدنية
(نِعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا)	الكهف	31	مكية
(حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقامًا)	الفرقان	76	مكية

وقد قرأ الجمهور (حسن) بفتح الفاء وضم العين، وقرئ بإسكانها مع فتح الحاء على التخفيف، وجوز فيها نقل ضمة العين إلى فاء الكلمة جريا مع لغة بني قيس.[3]

وجوز المبرد إلحاق صيغة (فَعُل) بباب التعجب بقوله: «واعلم أنه ما كان مثل: كَرُم زيد، وشَرُف عمرو فإنما معناه في المدح معنى ما تعجبت منه نحو: ما أشرفه، ونحو ذلك أشرف به»[1]، وعلى ذلك مضى الأخفش أيضا[2]، وأكثر النحويين على استلحاقه بباب المدح والذم ليس إلا[3]، وعليه الاختيار في هذا البحث.

وقد شغلت هذه الصيغة ثلاثة تراكيب قرآنية شكلت النمطين الوظيفيين التاليين:

النمط الأول: ركن إسناد+تمييز/حال= (مسند+مسند إليه)+تمييز/حال.

توزع هذا النمط الوظيفي على الصورتين التاليتين:

الصورة الأولى: خالفة+ركن إشاري +صفة مبالغة= خالفة + (ضمير إشارة + أداة خطاب) +صفة مبالغة.

تحققت هذه الصورة في سورة النساء، وفيها خطاب الجمع بلفظ الواحد[4]؛ أي: رفقاء، وقد حملها البيضاوي في (تفسيره)[5] على معنى التعجب، وجعل الزجاج ما أفرد في موضع الجمع منصوبا على التمييز، وهو ينوب عن (رفقاء)[6]، وجوز الأخفش فيه

---

[3] ينظر: ارتشاف الضرب، 2057/4. وينظر: التبيان في إعراب القرآن، 186/1.

[1] ينظر: المقتضب، 149/2-150.

[2] ينظر: ارتشاف الضرب، 186/4.

[3] ينظر: المصدر نفسه.

[4] ينظر: البرهان في علوم القرآن، 233/2.

[5] 215/2.

[6] ينظر: زاد المسير، 128/2.

الحمل على التمييز أو الحال معا، على معنى أنهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين، أو حال كونهم كذلك[7].

أما المسند إليه في العبارة، فقد ورد ضمير إشارة يحيل إلى «من عمل بما أمره الله به ورسوله، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله. فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامة ويجعله مرافقا للأنبياء، ثم لمن بعدهم في الرتبة، وهم الصديقون ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون».[8]

ونسوق هذه الصورة في المشجر التالي:

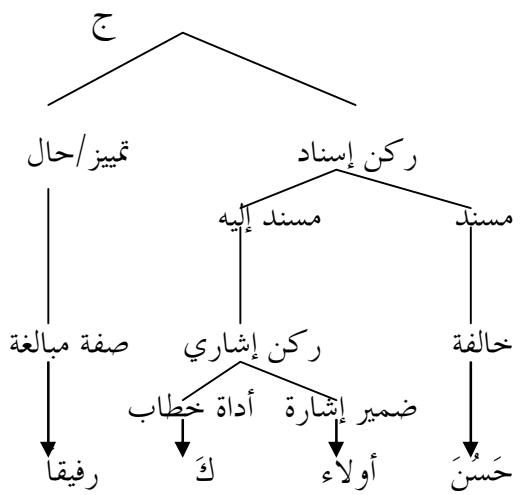

الصورة الثانية: ركن خالفة+ Ø+ صفة مفعول = (خالفة +أداة تأنيث)+Ø + صفة مفعول.

تكشفت هذه الصورة في سورة الكهف، وقد أنثت فيها خالفة المدح على المعنى[1]، ولو ذكرت كان صوابا، وقد حملها الفراء على معنى الجنة بقوله: « فأنث الفعل على معنى الجنة، ولوذكر بتذكير المرتفق كان صوابا»[2]. وحملها آخرون على معنى الأرائك[3]، وهو اختلاف لا يتجاوز منطق العموم والخصوص.

ونسوق هذه الصورة في المشجر التالي:

---

[7] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 272/5. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 199/2.

[8] تفسير القرآن العظيم، 523/1.

[1] ينظر: لسان العرب، 298/4.

[2] معاني القرآن، الفرّاء، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1423هـ-2002م، 65/2.

[3] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 243/15. وينظر: تفسير البيضاوي، 495/3.

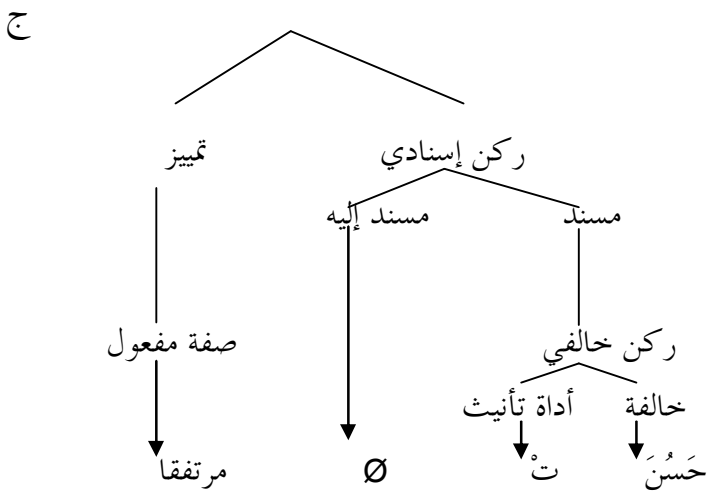

النمط الثاني: ركن إسنادي+تمييز+رابط عطف+معطوف= مسند+مسند إليه+تمييز+رابط عطف+معطوف.

يشغل هذا النمط الوظيفي صورة واحدة من سورة الفرقان، قوامها: ركن خالفي + Ø+ صفة مكان + أداة + اسم = (خالفة + أداة التأنيث) + Ø+ صفة مكان + أداة + اسم، ومفادها عند علماء التفسير «... **حسنت مستقرا يستقرون فيه ومقاما يقيمون به..**»[1].

ويمكن توضيح هذه الصورة بما يلي:

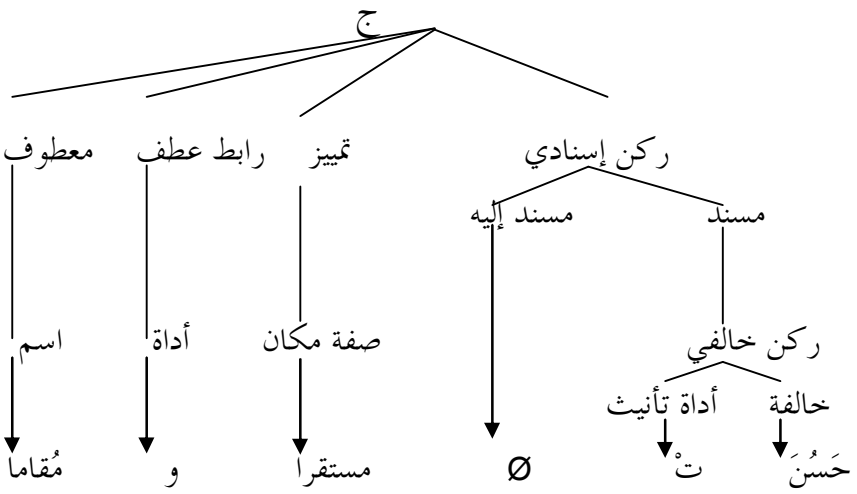

ثانيا: الـــــذمُّ:

1.الذم بصيغة (بئس):

---

[1] فتح القدير، 90/4.

وردت (بئس) في القرآن الكريم لإنشاء الذم والإفصاح عنه تسعا وثلاثين مـــرة في ثمانٍ وثلاثين آية، موزّعةً على ثلاث وعشرين سورة؛ اثنتا عشرة منها مدنية وإحدى عشرة مكية. وقد سيقت في المصحف الشريف مكسورة الفاء ساكنة العين، إلا أن بعضا مـــن القراء قرأوها على وجوه أخرى[2]: قرأها نافع بتخفيف الهمز، وقرأها أبو بكر عن عاصم (بَيْأَسَ) على وزن فيعل، وقرأها الباقون (بَئِيس) على وزن (فعيل).

وقد شغلت هذه الصيغة سبعة أنماط تركيبية وظيفية، هي:

النمط الأول: توكيد+ مسند + ركن موصول= توكيد+ مسند + (مسند إليه + صلة).

تجلّى هذا النمط الوظيفي في الصورة التالية: أداة+ خالفة+(ضميرموصول+جملـــة فعلية).

مثالها قوله تعالى:(وَلَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ)[1] ، ويحلل وفق المشجر التالي:

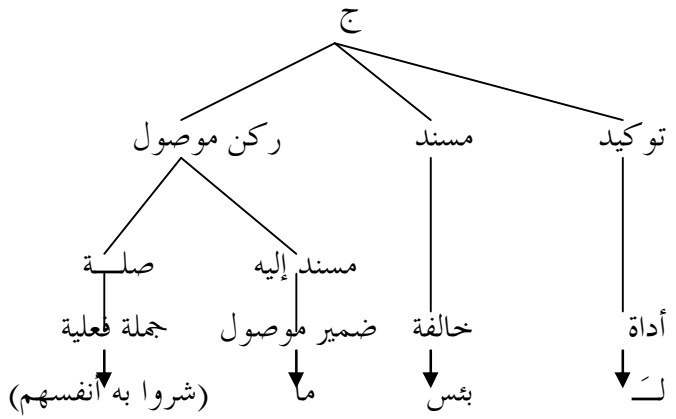

وفيه ذم من الله جل ذكره لفعل المتعلمين من الملكين التفريق بين المرء وزوجه[2]، والشراء –هاهنا – بمعنى البيع، واللام جواب قسم محذوف، والمخصوص – عند من أوجبوا ذكره – محذوف مقدر بالسحر والكفر.[3] وأجاز قوم أن تكون اللام للابتداء أيضا، والمشهور أنها يمينية، وما نكرة مميزة للضمير المبهم.[4]

---

[2] ينظر: حجة القراءات، ص300. وينظر: الحجة في القراءات السبع، ص166.

[1] البقرة/102.

[2] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 466/1.

[3] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 140/1.

[4] ينظر: روح المعاني، 346/1.

ولهذه الصورة النمطية نظائر في القرءان الكريم، حيث تكررت في السياقات القرآنية التالية:

1. (وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَأَكْلِهِم السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[5].

2. (لَوْلا يَنْهاهُم الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُعَنْ قَوْلِهِم الْإِثْمَ وَأَكْلِهِم السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ).[6]

3.(كانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلَوْهُ لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلَوْنَ).[7]

4. (تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ).[1]

ففي السياق الأول توكيد قسم في ذم ما كان اليهود يعملونه من مسارعتهم في الإثم والعدوان وأكلهم السحت،[2] والمخصوص مقدر عند الآخذين به على أن الأصل فيه «لبئس ما كانوا يعملونه عملهم هذا»[3] وفي الجمع بين صيغتي الماضي والاستقبال الدلالة على الاستمرار.[4]

والسياق الثاني أبلغ من سابقه، من حيث كون الصنع عمل الإنسان بعد تدرب فيه وتروٍّ وتحري إجادته،[5] والمخصوص فيه عند القائلين به محذوف مفسَّر على جهة ترك النهي.[6]

ويتضمن السياق الثالث قَسَمًا من الله تعالى ذكره في ذمِّ الفعل الذي كانوا يفعلون من تركهم الانتهاء عن معصيته، وركوب محارمه، وقتل أنبياء الله ورسله.[7] وليس يخفى ما في لفظ (فعل) من الكناية – قصد الاختصار- عن ألفاظ متعددة بلفظ واحد.[8]

---

[5] المائدة /62.

[6] المائدة/63.

[7] المائدة/79.

[1] المائدة/80.

[2] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 298/6.

[3] تفسير الجلالين، ص149.

[4] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 57/3.

[5] ينظر: تفسير البيضاوي، 345/2.

[6] ينظر: تفسير الجلالين، ص149.

وحمّل بعض المفسرين هذا التركيب معنى التعجيب المؤكد بالقسم،[9] وذهب أبو السعود (ت951هـ) إلى المزاوجة بين التقبيح والتعجيب فيه بقوله: «لبئس ما كانوا يفعلون تقبيح لسوء أعمالهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمي».[10]وقد اُختلف بشأنه كما اختلف في جميع ما كان على صورته، فقيل: (ما) في موضع نصب نكرة؛ أي: لبئس شيئا كانوا يفعلونه، وما بعدها صفة لها، وقيل: (ما) بمعنى الذي في موضع رفع؛ أي: لبئس الشيء الذي كانوا يفعلونه، على أن الهاء محذوفة من الصفة والصلة.[1] أما المخصوص بالذم فمقدر على جهة: لبئس ما كانوا يفعلون فعلهم هذا.[2]

والسياق الأخير فيه ذمٌّ لموالاتهم الكافرين وتركهم موالاة المؤمنين،[3] وهو مؤكد بالقسم، على أن المعنى فيه: بئس شيئا قدّموا ليردوا عليه يوم القيامة، و(أن سخط الله عليهم) هو المخصوص عند هؤلاء بالذم على جهة حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تنبيها على كمال التعلق بينهما ومبالغة في الذم، ومحله الرفع على الابتداء على أن الجملة قبله خبره، والرابط هو العموم، أو لا حاجة إليه؛ لأن الجملة عين المبتدأ، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والمخصوص محذوف كذلك، والتقدير: لبئس الشيء شيء قدمته لهم أنفسهم، فيكون المصدر المؤول (أن سخط الله عليهم) بدلا من الشيء المحذوف.[4]

النمط الثاني: توكيد+ركن إسنادي+ مسند إليه=توكيد+(مسند+مسندإليه) +مسند إليه.

توزع هذا النمط الوظيفي في التراكيب القرآنية على الصورتين الشكليتين التاليتين:

الصورة الأولى: أداة +(خالفة+ركن اسمي)+Ø = أداة+(خالفة+(أداة +اسم))+ Ø.

تجلت هذه الصورة في موضعين من القرآن الكريم في قوله تعالى: (أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهادُ)، وفي قوله أيضا: (لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْواهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ).

---

[7] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 320/6.

[8] ينظر: البرهان في علوم القرآن، 232/3.

[9] ينظر: تفسير البيضاوي، 355/2.

[10] إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 70/3.

[1] ينظر: مشكل إعراب القرآن، ص235.

[2] ينظر: تفسير الجلالين، ص152.

[3] ينظر: تفسير القرآن العظيم، 85/2.

[4] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 70/3.

ويمكن سوق المثالين معا وفق هذا المشجر:

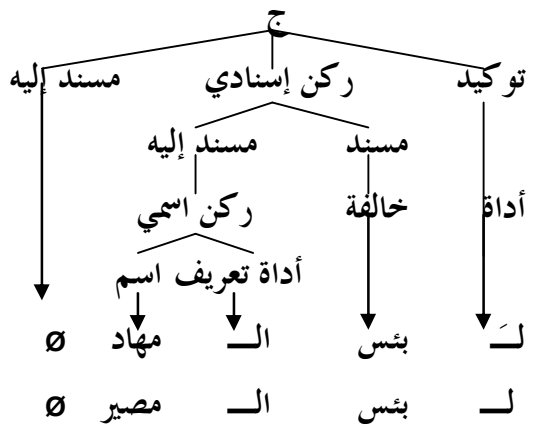

أما المثال الأول، ففيه قولان: «أحدهما: فحسبه جهنم جزاء عن إثمه، والثاني: فحسبه جهنم ذلاً من عزة» [1]والمهاد جمع مهد، وهو الموضع المهيأ للنوم، وسميت جهنم مهادا؛ لأنها مستقر الكافرين، وقيل لأنها بدل المهاد.[2]

أما المثال الثاني، فمعناه: بئس المآلُ مآلُ الكافرين[3]، أو: لبئس المصيرُ الذي يصيرون إليه ذلك المأوى[4]، أو لبئس المصيرُ هي[5]، على أن الجملة جواب لقسم مقدر، والمخصوص بالذم محذوف تقديره:النار، والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله.[6]

الصورة الثانية: أداة+(خالفة+ركن وصفي)+ Ø =أداة + (خالفة + (أداة+صفة))+ Ø.

وقد تجلت هذه الصورة في شكلين هما:

الشكل الأول: أداة+(خالفة+(أداة+صفة مفعول))+Ø

الشكل الثاني: أداة+(خالفة+(أداة+صفة مبالغة))+Ø

مثالهما على الترتيب قوله تعالى: (يَدْعُو لَمَنْ ضرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ)[7]. والتركيبان جواب قسم مقدّر، واللام فيهما جوابية لليمين والتوكيد،

---

[1] زاد المسير، 1/222-223.

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 3/20.

[3] ينظر: تفسير القرآن العظيم، 3/303.

[4] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 18/161.

[5] ينظر: تفسير الجلالين، ص467.

[6] ينظر: روح المعاني، 18/209.

والقسم وجوابه مسند إلى (من) الموصولة[8]، والمخصوص بالذم في كليهما محذوف مقدر بـــ: الصنم وعليه السيوطي[9]، وقيل: الوثن وعليه أكثر المفسرين[10]، وقيل: من ضـــره أقرب من نفعه وعليه الزركشي في (برهانه).[11]

ويمكن سوقهما معا من خلال المشجر التالي:

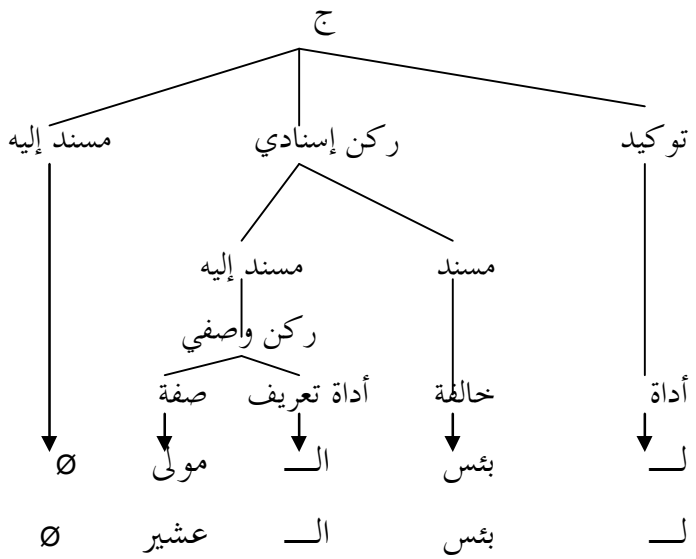

النمط الثالث: توكيد + مسند + ركن إضافي + مسند إليه= توكيد + مسند + (مسند إليه + مضاف إليه)+ مسند إليه.

الصورة: أداة+ خالفة+ (صفة مكان+ركن وصفي)+ Ø = أداة+(خالفة+(صفة مكان+(أداة تعريف + صفة فاعلين))+ Ø = أداة+(خالفة+(صفة +(أداة+صفة فاعل)+ Ø

مثالها قول جلَّ ذكره:﴿فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيها فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[1]، وليس له في القرآن نظير، على أن الفاء فيه للعطف على فاء التعقيب الواردة في قوله:(فـــادخلوا

---

[7] الحج/13.

[8] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 98/6. وينظر: روح المعاني، 125/17.

[9] ينظر: الدر المنثور، 15/6.

[10] ينظر: تفسير القرآن العظيم، 211/3. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، 20/12. وينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 73/3.

[11] ينظر: 160/3.

[1] النحل/29.

أبواب جهنم)، واللام تجري مجرى القسم للتأكيد[2]. وقد حذف المخصوص بالذم ثقة في دلالة ما قبله عليه، والتقدير فيه: لبئس مثوى المتكبرين جهنم[3]، وإليك بيانه في المشجر التالي:

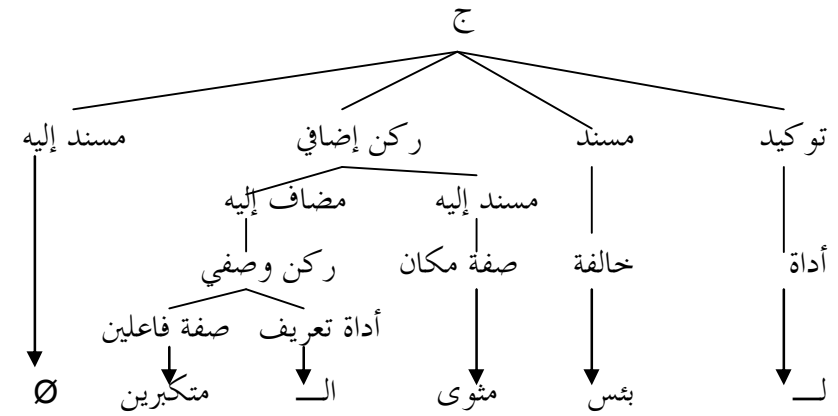

النمط الرابع: ركن إسنادي +مسند إليه =(مسند+مسند إليه)+مسند إليه.

تكشف هذا النمط الوظيفي في صورة شكلية شملت سبع عشرة آية، وهي موزعة على النحو التالـــي:

الصورة الأولى: (خالفة+ركن اسمي)+ Ø = (خالفة+(أداة + اسم)+ Ø.

مثالها قوله تعالى: (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّـــرابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا)[1]، حيث حذف المخصوص بالذم على نية تقديره، واختلف في ذلـــك على أوجه: فقيل المهل[2]، وقيل: هو[3]، وقيل: شرابهم[4]، وقيل: ذلك الماء الذي يغاثون به[5]، وهو اختلاف لا يضير بمعنى الآية ولو بمقدار ضئيل ؛ لأنه راجع في النهاية إلى جهة واحدة هي ما سبق من معنى.

ويمكن التمثيل لهذه الصورة بالمشجر التالي:

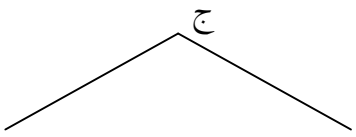

---

[2] ينظر: أسرار التكرار في القرآن، ص122.

[3] ينظر: فتح القدير، 159/3. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم، 109/5. وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 99/14.

[1] الكهف/29.

[2] ينظر: تفسير البيضاوي، 495/3.

[3] ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 660/2. وينظر: تفسير الجلالين، ص385.

[4] ينظر: فتح القدير، 282/3.

[5] ينظر: روح المعاني، 268/15. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 160/2.

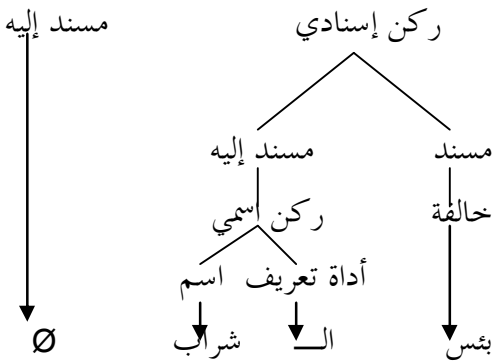

وقد تكررت هذه الصورة في ست عشر آية موزعة على الجذور المعجمية الأربعة التالية: المصير،والمهاد، والقرار، والشراب.

أما الجذر الأول، فسيق مسندةً إليه خالفةُ الذمِّ (بئس) على هذا النحـــو في تســـع آيات بيِّناتٍ من الذكر الحكيم على نحو ما يوضحه الجدول التالي:

الآيـــــة	الرقم	السورة	الصفة
(ثُمَّ اَضْطَرُّهُ إِلى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ المَصيرُ)	126	البقرة	مدنية
(أَفَمَنْ اِتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصيرُ)	162	آل عمران	مدنية
(وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْمُتَحَيِّـــزًا إِلى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْواهُ جَهَـــنَّمُ وَبِـــئْسَ المَصيرُ)	16	الأنفال	مدنية
(يا أَيُّها النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصيرُ)	73 9	التوبة التحريم	مدنية مدنية
(النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصيرُ)	72	الحج	مدنية
(مَأْواكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ المَصِيرُ)	15	الحديد	مدنية
(حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ المَصيرُ)	8	المجادلة	مدنية
(وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصيرُ)	6	الملك	مكية

يلاحظ مجيء تراكيب الذم في جميع هذه السياقات مسبوقة بواو عاطفة، إلا في سورة المجادلة التي استعصيت فيها الواو بالفاء؛ لما في ذلك من معنى للتعقيب.[1]

أما الجذر الثاني، فأسندت إليه خالفة الذم في أربعة مواضع من القرآن الكريم، وهي:

الآيـــة	الرقم	السورة	الصفة
(قُلْ لِلَّذينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهادُ)	206	البقرة	مدنية
(مَتاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهادُ)	197	آل عمران	مدنية
(وَالَّذينَ لَمْ يَسْتَجيبوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَميعاً ومِثْلُهُ مَعَهُ لافْتَدُوا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الحِسابِ ومأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهادُ)	18	الرعد	مدنية
(جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمِهادُ)	56	ص	مكية

يلاحظ أن المخصوص بالذم في هذه السياقات القرآنية محذوف ثقةً بدلالة ما قبله عليه، وتقديره:جهنم.

وأما الجذر الثالث، ألا وهو القرار، فشغل موضوعين من سورتين مكيتين في قوله تعالى: (جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ)[1]، وفي قوله أيضا: (قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ القَرَارُ)[2]. سيق القولان على جهة حذف المخصوص بالذم، وفيه أقوال: قيل: في سورة إبراهيم إنه جهنم[3]، وقيل هي[4]، وقيل قرارهم[5]، وفي سورة ص قيل جهنم[6]، وقيل: النارُ[7]، وقيل: قرارنا وقراركم[8]، وقد قصدوا بذم جهنم تغليظ جناية الرؤساء عليهم.[8]

---

[1] ينظر: أسرار التكرار في القرآن، ص202.

[1] إبراهيم/29.

[2] ص/60.

[3] ينظر: تفسير البيضاوي، 348/3. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 45/5. وينظر: روح المعاني، 219/13.

[4] ينظر: تفسير الجلالين، ص334.

[5] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 45/5. وينظر: فتح القدير، 109/3. وينظر: روح المعاني، 219/13.

[6] ينظر: تفسير البيضاوي، 52/5. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 233/7. وينظر: معالم التنزيل، 68/4. وينظر: روح المعاني، 217/23.

فأما الجذر الرابع والأخير، وهو الشراب، فقد أغنى القول عن إعادتـــه؛ إذ لم يجاوز موضعا واحدا من القرآن الكريم.

الصورة الثانية: (خالفة +ركن وصفي)+ Ø = (خالفة+(أداة +صفة)) +Ø

مثالها قوله تعالى ذكره: (يالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ القَـــرِينُ)[9]، على أنّ المخصوص بالذم محذوف تقديره: أنت أو هو[10] عـــودا علـــى الشـــيطان الرجيم، لقلة مراقبته لله عز وجل وقلة استحيائه منا.

ونسوق هذه الصورة في المخطط التشجيري التالي:

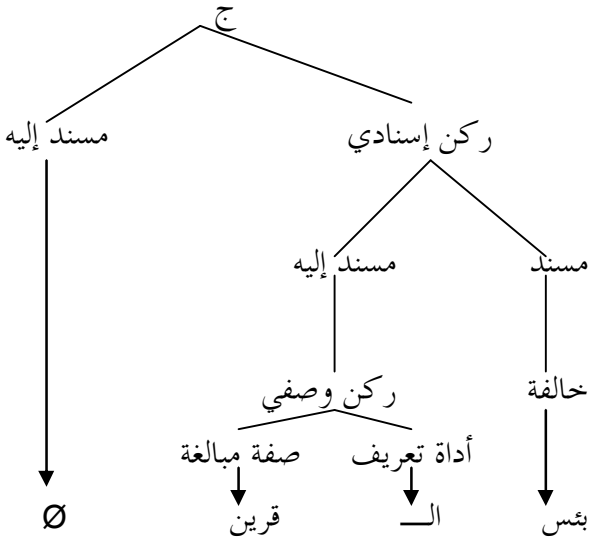

النمط الخامس:مسند + ركن إضافي + مسند إليه= مسند + (مسند إليه + مضاف إليه) + مسند إليه.

الصورة: خالفة+(صفة مكان+ركن وصفي)+Ø = خالفة+(صفة مكان+(أداة تعريف + صفة فاعلين))+Ø .

---

[7] ينظر: تفسير الجلالين، ص604.

[8] ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 926/2.

[8] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 233/7.

[9] الزخرف/38.

[10] ينظر: تفسير البيضاوي، 146/5. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، 294/9. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 47/8. وينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 974/2. وينظر: فتح القدير، 556/4. وينظر: تفسير الجلالين، ص651.

تجلت هذه الصورة في ثلاث آيات بينات من الذكر الحكيم، مثالها قولـــه تعـــالى: (وَمَأْواهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ) [1]، حيث ورد المخصوص بالذم محذوفا على نيـــة التقدير،كأنما الأصل فيه: بئس مثوى الظالمين النار.[2]وقد وضع الظاهر موضـــع المضـــمر للتغليظ والتعليل والإشعار بأنهم في شركهم ظالمون، يضعون الشيء في غير موضعه، وليس يخفى أنّ في جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم رمزا إلى الخلود فيها.[3]

ونسوق هذا المثال من خلال المشجر التالي:

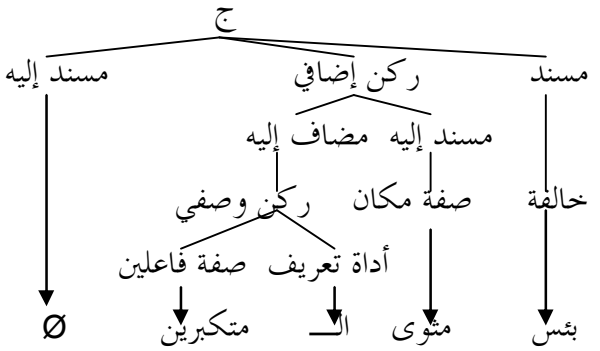

وقد تكررت هذه الصورة في سياقين قرآنيين آخرين؛ في قولـــه تعـــالى: (قِيـــلَ اُدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ)[1]، وفي قوله أيضا: (اُدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ)[2]، والمخصوص فيهما محذوف ثقـــةً بذكره آنفا، تقديره: جهنم.[3]

النمط السادس: ركن إسنادي +نعت+مسند إليه =(مسند+مسند إليه)+نعت+مســـند إليه.

الصورة: (خالفة + ركن اسمي) + ركن وصفي + Ø = (خالفة +(أداة تعريـــف + اسم))+ (أداة تعريف +صفة مفعول) + Ø.

---

[1] آل عمران/151.

[2] ينظر: التبيان في إعراب القرآن، ص153.

[3] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 98/2.

[1] الزمر/72.

[2] غافر/76.

[3] ينظر: تفسير البيضاوي، 101/5. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 264/7. وينظر: فتح القدير، 476/4.

تحققت هذه الصورة في موضعين من سورة هود المكية؛ في قوله تعالى: (يَقْـــدِمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ)[4]، وفي قوله كذلك: (وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ)[5].

أما الآية الأولى، فمعناها أن فرعون يقدم قومه يوم القيامة يقودهم، فينتهي بهـــم إلى النار حتى يوردهموها ويصليهم سعيرها، والمخصوص بالذم في هذا السياق على نيـــة الحذف تقديره: النار، فإنّ الورد يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطش، والنار على ضـــد ذلك.[6]

وأما الآية الثانية، فالمخصوص فيها على تقدير: بئس الرفد المرفود رفدهم، وهو اللعنة في الدارين[7]، وقيل التقدير: بئس الرفد رفد المرفود، وقيل: بئس ما يرفدون بـــه بعد الغرق النار.[8]

ويساق المثالان في المشجر التالـــي:

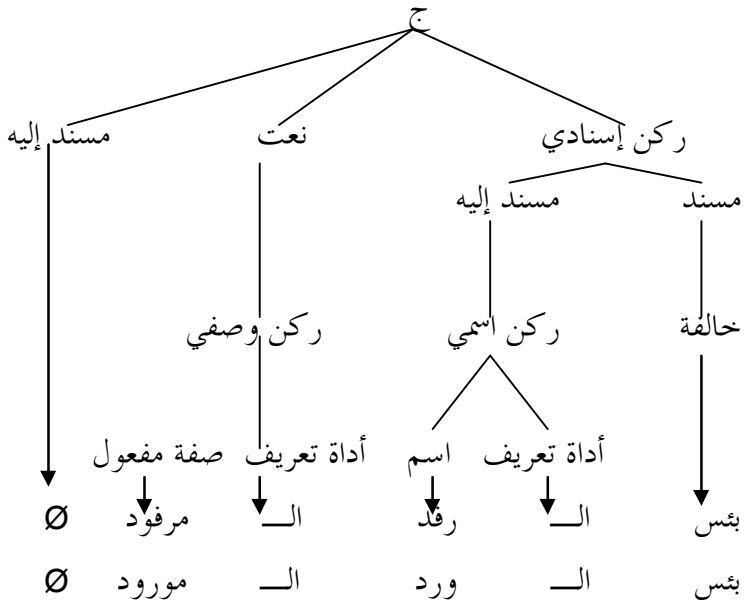

---

[4] هود/98.

[5] هود/99.

[6] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 110/12.

[7] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 239/4. وينظر: روح المعاني، 134/12.

[8] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 94/9.

النمط السابع: مسند + ركن إضافي + ركن موصول+ مسند إليه = مسند + (مسند إليه + مضاف إليه) +(نعت + صلة) + مسند إليه.

الصورة الثانية: خالفة + (اسم + ركن اسمي)+ (ضمير موصول + جملة فعلية)+ Ø= خالفة + (اسم + (أداة تعريف + اسم))+ (ضمير موصول + جملة فعلية)+ Ø.

المثال: قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ)[1]، وفي (الذين) وجهان: أولهما في موضع جر نعتا للقوم، على أن المخصوص محذوف لدلالة الكلام عليه ؛ أي: هذا المثل، والثاني: في موضع رفع على تقدير: بئس مثل القوم مثل الذين، على أنّ المثل المحذوف هو المخصوص بالذمّ، وقد أقيم المضاف إليه مقامه[2]، وقيل: المخصوص بالذم هم اليهود[3]، والجملة بأسرها في موضع البيان لجملة محذوفة.[4]

وتمثيل الوجه الأول من خلال ما يلي:

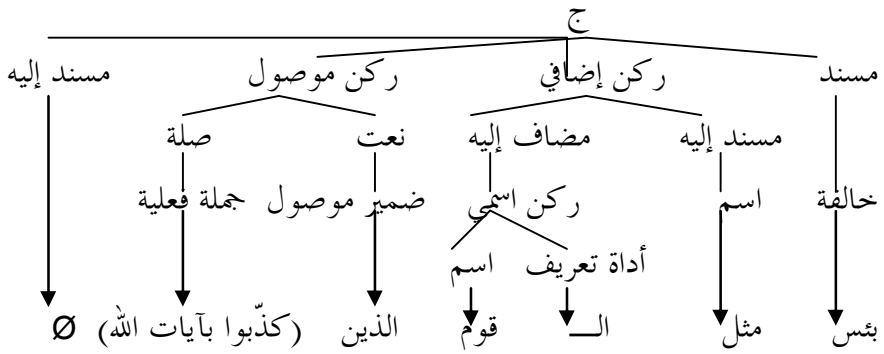

النمط الثامن: مسند + ركن موصول = مسند +(مسند إليه + صلة).

اتخذ هذا النمط الوظيفي صورة واحدة قوامها العلاقة التركيبية التالية: خالقة+(ضمير موصول+جملة فعلية)، مثالها قوله تعالى: (بِئْسَما اشْتَرَوا بِهِ أَنْفُسَهُم أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ)[1]، حيث يقف النحويون حيال (ما) مواقف متباينة، فيسوقون التركيب من ثمّة على أوجه تقديرية

---

[1] الجمعة/5.

[2] ينظر: التبيان في إعراب القرآن، 261/2. وينظر: روح المعاني، 95/28.

[3] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 248/8.

[4] ينظر: مشكل إعراب القرآن، 733/2.

[1] البقرة/90.

مختلفة: فقيل: (ما) في موضع رفع ببئس و(أن يكفروا) بدل منها في موضع رفع، وقيل: هي في محل رفع على إضمار مبتدأ، وقيل: بئس وما اسم واحد في موضع رفع. وقال الأخفش: (مـــا) نكرة موضعها نصب على التفسير، وقيل (ما) نكرة و(اشتروا به) نعت لها، و(أن يكفروا) في موضع رفع بالابتداء، أو على إضمار مبتدأ. وقال الكسائي: الهاء في (به) تعود علـــى (مـــا) مضمرة، و (ما) المظهرة موضعها نصب، والتقدير: بئس شيئا ما اشتروا به.[2]

والشراء –هاهنا– بمعنى البيع، ومن ثمة يكون المعنى: بئس الشيء الذي اختاروا لأنفسهم حيث استبدلوا الحق بالباطل، والكفر بالإيمان[3]، وقيل: بئس ما باعوا به أنفسهم، حيث باعوا نصيبهم من الآخرة بطمع يسير من الدنيا.[4]

وتساق هذه الصورة النمطية من خلال المشجر على النحو التالي:

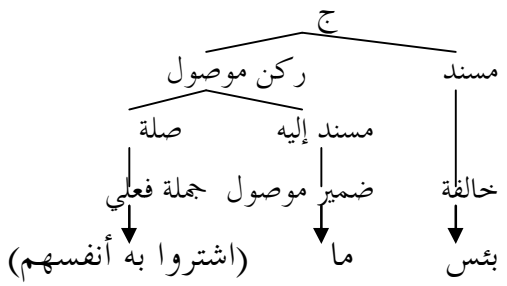

ولهذه الصورة تحققان آخران في آي الذكر الحكيم، وهما:

1.(قُلْ بِئْسَما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[1].

2.(وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَّفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي)[2].

وقد وقع السياقان مقولي قول؛ الأول على معنى: بئسما يأمركم به إيمانكم بـــالتوراة، على أن المخصوص بالذم – عند موجبيه – محذوف قصد الاختصار، وتقديره هذا الأمر أو ما يعمه من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث التي قبل هذه الآية، أي: ما ذكر من قولهم: سمعنا وعصينا، وعبادتهم العجل[3]. والثاني على معنى: بئس خلافة خلّفتمونيها من بعدي خلافـــتكم،

---

[2] ينظر: مشكل إعراب القرآن، ص104. وروح المعاني، 1/321-322.

[3] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 2/27-28.

[4] ينظر: الدر المنثور، 1/218.

[1] البقرة/93.

[2] الأعراف/150.

[3] ينظر: تفسير البيضاوي، 1/363. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 1/131.

والذم فيما إذا كان الخطاب موجها لهارون عليه السلام ومن معه من المؤمنين لا يكون للخلافة نفسها، وإنما لعدم الجري على مقتضاها، وأما إذا كان موجها للسامري وأشياعه، فالأمر ليس به خفاء.[4]

النمط التاسع: ركن إسنادي + ركن إضافي + تمييز = (مسند + مسند إليه) + (أداة إضافة + مضاف إليه) + تمييز.

شغل هذا النمط الوظيفي صورة شكلية واحدة قوامها:(خالفة +Ø) + (أداة إضافة + (أداة + صفة فاعل)) + اسم، تجلت في قوله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾[5]، بمعنى: بئس للظالمين بدلا من الله إبليس وذريته[6]، أو بئس البدل إبليس وذريته[7]، حيث حذف المسند إليه في هذا السياق. وسوف يتضح هذا الحذف في العرض التشجيري التالي:

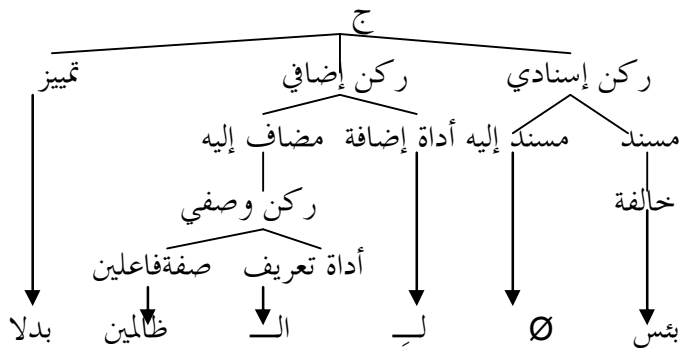

النمط العاشر: ركن إسنادي + نعت + ركن إضافي + مسند إليه = (مسند + مسند إليه) + نعت + (مفعول فيه + مضاف إليه) + مسند إليه.

لم ترد له في القرآن المجيد إلا صورة واحدة قوامها: (خالفة + ركن اسمي) + ركن وصفي +(ظرف + ركن اسمي)+ Ø =(خالفة+ (أداة + اسم)) + (أداة + اسم) + (ظرف + (أداة + اسم)).

مثالها قوله تعالى: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمانِ﴾[1]، ومعناه: « بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب التنابز أن يذكروا بالفسق بعد اتصافهم بالإيمان»[2]، وقد

---

[4] ينظر: روح المعاني، 66/9.

[5] الكهف/50.

[6] ينظر: تفسير البيضاوي، 504/3. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، 420/10. وينظر: تفسير الجلالين، ص388.

[7] ينظر: البرهان في علوم القرآن، 160/3.

[1] الحجرات/11.

[2] روح المعاني، 155/26.

سيق المخصوص بالذم محذوفا على نية الذكر، تقدير: بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان[3].
وضمير الإشارة مرجعه ما سبق من تنابز بالألقاب.

ونسوق المثال من خلال المشجر توضيحا للقصد:

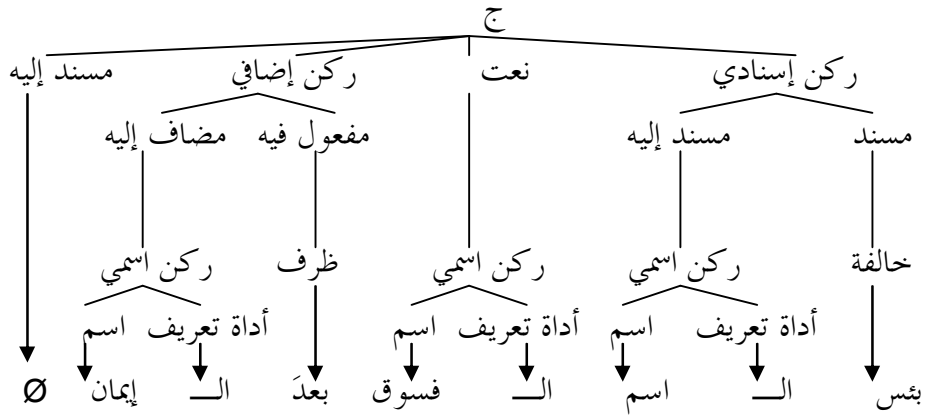

2 .الذم بالصيغ المحولة:

1.2. الذم بصيغة (ساء):

تكررت هذه الصيغة ثلاثا وعشرون مرة في ثلاث وعشرين آية موزعة على ثماني عشرة سورة، ثمان منها مدنية، وعشر مكية، وشغلت هذه الخالفة سبعة أنماط تركيبية وظيفية هي:

النمط الأول: ركن إسنادي + تمييز = (مسند + مسند إليه) + تمييز.

سيق هذا النمط الوظيفي في ثلاث صور شكلية، هذا بيانها:

الصورة الأولى: (خالفة+ Ø) + تمييز.

مثالها قوله تعالى: (إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً)[1]، وهو لون من ألوان التعقيب بالذم البالغ المتتابع تدليلا على أنه فعل انتهى من القبح إلى الغاية[2]، والمخصوص بالذم محذوف ثقةً بدلالة ما قبله عليه، تقديره: هو؛ أي: نكاح المقت، وهو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها أو مات.[3]

---

[3] ينظر: تفسير مجاهد، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية، بيروت، (د.ت)، 607/2.

[1] النساء/22.

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 104/5.

[3] ينظر: المصدر نفسه.

ويأخذ هذا الحكم أيضا قوله جلّ ثناؤه: (وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَـهُ قَرِينـاً فَسَـاءَ قَرِيناً)[4]؛ أي: فساء الشيطان قرينا، وقد نُصب على التمييز[5]، وفيه تنبيه إلى أن الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك[6]، وإنّما حُذف المخصوص منه للإيذان بظهوره واستغنائه عن التصريح به.[7]

ونظيرها أيضا قوله جل وعلا: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً)[8]،وفيه تقبيح لفعل الزنا وتشنيع له.

ونسوق أمثلة هذه الصورة في المشجر التالي:

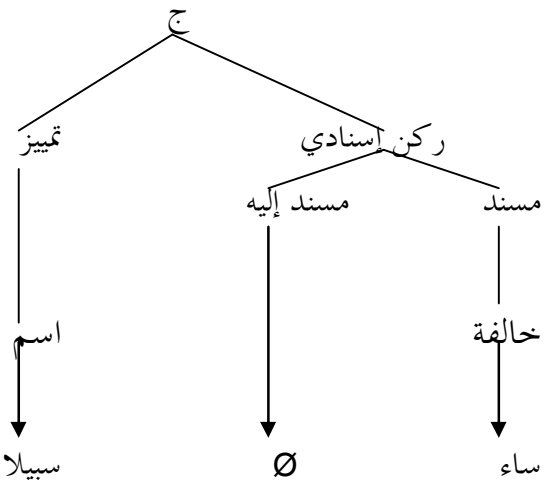

الصورة الثانية: (ركن خالفي + Ø) + اسم = ((خالفة + أداة تأنيث) + Ø)+ اسم.

مثالها قوله تعالى: (فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)[1]، حيث المخصوص بالذم محذوف على نية الذكر، تقديره: هي[2]؛ أي: جهنم. أما ما ذكر منصوبا، فعلى

---

[4] النساء/38.

[5] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 194/5. وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 88/5. وينظر: معالم التنزيل، 427/1.

[6] ينظر: تفسير البيضاوي، 188/2.

[7] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 177/2.

[8] الإسراء/32.

[1] النساء/97.

[2] ينظر: تفسير الجلالين، ص119.

التفسير[3]. ويوم نزلت هذه الآية كان من أسلم و لم يهاجر كـــافرا حـــتى يهـــاجر، إلا المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.[4]

ونظير ما نحن فيه أيضا قوله تعالـــى:

1.(وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)[5].

2.(تولى ما تولى ونصلى جهنّم وساءت مصيرا[6]).

وجميع هذه السياقات الثلاثة تتخذ الشكل التشجيري التالـــي:

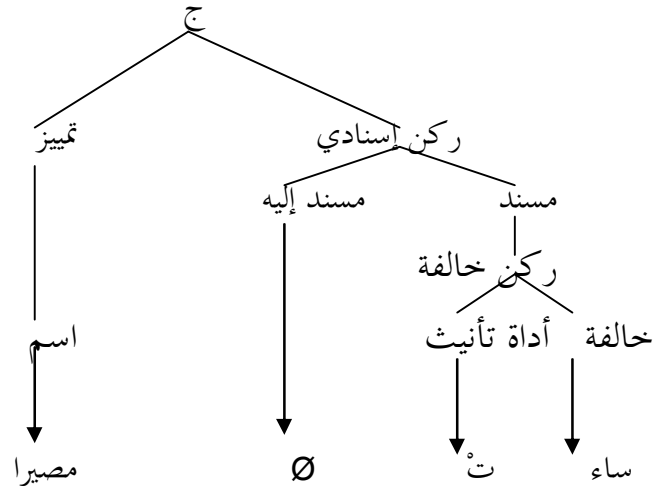

الصورة الثالثة: (ركن خالفي + ø) + صفة مفعول = ((خالفة + أداة تأنيث) +ø) + صفة مفعول.

تجلت هذه الصورة في قوله تعالى: (بِئْسَ الشَّرابُ وَسَـــاءَ تْ مُرْتَفَقـــاً)[1] جـــاء المخصوص بالذم فيها محذوفا على نية الذكر، تقديره: ساءت النار مترلا ومقيلا ومجتمعـــا وموضعا للارتفاق[2]، وقيل: ساءت هذه النار التي اعتدناها لهـــؤلاء الظـــالمين مرتفقـــا؛ أي:متكأً.[3]

---

[3] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 347/5.

[4] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 235/5. وينظر: الدر المنثور، 647/2.

[5] الفتح/6.

[6] النساء/115.

[1] الكهف/29.

[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم، 83/3.

[3] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 241/15.

وتأخذ هذه الصورة النمطية الشكل التشجيري التالي:

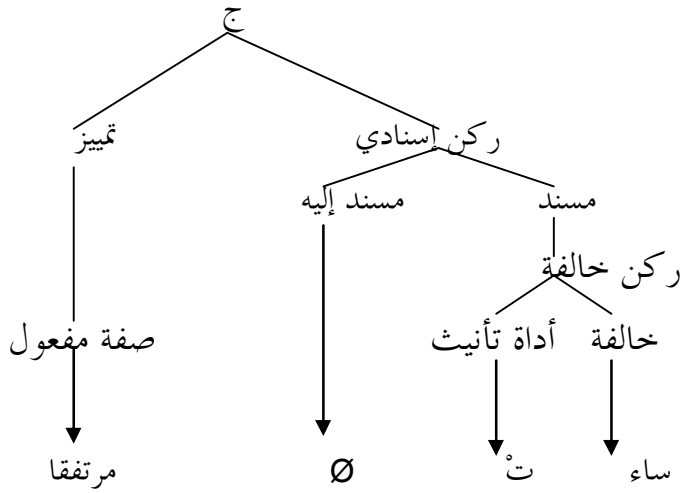

النمط الثاني: مسند + ركن موصول= مسند +(مسند إليه + صلة).

تمثّل هذا النمط الوظيفي في صورة شكلية واحدة قوامها: خالفة + (ضمير موصول+ جملة فعلية).

تجلّت هذه الصورة سبعَ مرات في آي الذكر الحكيم، على النحو المسوق في الجدول الآتي:

الآية	الرقم	السورة	الصفة
(مِنْهُم أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ ما يَعْمَلُونَ)	66	المائدة	مدنية
(وَما كَانَ للهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلى شُرَكائِهِمْ سَاءَ ما يَحْكُمُونَ)	136	الأنعام	مكية
(فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ ما كَانُوا يَعْمَلُونَ)	9	التوبة	مدنية
(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ ما يَحْكُمُونَ)	4	العنكبوت	مدنية
(سَواءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ ما يَحْكُمُونَ)	21	الجاثية	مكية
(أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَاءَ ما كَانُوا يَعْمَلُونَ)	15	المجادلة	مدنية
(فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ ما كَانُوا يَعْمَلُونَ)	2	المنافقون	مدنية

سيق المثال الأول لتقبيح عمل هؤلاء وتشنيعه من المعانـــدة، وتحريـــف للحـــق، والإعراض عنه، والإفراط في العداوة. وقد لمس فيه بعض المفسرين معنى التعجب، وحملوه على معنى: ما أسوأ عملهم! .[1]

وحُمل المثال الثاني على المحمل نفسه دون إشرابه معنى التعجب، وساقوا (ما) فيـــه مساقات مختلفة ؛ فقيل: نكرة في موضع نصب ؛ أي: ساء شيئا يحكمونه، وقيل: معرفة في موضع رفع على تقدير: ساء الشيء الذي يحكمونه، وقال ابن كيسان: مصدرية مع فعلها في موضع رفع[2]. والمخصوص فيه عند الجمهور محذوف على نية الذكر، قدّره المفسرون على جهات: ساء حكمهم هذا[3]، وساء الحكم حكمهم[4]، وساء شـــيئا حكمـــوا بـــه ذلك.[5]

والمثال الثالث مسوق كسابقه سواء بسواء ، والمخصوص فيه عند هؤلاء المفسرين محذوف مقدّر بـــ: ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا[6]. وهو تقدير لا حاجة بنا إليـــه، يستقيم الكلام دونه.

أما المثالان الرابع والخامس، فيجريان مجرى المثال الثاني، وأمـــا المثـــالان الســـادس والسابع، فيأخذان حكم المثال الثالث، ولا يخالفانه إلا في تصدير الصلة بالناسخ (كان)؛ وهو تصدير ينأى عن تغيير الصورة البنائية الأم.

وجميع هذه الأمثلة يمكن سوقها وفق المشجر التالـــي:

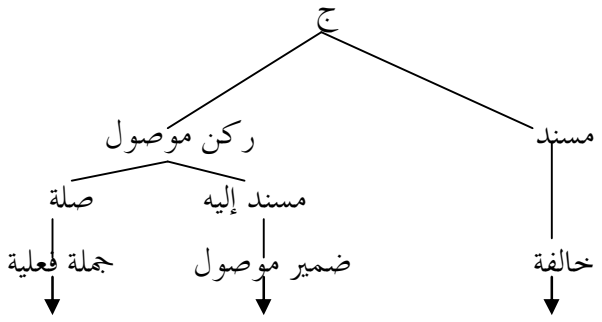

---

[1] ينظر: تفسير البيضاوي، 347/2. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 60/3.

[2] ينظر: مشكل إعراب القرآن، 550/2.

[3] ينظر: تفسير البيضاوي، 455/2. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 72/8.

[4] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 90/7. وينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 145/4. وينظر: الـــوجيز في تفســـير الكتـــاب العزيز، 377/1. وينظر: فتح القدير، 165/2.

[5] ينظر: روح المعاني، 151/25.

[6] ينظر: تفسير البيضاوي، 133/3. وينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 1098/2.

ساء	مـــا	(يعملون)
ساء	مـــا	(يحكمون)
ساء	مـــا	(كانوا يعملون)

النمط الثالث: مسند + ركن إضافي + مسند إليه = مسند + (مسند إليه+ مضاف إليه) + مسند إليه.

سيق هذا النمط في صورة واحدة قوامها: خالفة + (اسم + ركن وصفي) + ø = خالفة +(اسم +(أداة تعريف+ صفة مفعول)) + ø.

تجلت هذه الصورة في السياقين القرآنيين التاليين:

1.(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ)[1].

2.(فَإِذا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ)[2].

حيث حذف المخصوص بالذم في كليهما لدلالة السياق عليه، وهو مقـــدر في الأول على جهة: فساء مطر المنذرين مطرُهم[3]، وفي الثاني على جهـــة: فســـاء صـــباح المنذرين صباحهم[4]، وقيل نزول ذلك العذاب.

ويأخذ كلاهما الصورة التحليلية التالية:

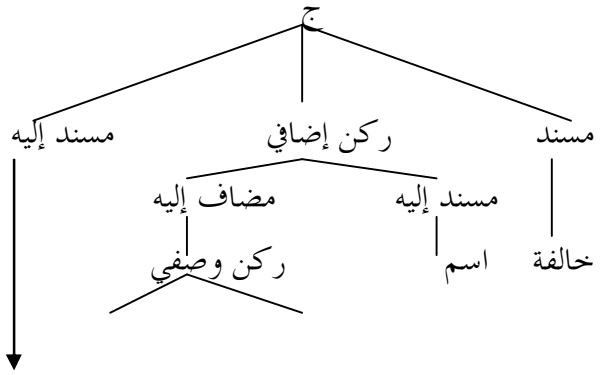

[1] الشعراء/173. النمل/58.

[2] الصافّات/177.

[3] ينظر: تفسير البيضاوي، 251/4. وينظر: روح المعاني، 117/19. وينظر: إرشاد العقل السـليم إلى مزايـا الفـرآن الكـريم، 261/6. وينظر: فتح القدير، 114/4-145. وينظر: تفسير الجلالين، ص490.

[4] ينظر: النهر الماد من البحر المحيط، 647/4. وينظر: تفسير البيضاوي، 32/5. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، 140/15. وينظر: تفسير القرآن العظيم، 26/4. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 211/7. وينظر: روح المعاني، 157/23. وينظر: فتح القدير: 416/4.

		أداة تعريف	صفة مفعول	
ساء	مطر	الـ	منذَرين	Ø
ساء	صباح	الـ	منذَرين	Ø

النمط الرابع: توكيد + مسند + ركن موصول = توكيد + مسند +(مسند إليه + صلة).

شغل هذا النمط الوظيفي صورة واحدة قوامها ائتلاف الوحدات الصرفية التالية: أداة استفتاح + (خالفة + (ضمير موصول + جملة فعلية))، تجلت في السياقات القرآنية الآتية:

1.(وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِم أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ)[1].

2. (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ ما يَزِرُونَ)[2].

3.(أَيُمْسِكُهُ عَلَى هونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا سَاءَ ما يَحْكُمُونَ)[3].

في السياقين الأولين تذييل يقرر ما قبله وتكملة له[4]، وهو محمول لدى القرطبي على محمل التعجب؛ أي: «ما أسوأ الشيء الذي يحملونه»[5]، وجوّز أبو حيان الأندلسي أن تكون (ساء) فيه متصرفة متعدية لمفعول محذوف تقديره: ساءهم، على أن تكون (ما) مصدرية أو موصولة بمعنى: الذي، والتقدير: ساءهم وزرهم، أو: ساءهم الذي يزرونه بمعنى: يحملونه.[6]

وفي السياق الثالث آية ذمّ لمن يحزن إذا بُشِّر بالأنثى.[1] وجميع هذه السياقات يخضع للتشجير التالي:

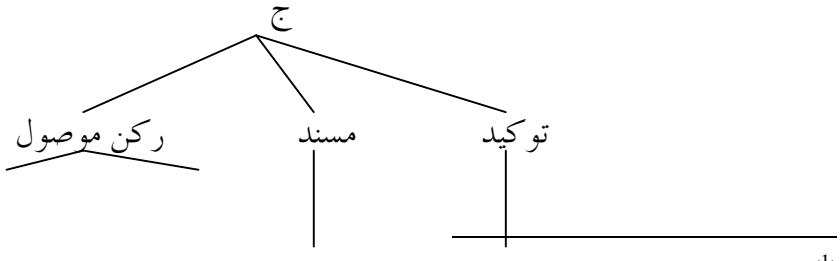

[1] الأنعام/31.

[2] النحل/25.

[3] النحل/59.

[4] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 125/3. وينظر: روح المعاني، 133/7.

[5] الجامع لأحكام القرآن، 413/6.

[6] ينظر: النهر الماد من البحر المحيط، 383/2.

[1] ينظر: روح المعاني، 169/14.

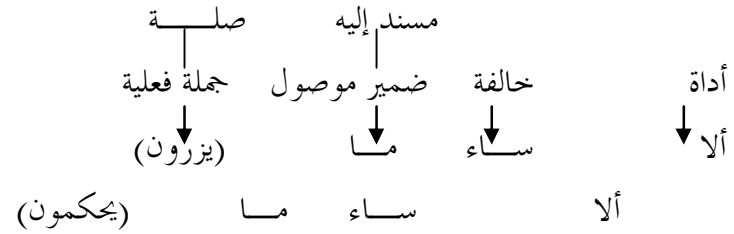

النمط الخامس: مسند + تمييز + مسند إليه + ركن موصول = مسند + تمييز + مســـند إليه + (نعت + صلة).

شغل هذا النمط الوظيفي طهورة شكلية واحدة قوامها: خالفة + اســـم + ركـــن اسمي + (ضمير موصول + جملة فعلية) = خالفة + اسم + (أداة + اسم) +(ضـــمير موصول + جملة فعلية).

تراءت هذه الصورة في قوله تعال: (سَاءَ مَثَلاً القَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا[2])،وقرئ: ساء مثل القوم، على حذف المخصوص بالذم[3]، وهو على القراءة الأولى محمـــول عنـــد النحاة على محامل مختلفة تبعا لإعمال آلية التقدير، فقيل: في (ساء) ضمير فاعل، والقـــوم مرفوع بالابتداء على أن ما قبله خبره، أو مرفوع بإضمار مبتدأ تقديره: ساء المثل مـــثلا هم القوم الذين كذبوا بآياتنا، ومذهب الأخفش تقديره بـــ: ساء مثلا مثـــل القـــوم[4]، فحذف مثل، وأقيم القوم مقامه فرفـــــع.[5]

والتركيب كلُّه مسوق على جهة الاستئناف لبيان كمال قبح حال المكـــذبين بعد بيان كونه كحال الكلب[1]، وساقة أبو حيان على جهة تأكيد الجملة السابقة[2].

ونسوق تحليله في المشجر التالي:

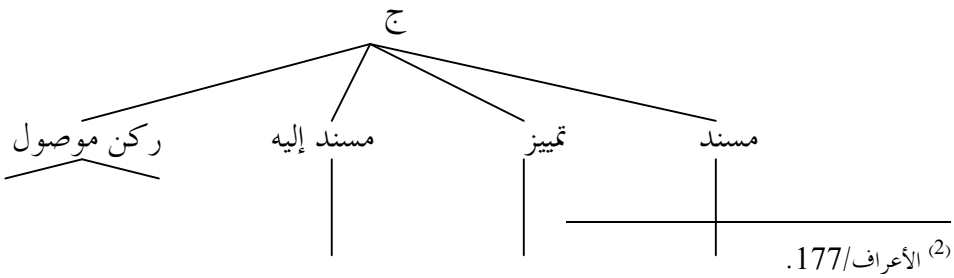

(2) الأعراف/177.

(3) ينظر: تفسير البيضاوي، 75/3. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 294/3.

(4) ينظر: مشكل إعراب القرآن، 306/1.

(5) ينظر: معالم التنزيل، 216/2.

(1) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 294/3. وينظر: روح المعاني، 116/9.

(2) ينظر: النهر المادّ من البحر المحيط، 647/2.

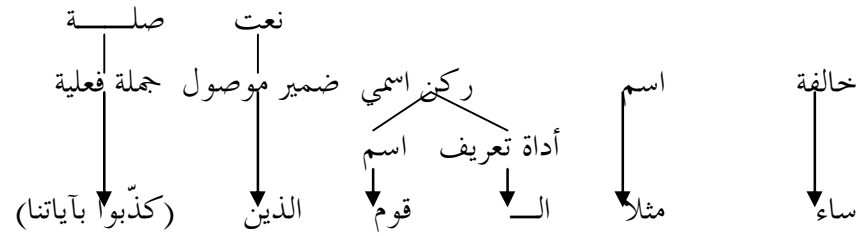

النمط السادس: ركن إسنادي + ركن إضافي + ركن إضافي + تمييز = (مســـند + مسند إليه) + (أداة إضافية + مضاف إليه) +(مفعول فيه + مضـــاف إليـــه) + اسم.

شغل هذا النمط الوظيفي كسابقيه صورة شكلية وحيدة ائتلف تركيبها مـــن تجاور العناصر التالية: (خالفة + Ø) + (أداة + ضمير الغائبين) + (ظرف + ركن سمي) + اسم = (خالفة + Ø) + (أداة + ضمير الغـــائبين) + (ظـــرف +(أداة + اسم) + اسم.

مثالها قوله تعالى: (خَالِدِينَ فِيهَا وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَـــةِ حِمْـــلاً[3])، حيـــث المخصوص بالذم فيه محذوف تقديره: وزرهم، واللام للبيان[4]، وفي إعـــادة الـــركن الإضافي (يوم القيامة) زيادة تقرير وتهويل.[5]

ويتخذ الشكلَ التشجيري التالـــي:

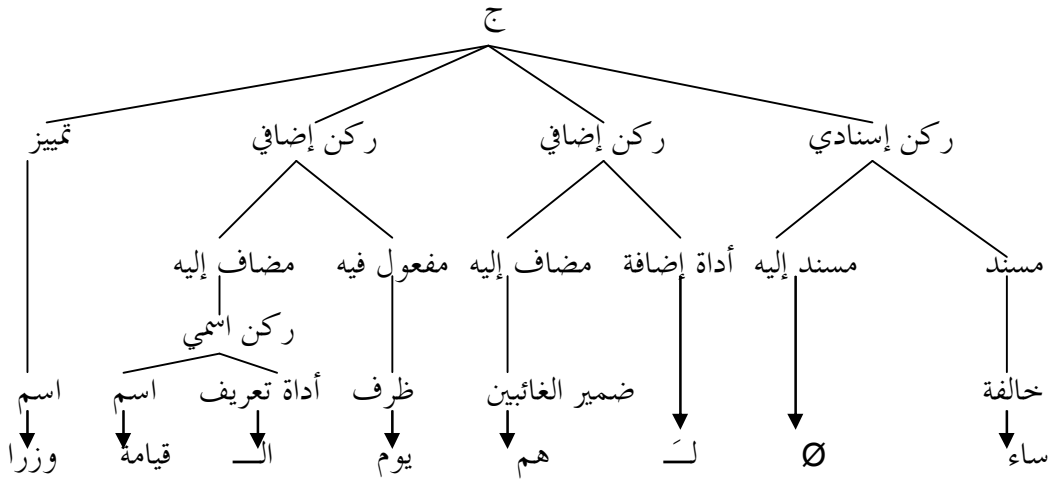

---

[3] طه/101.

[4] ينظر: تفسير البيضاوي، 69/4. وينظر: فتح القدير، 385/3. وينظر: تفسير الجلالين، ص415.

[5] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 41/6.

النمط السابع: ركن إسنادي + تمييز/حال + رابط عطف +معطوف = (مسند + مسند إليه) + تمييز/حال + رابط عطف +معطوف.

الصورة: (ركن خالفي +Ø) + صفة مكان + أداة + اسم = ((خالفة + أداة تأنيث) +Ø) + صفة مكان + أداة + اسم.

مثالها قوله تعالى: ﴿إِنَّها سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَاماً﴾[1]، المخصوص فيه محذوف به ترتبط الجملة باسم إنّ، تقديره: هي إشارةً إلى جهنم، و(مستقرا) حال أو تمييز، والخالفة مؤنثة لتأويل المستقر بجهنم أو مطابقةً للمخصوص، والجملة الخبرية المؤكدة تعليل للعلة الأولى، أو تعليل ثان، وترك العطف فيها للإشارة إلى أنّ كلا منهما مستقل بالعلّية.[2]

ويساق التركيب الإفصاحي فيها وفق المشجر التالي:

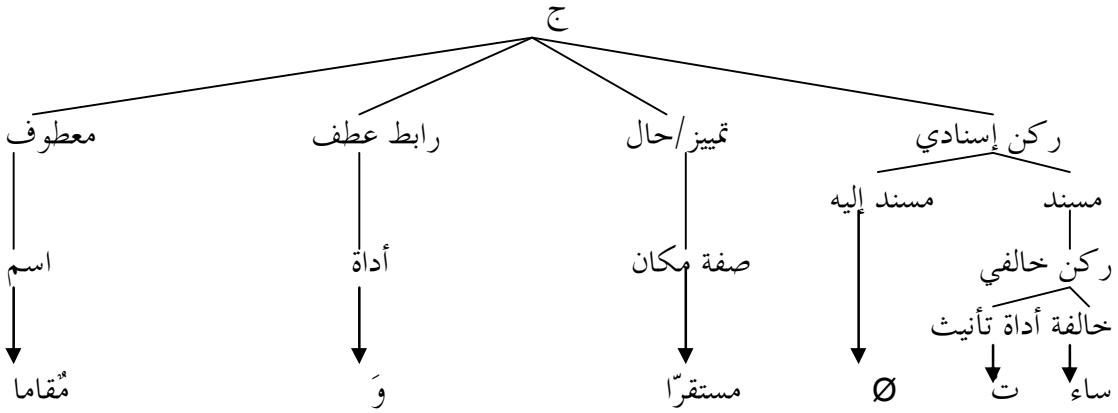

2.2. الذم بصيغة (كَبُرَ)::

وردت هذه الصيغة المحوّلة ست مرات في ست آيات من ست سور، خمس منها مكية، مشكلةً الأنماط الوظيفة الست التالية:

النمط الأول: ناسخ + مسند + ركن إضافي + ركن إضافي = ناسخ + مسند + (أداة إضافة + مضاف إليه) + (مسند إليه + مضاف إليه).

---

[1] الفرقان/66.

[2] ينظر: تفسير البيضاوي، 227/4. وينظر: روح المعاني، 45/19. وينظر: البرهان في علوم القرآن، 97/3. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 229/6.

شغل هذا النمط الوظيفي صورة واحدة قوامها التركيب التالي: أداة محولة + خالفة + (أداة + ضمير مخاطب) + ركن إضافي = أداة محولة + خالفة + (أداة + ضمير شخصي) + (اسم + ضمير الغائبين)

مثالها قوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اِسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقاً فِي الأَرْضِ)[1] بمعنى: وإن كان عظم وشقّ عليك – يا محمد- إعراض المشركين عنك، وانصرافهم عن تصديقك[2]، والكلام مستأنف مسوق على جهة تأكيد إيجاب الصبر المستفاد من التسلية.[3]

وقد سكت المفسرون عن هذه الآية فلم يذكروا أهي ضرب من الذم أم التعجب، مكتفين ببيان معنى كبر وتفسيره بـ عظم وشقّ.

ونسوق هذا التركيب الإفصاحي ذا القيمة الانفعالية في المشجر التالي:

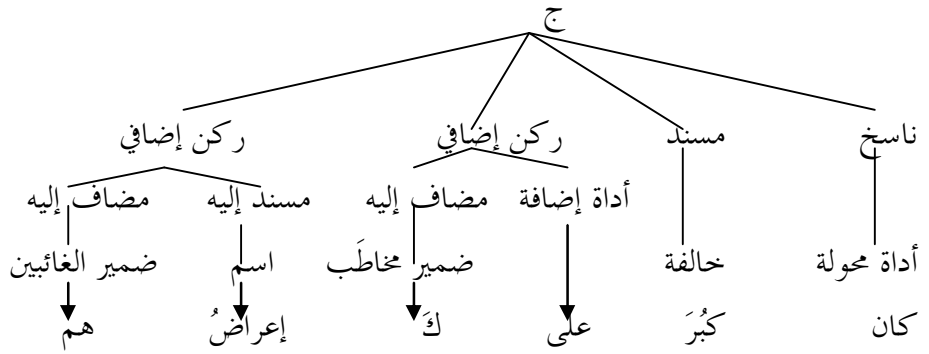

النمط الثاني: ناسخ + مسند + ركن إضافي + ركن إضافي + رابط عطف + ركن إضافي + ركن إضافي= ناسخ + مسند+ (أداة إضافة + مضاف إليه) + (مسند إليه + مضاف إليه) + رابط عطف + (معطوف + مضاف إليه)+ (أداة إضافة+ ركن إضافي)= ناسخ + مسند+ (أداة إضافة + مضاف إليه) + (مسند إليه + مضاف إليه) + رابط عطف + (معطوف + مضاف إليه)+ (أداة إضافة+ (مضاف إليه + مضاف إليه))..

شغل هذا النمط الوظيفي صورة شكلية واحدة قوامها العلاقة التركيبية التالية: أداة محولة + خالفة + (أداة إضافة + ضمير المخاطبين) + (صفة مكان + ضمير المتكلم) +

---

[1] الأنعام/35.

[2] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 183/7. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 128/3. وينظر: معالم التنزيل، 94/2. وينظر: زاد المسير، 32/3. وينظر: تفسير القرآن العظيم، 131/2. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، 417/6.

[3] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 128/3.

أداة +(اسم+ضمير المتكلم) + (أداة + (اسم + اسم))، مثالها قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ﴾[1] بمعنى: عظم عليكم مقامي ولبثي ومكثي بين أظهركم، وشقّ عليكم تذكيري بآيات الله[2]. وليس بين التفاسير المرجوع إليها ما يفيد معنى التعجب أو الذم في هذه الآية فقد سكت المفسرون عن ترجيح أحد المعنيين من سواه.

ونسوق هذه الصورة في المشجر التالي:

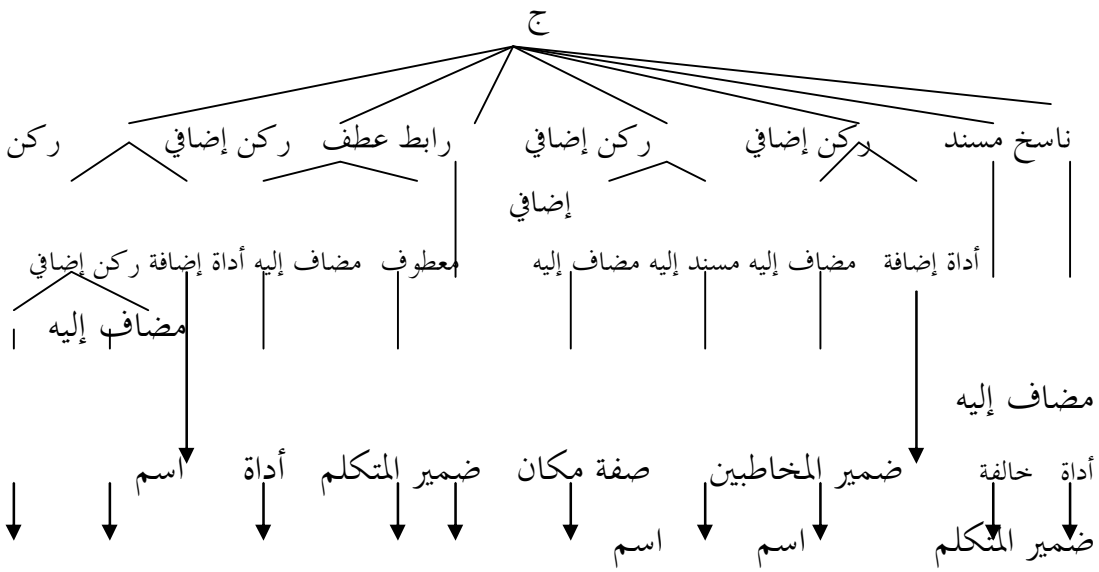

كان كبر على كم مقام ي وَ تذكير ي بِـ آيات الله

النمط الثالث: ركن إسنادي + تمييز +ركن إضافي +رابط عطف + ركن إضافي = (مسند + مسند إليه) + تمييز +(مفعول فيه + مضاف إليه) +رابط عطف + (معطوف + ركن موصول) = (مسند + مسند إليه) + تمييز +(مفعول فيه + مضاف إليه) +رابط عطف + (معطوف + (مضاف إليه + صلة)).

صورته: (خالفة + Ø)+ اسم+(ظرف+اسم)+أداة+(ظرف+ (ضمير موصول+ جملة فعلية)).

---

[1] يونس/71.

[2] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 141/11. وينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 504/1. وينظر: فتح القدير، 461/2.

مثالها قوله تعالى: (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا) [1]والمقت أشد البغض، ولقد نصب على التمييز على أن الأصل فيه: كبر قولهم هذا مقتا، مبالغة في المنع عنه، وفيه تقرير لما أشعر الكلام من ذمهم[2]. وقد لمس فيه بعض المفسرين ضربا من التعجب والاستعظام.[3]

ونسوق هذا المثال في المشجر التالي:

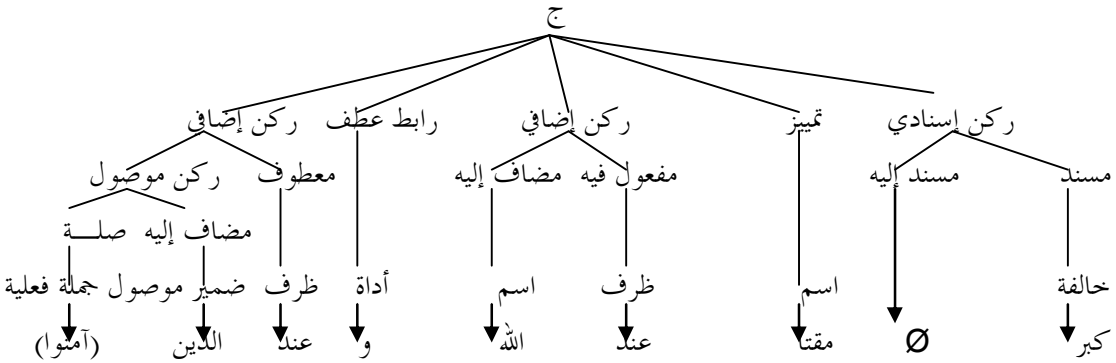

النمط الرابع: مسند+ركن إضافي + ركن موصول = مسند + (أداة إضافة + مضاف إليه) + (مسند إليه + صلة).

الصورة: خالفة + (أداة +ركن وصفي) + (ضمير موصول+ جملة فعلية)= خالفة + (أداة +(أداة تعريف + صفة فاعلين)) + (ضمير موصول+ جملة فعلية).

المثال: قال تعالى: (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُم إِلَيْهِ) [4]بمعنى: عظم وشق عليهم ما تدعوهم إليه – يا محمد – من التوحيد ورفض عبادة الأصنام.[5]

المشجر:

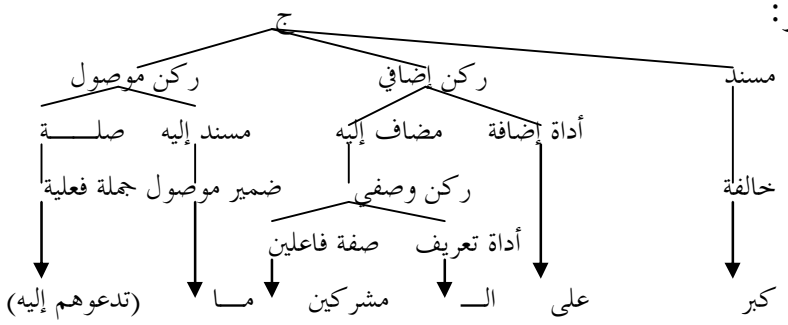

---

[1] غافر/35.

[2] ينظر: تفسير البيضاوي، 332/5. وينظر: روح المعاني، 68/24.

[3] ينظر: الإتقان، ص631-632. وينظر: روح المعاني، 68/24.

[4] الشورى/13.

[5] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 11/16. وينظر: تفسير البيضاوي، 125/5. وينظر: تفسير القرآن العظيم، 110/4. وينظر: فتح القدير، 530/4. وينظر: زاد المسير، 277/7.

النمط الخامس: مسند + تمييز/حال + ركن إضافي + مسند إليه = مسند + تمييز /حال + (مفعول فيه + مضاف إليه) + مسند إليه.

الصورة: خالفة + اسم + (ظرف + اسم)+ ركن موصول = خالفة + اسم + (ظرف + اسم) + (أداة موصولة + جملة فعلية).

المثال: قال تعالى: (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ) [1]وفيه توبيخ من المولى عز وجلّ[2]، وقد انصب الذم –هاهنا- على ارتكاب ما نهي عنه، لا على النهي عن المنكـــر. وليس يخفى أن النهي عنه ممن يأتيه أشد قبحا ممن لا يأتيه[3]. والمخصوص بالذم المصـــدر المؤول (أن تقولوا...) كأنما قيل: قولكم ما لا تفعلون مذموم[4]، وجوز فيه قوم أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هو أن تقولوا.[5] أما (مقتا) ففيه وجهان: أن يعرب تمييزا، أو أن يعرب حالا.[6]

وتجدر الإشارة إلى أن من المفسرين من ساق هذا التركيب الإفصاحي على معـــنى التعجب أيضا وعليه الزركشي في (برهانه).[7]

المشجر:

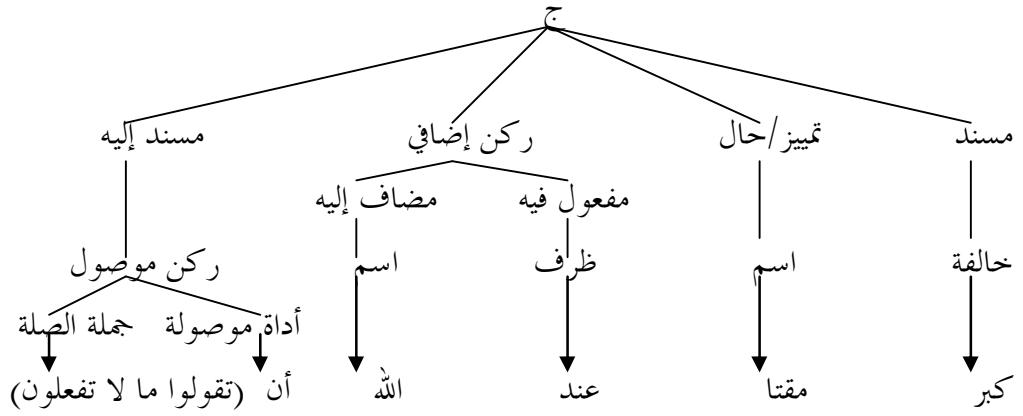

النمط السادس: مسند + تمييز + نعت + مسند إليه.

---

[1] الصف/3.

[2] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 85/28.

[3] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 47/4.

[4] ينظر: مشكل إعراب القرآن، 730/2. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، 81/18.

[5] ينظر: المصدران نفساهما.

[6] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 81/18.

[7] ينظر: 318/2. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 242/8.

الصورة: ركن خالفي + اسم + جملة فعلية+ Ø =(خالفة + أداة تأنيث) + اسم + جملة فعلية+ Ø.

المثال: قال تعالى: (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِن أَفْواهِهِم إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً) [1]المخصوص بالذم فيه محذوف يجري تقديره على وجهين: الأول: أن تكون (تخرج) في محل نصب صفة للتمييز، والتقدير كبرت كلمة خارجة من أفواههم تلك المقالة التي فاهوا بها؛ أي: قولهم اتخذ الله ولدا. والثاني: أن تكون في محل رفع صفة للمخصوص بالذم، والتقدير حينئذ: كبرت كلمةً كلمةٌ تخرج من أفواههم.

المشجر:

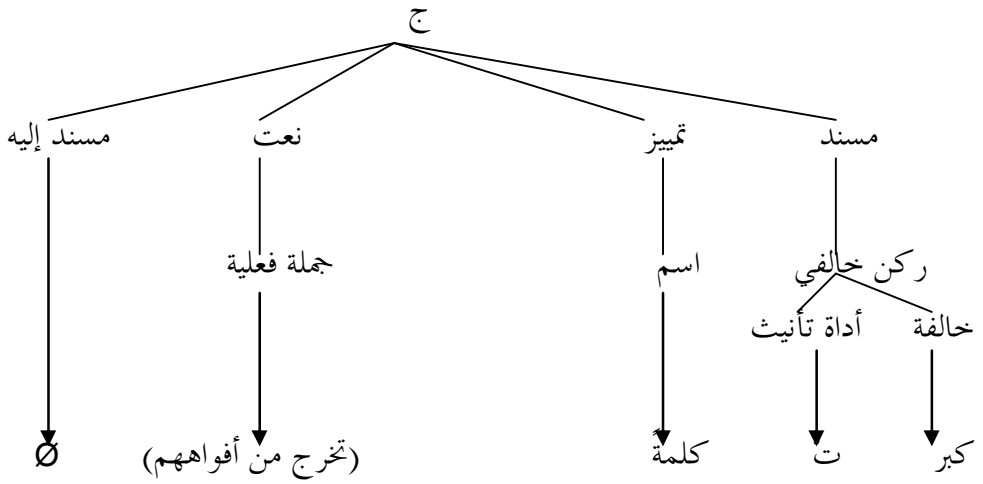

المبحث الثالث:
الأنماط الوظيفية لتركيب الندبة
و صورها الشكلية في القرآن الكريم

ورد تركيب الندبة في الذكر الحكيم عشر مرات في عشر آيات من عشر سور مكية، موزعا على ثلاثة أنماط وظيفية، قوامها في الأشيع الأعم أداة ندبة ومندوب. ومما

---

[1] الكهف/5.

تجب ملاحظته- هاهنا – أن الأداة لم تغادر صورة (يا) مطلقا مع أنها ليست أمَّ هذا الباب، ولعلّ مردّ ذلك إلى ارتفاع الالتباس بالنداء في سياقات الندبة القرآنية، من حيث كون المندوب فيها لا يشتبه بالمنادى البتة، من جهة أنه ليس مما يحسن نداؤه إلاّ على سبيل المجاز، أو صرفِ العبارة عن وجهها؛ إذ ورد المندوب اسما موزعا على ثلاثة جذور معجمية، هي: الويل والحسرة والأسف، وجميعها لا يحتمل النداء حقيقة.

أما الويل، فقد سيق على سبيل التذكير والتأنيث المجازيين في ستة مواضع: أربع منها بالصيغة الثانية، واثنان بالصيغة الأولى.

وأصل الويل الحزي ثم شاع في كل أمر فظيع، فهو تقبيح على حدّ قول الأصمعي[1]، و قد تأوله الفراء على أن الأصل فيه «وي لفلان أي حزن له فوصلته العرب باللام وقدروها منه فأعربوها»[2]، ولعلّ هذا ما دفع ابن منظور ليورد الويل بمعنى التعجب أيضا[3].

أما لفظ الحسرة فورد مندوبا في موضعين لا غير من آي الذكر الحكيم، و لم يرد في قوله تعالى: (يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ)[4]؛ ليفيد هذا الغرض، بل ليفيد التعجب، قال الفراء: «معناه: فيالها من حسرة»[5]، والحسرة على أوضاع اللغة شدة التألم.[6]

أما الأسف، فلم يجاوز موضعا واحدًا في القرآن الكريم، وقد سيق بمعنى الحزن[1]، قال الزركشي: «كل ما في كتاب الله من ذكر الأسف فمعناه الحزن... إلا قوله تعالى: (فَلَمَّا آسَفُونا اَنْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعينَ)[2] فإنّ معناه: أغضبونا».[3]

و إليك حصرا لهذه المواضع جميعا بحسب الجذر المعجمي للمندوب:

المندوب	الآيـــــــة	الرقم	السورة

---

[1] ينظر: البرهان في علوم القرآن، 444/4.

[2] الجامع لأحكام القرآن، 8/2.

[3] ينظر: لسان العرب، 738/11.

[4] يس/20.

[5] البرهان في علوم القرآن، 353/3.

[6] ينظر: تفسير الجلالين، ص166.

[1] ينظر: الدرّ المنثور، 567/4. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 301/4.

[2] الزخرف/55.

[3] البرهان في علوم القرآن، 105/1.

الويل و الويلة	(قَالُوا يا وَيْلَنا إِنَّا كُنّا ظالِمينَ)	14	الأنبياء
	(يا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ)	31	القلم
	(يا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا)	52	يس
	(قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي).	31	المائدة
	(قالَتْ يا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً).	72	هود
	(يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنَا ما لِهَذا الكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا)	49	الكهف
	(يا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ اَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً).	28	الفرقان
الحسرة	(يا حَسْرَتَنا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا)	31	الأنعام
	(يا حَسْرَتا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ)	39	الزمر
الأسف	(وَقالَ يا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ).	84	يوسف

ومن يجيل نظره في كيفية بناء تراكيب الندبة المذكورة آنفا يستطيع أن يظفر بالأنماط الوظيفية الثلاثة التالية:

النمط الأول: أداة ندبة + ركن إضافي= أداة ندبة + (مندوب + مضاف إليه).

تجلى هذا النمط الوظيفي في صورة واحدة هي: أداة + (اسم + ضمير شخص)، تمثلت في شكلين هما:

الشكل الأول: أداة + (اسم + ضمير المتكلم).

تردد هذا الشكل في ثلاث آيات بينات من الذكر الحكيم: في سورة المائدة، وهود، والفرقان، ويمكن إيراد تحليل تركيبه غير الإسنادي بواسطة المشجر التالي:

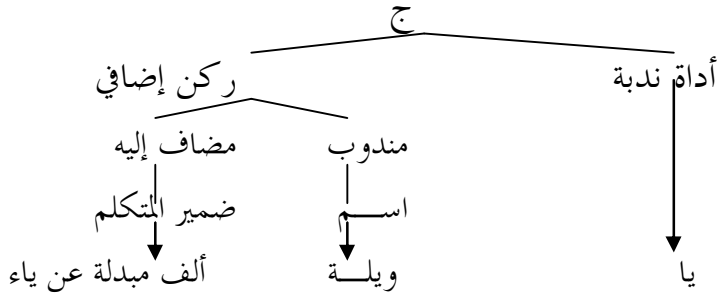

فهذا السياق يفيد الجزع والتحسر، والألف فيه مبدلة من ياء المتكلم؛ لأنها أخف من الياء والكسرة[1]، وقيل: إنها ألف الندبة، فإن وقفت عليها فجائز، وإن وقفت على الهاء فكذلك[2]، وقال الطبري عن هذا التركيب: «إنها كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشيء والاستنكار للشيء».[3]

ففي سورة المائدة سيق هذا التركيب على لسان قابيل لما قتل أخاه هابيل، وتركه بالعراء لا يعلم كيف يدفنه، فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه، فحفر له، ثم حثا عليه، فلما رآهُ قابيل اهتدى إلى دفن أخيه قائلا[4]: (يا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي).[5]

وفي سورة هود سيق هذا التركيب على لسان زوجة إبراهيم عليه السلام لما بُشِّرَتْ بالولادة على الكبر، والأصل فيه: «يا ويلتاه أألد وأنا عجوز، وكانت ابنة تسعين سنة في قول ابن إسحاق، وقال مجاهد: تسعا وتسعين سنة... وكان سن إبراهيم مائة وعشرين في قول ابن إسحاق، وقال مجاهد: مائة سنة»،[6] وقد حمله المفسرون على سبيل النداء المجازي سالكين به مسلك النجاة، كأنما الأصل فيه «يا ويلتي احضري»،[7] وإنها لكلمة تخف على ألسنة النساء إذا ما طرأ عليهن ما يعجبن منه، وقد عجبت امرأة إبراهيم من ولادتها بعد أن بلغت من الكبر عتيا، ومن كون بعلها شيخا لخروج هذا الشيء عن العادة، وما خرج عن العادة فمستغرب ومستنكر.[1]

وفي سورة الفرقان سيق التركيب على سبيل التفجع والتندم، ويروى— هاهنا — أنّ الظالم لنفسه هو عقبة بن أبي مُعيط، وأنه كان يأكل يديه ندما؛ ذلك أنه اعتزم على الإسلام فبلغ أمية بن خلف فقال له أمية: وجهي من وجهك حرام إن أسلمت، وإن

---

[1] ينظر: فتح القدير، 511/2. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، 69/9.

[2] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 76/12.

[3] ينظر: المصدر نفسه.

[4] ينظر: المصدر نفسه، 197/6.

[5] المائدة/31.

[6] معالم التنزيل، 393/2.

[7] ينظر: تفسير البيضاوي، 318/2.

[1] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 69/9.

كلمتك أبدا، فامتنع عقبة من الإسلام فإذا كان يوم القيامة أكل يديه، وتمنى أنه اتخذ مع الرسول إلى الجنة سبيـــــلا، و لم يكن لأمية بن خلف خليلا[2]، لقوله تعالى: (وَيَـــوْمَ يَعضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا وَيْلَتا لَيْتَنِي لَمْ اتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً).[3]

الشكل الثاني: أداة + (اسم + ضمير المتكلمين).

تكرر هذا الشكل أربع مراتٍ في سورة: الأنبياء، والقلم، والكهف، و يس[4]، وهو لا يختلف عن سابقه إلا من جهة كون المندوب مضافا إلى ضمير شخص جمعي.

النمط الثاني: أداة ندبة + ركن إضافي + ركن إضافي= أداة ندبـــة + (منـــدوب + مضاف إليه) + (أداة إضافة + ركن موصول) = أداة ندبة + (مندوب + مضاف إليه) + (أداة إضافة + (مضاف إليه + صلة)).

تكشّف هذا النمط في صورة واحدة قوامها: أداة + (اسم + ضمير شخص) + (أداة + (ضمير موصول + جملة فعلية))، مثاله قوله تعالى: (يا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنـــاَ فِيهَا)[5] وقولِه أيضا: (يا حَسْرَتا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ)[6]. ويمكن سوق المثالين معًا من خلال المشجر التالي:

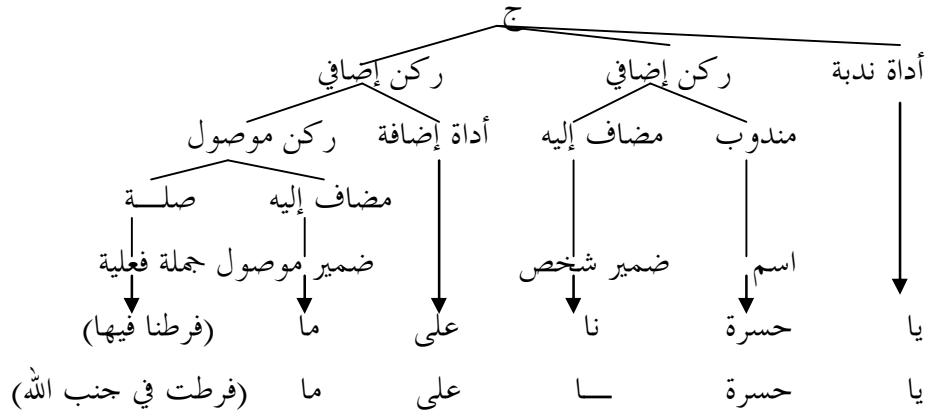

---

[2] ينظر: لسان العرب، 325/13.

[3] الفرقان/27-28.

[4] تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الآية قرئت في شواذ القراءات بزيادة التاء؛ أي: يا ويلتا. ينظر: المحتسب، 213/2.

[5] الأنعام/31.

[6] الزمر/39.

لكن تجدر الإشارة إلى أن النحاة والمفسرين لا يأخذون بمثل هذا التحليل، ويعزفون عنه، حيث يحملون الندبة على محمل النداء فيلوون عنق العبارة أيما ليٍّ، قال العكبري: ((يا حسرتنا: نداء الحسرة والويل على المجاز والتقدير: يا حسرةً احضري لهذا)) [1]وقيل: إن معناها: يا حسرتنا تعالي فهذا أوانك.[2] ومثل هذا التخريج ليس مستكنا في ضمير المتكلم على الإطلاق، وإنه لتزيد على النص القرآني بلا اضطرار يدعو إليه، ويحتم الأخذ به.

النمط الثالث: أداة ندبة + ركن إضافي + ركن إضافي = أداة ندبة + (مندوب + مضاف إليه) + (أداة إضافة + مضاف إليه).

الصورة: أداة +(اسم+ ضمير المتكلم)+(أداة + اسم).

المثال: قوله تعالى: (يا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ[3]) وقد سيق على لسان يعقوب عليه السلام، ((والأسف أشد الحزن والحسرة أضافه إلى نفسه، والألف بدل من الياء فساءاه؛ أي: يا أسفي تعال فهذا...)) [4]، وليس بخفي ما في هذا التأول من عسف وشطط، فحسب التركيب- هاهنا- قيامه على أساس من علاقة غير إسنادية قوامها: أداة ندبة ومندوب، ويمكن سوق المثال وفق المشجر التالي:

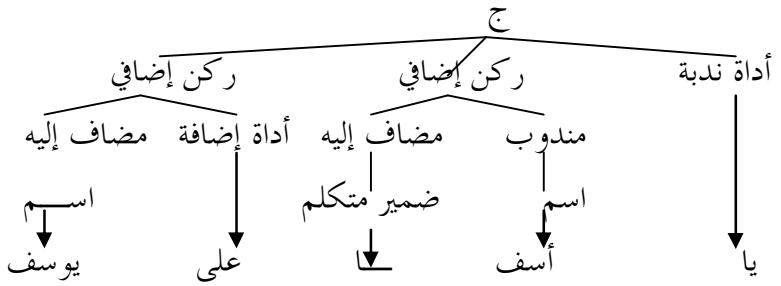

المبحث الرابع:
الأنماط التركيبية الوظيفية لخوالف الإخالة وصورها الشكلية في القرآن الكريم

---

[1] التبيان في إعراب القرآن، ص239.

[2] ينظر: تفسير البيضاوي، 403/2.

[3] يوسف/84.

[4] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 301/4.

جدير بالذكر-بداءةً- أن تراكيب خوالف الإخالة في القرآن الكريم من الضحالة بمكان، فهي لم تتجاوز في مجموعها ستة مواضع موزّعةً على خمس آيات من خمس سور مكية، يكاد يستقل كل موضع منها بتشكيل نمطه التركيبي على النحو التالي:

النمط الأول: مسند+ توكيد لفظي+ رابط توكيدي+ ركن موصول= مسند+ توكيد لفظي+ رابط توكيدي+ (مسند إليه+ صلة).

تجلى هذا النمط الوظيفي في صورة واحدة قوامها:

خالفة+ خالفة+ أداة زائدة+ (ضمير موصول+ جملة فعلية)، وقد تمثلت في قوله عز وجل: (هَيْهاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ) [1]، ولا نظير له في القرآن الكريم، وقد خرّجه النحويون على جهة كون هيهات اسمَ فعل في فاعله وجهان: أحدهما أن يكون مضمرا تقديره: التصديق أو الصحة أو الوقوع؛ وثانيهما أن يكون (ما) الموصولة، فتكون اللام زائدة، والتقدير حينئذ: هيهات ما توعدون، وقال قوم: هيهات في موضع ابتداء و(لما توعدون) خبره، وهو قول الزجاج، وقد استضعفه جمهور النحويين[2].

والأرجح قيلا الأخذ بالرأي الأول، ولكن على جهة كون (هيهات) خالفةً مسندة إلى الضمير الموصول، وفي ذلك بُعْدٌ عن تكلف التقدير واصطناع وجوه التأويل، لاسيّما أن العرب تدخل اللام مع هيهات في الاسم الذي يصحبها وتنزعها منه، فيرتفع الاسم بعدها، حيث تقول: هيهات لك، وهيهات ما تبتغي، وهيهات العقيق.[3]

فليس من داع إلى تقدير المسند إليه في هذا المثال، فحمل لام البيان على الزيادة للتوكيد أولى بالاعتبار من سواه فكأنما التقدير فيه: ما أبعد ما توعدونَ!

وجدير بالذكر أنّ في هيهات نيِّفاً وثلاثين لغة،[1] ورد منها في الاستعمال القرآني فتح التاء، وهي قراءة الجماعة، وكسرها، وهي قراءة أبي جعفر بن القعقاع، والكسر

---

[1] المؤمنون/ 36.

[2] ينظر: التبيان في إعراب القرآن، 149/2. وينظر: تفسير البيضاوي، 154/4.

[3] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 20/18.

[1] ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث بطنطا، القاهرة، ط1، 1992، ص307.

والتنوين، ورويت عن عيسى بن عمر، وضمّ التاء، وبها قرأ نصر بن عاصم وأبو العاليـــة، والضمّ والتنوين وبها قرأ أبو حيوة الشامي، وغير ذلك من وجوه القراءات الأُخَر[2].

ولنا سوق المثال القرآني من خلال المشجر التالي:

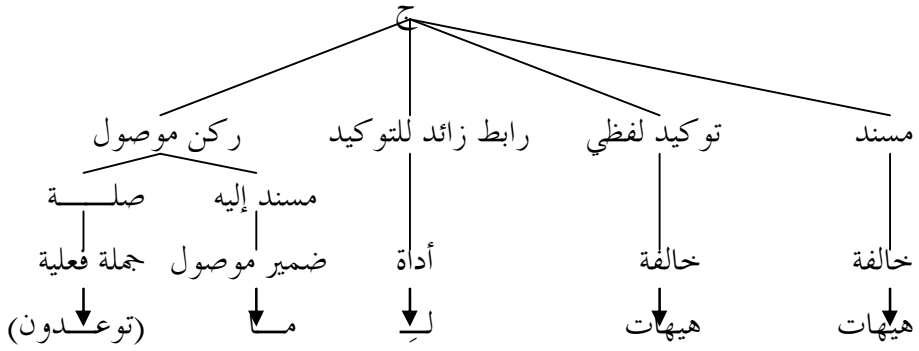

النمط الثاني: مسند+ رابط+ مسند إليه

الصورة الأولى: خالفة+ Ø +Ø .

المثال: قوله تعالى: (فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ) [3] ، على سبيل التضجر والتكرّه ممـــا يســـتقذر منهما، ويُستثقل من مؤنتهما[4]، والمسند إليه في قوله تعالى محذوف ثقة في دلالة ما قبلـــه عليه، فكأنما الأصل في العبارة: أُفٍّ لكما، فتكون اللام رابطة وضمير المخاطَبيْن مسندا إليه وتقديره: ما أضجركما! إلا أنهما حُذفا معًا لإغناء ما قبلهما وهو الركن الإضافي (لهمـــا) عنهما.

ونسوق هذا المثال في المشجر التالي:

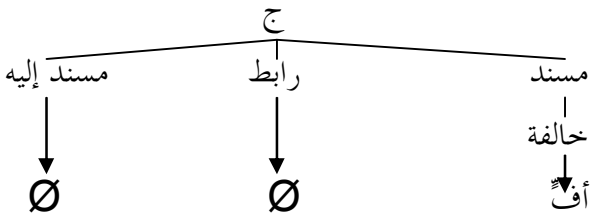

الصورة الثانية: خالفة+ أداة+ ضمير المخاطبيْن.

المثال: (والَّذي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا)[1]، ونسوقه وفق التحليل التالي:

---

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 122/12.

[3] الإسراء/23.

[4] ينظر: تفسير البيضاوي 439/3.

[1] الأحقاف /17.

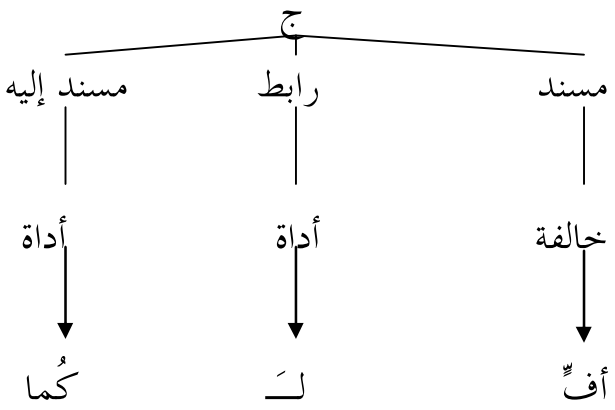

النمط الثالث: مسند+ رابط+ مسند إليه+ رابط عطف+ ركن إضافي= مسند+ رابط+ مسند إليه+ رابط عطف+ (أداة إضافة + ركن موصول) = مسند+ رابط+ مسند إليه+ رابط عطف+ (أداة إضافة + (مضاف إليه + صلة)).

الصورة: خالفة+ أداة+ ضمير المخاطبين+ أداة+ (أداة +(ضمير موصول+ جملة فعلية)).

المثال: (أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) [2]، وهو قول إبراهيم عليه السلام لقومه تقبيحا وتحقيرا لهم وللآلهة التي يعبدونها من دون الله[3]. وقد اختلف في فتح فاء الخالفة فيه وكسرها وتنوينها أيما اختلاف، فقرأ ابن كثير وابن عامر أفَّ بالفتح، وقرأها نافع بالتنوين، وقرأها أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي خفضا بغير تنوين.[4]

ونسوق تحليل المثال القرآني الذي كانت خالفة الإخالة قوامَه على النحو التالي:

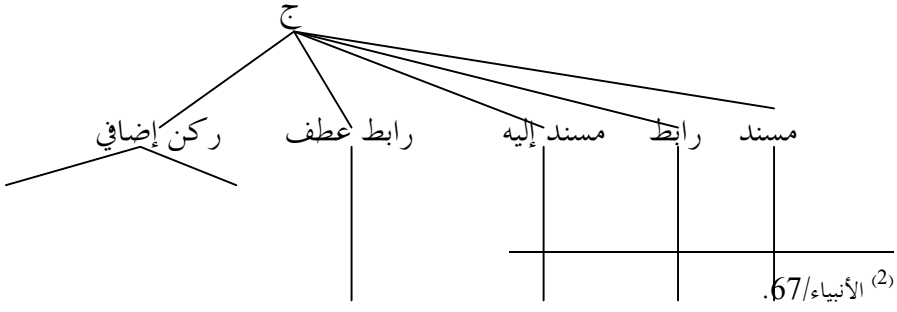

[2] الأنبياء/67.

[3] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 43/17، وينظر : فتح القدير415/3.

[4] ينظر: كتاب السبعة في القراءات، ص372.

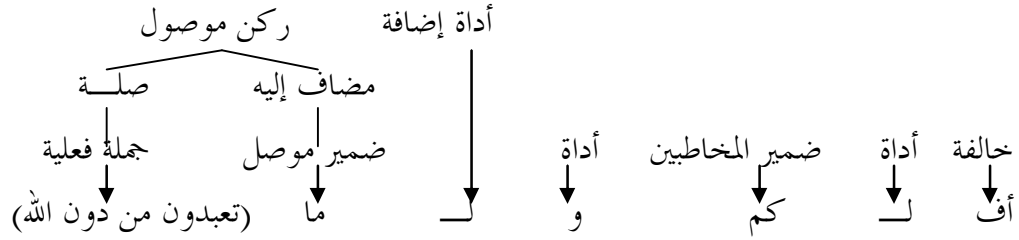

النمط الرابع: مسند+ مسند إليه.

الصورة: خالفة+ Ø.

المثال: قال تعالى:(وأَصْبَحَ الّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقولونَ وَيْكَأَنّ اللهَ يَبْسُطُ الـرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَاده ويَقْدِرُ لوْلا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لخَسَفَ بنا وَيْكَأَنَّه لا يُفْلِحُ الكافِرونَ)[1]، حيث ورد المسند إليه محذوفا في التركيبين معا، وهما مفصحان عن قيمة تعبيرية قوامها التعجب والتفجع مما كانوا عليه من قبل؛ إذ كانوا يتمنون مكان قارون، وما كان عليه من زينة في قومه وكنوز تنوء بمفاتيحها العصبة أولو القوة. فالمسند إليه هاهنا محذوف دل عليه السياق، فكأنمل الأصل فيها ما أعجب ما كنا عليه! أو: ما أعجب أن تمنينا مكان قارون! فيكون التركيب آنئذ قائما على أساس من إسناد انفعال التعجب إلى الحال التي كانوا عليها بالأمس القريب وهو يجري مجرى تركيب التعجب سواء بسواء، حيث نسد الحسن إلى السماء في مثل قولنا: ما أجمل السماء!

ونسوق هذين التركيبين المتناظرين تأليفا ودلالة من خلال المشجر التالي:

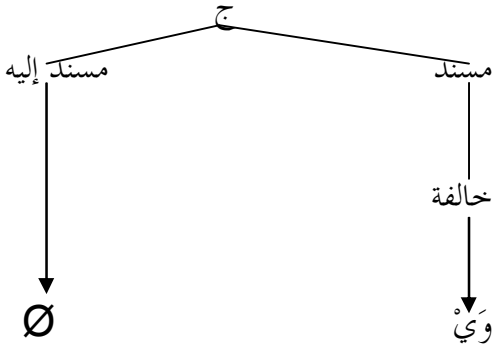

وتجدر الإشارة إلى أن من النحويين من ساق خالفة الإخالة (وي) على سبيل التندم؛ فكأن القوم تنبّهوا أو نبّهوا فقالوا: وَيْ، والكسائي يحملها على معنى التعجب والتفجع[1]، والأظهر كما يرى محمود الألوسي (ت1270هـ) الوجه الثاني على إرادة

---

[1] القصص /82

[1] ينظر: الجامع لأحكام القرآن/318/13

التعجب بأن يكونوا تعجبوا أولا، وقالوا ثانيا: كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عبـــاده ويقدره، أو كأنه لا يفلح الكافرون، على أنّ (كأنّ) فيهما عاريةٌ من معنى التشبيه جيء بها للتحقيق والتقرير ليس إلا.[2]

الخـــاتـــمة

[2] ينظر: روح المعاني /124/20

لابد لهذا الجهد من خاتمة تكون بمثابة حصيلة موجزة له، تلخص أهم النتائج التي خلص إليها البحث بشقيه: النظري والتطبيقي، نسوق أهمها في النقاط التالية:

1.التركيب الإفصاحي ينهض بديلا عن الإنشاء غير طلبي الذي كاد يهمله البلاغيون القدامى ومن حذا حذوهم من المحدثين، وقوامه التعبير بواسطة اللغة عن انفعالات المتكلم ومشاعره وحالاته النفسية بنبرة انفعالية تعين على توضيح القصد، ودفع التعمية التي ينجرُّ عنها اغتماض الغرض. وليس الإفصاح انفعالا يتقصاه عالم النفس، وإنما هو تعبير لغوي عنه يتتبعه عالم اللغة.

2.التركيب الإفصاحي مصطلح حديث، ليس بين طيات تآليف القدامى ما سبيله أن يوحي بأنهم عرفوه بوصفه مصطلحًا قائما بذاته، وإنما عرفوا موضوعه معرفة سطحية لا غورَ ولا غوص فيها؛ إذ أدركوا القيمة الانفعالية في بعض تراكيبه، كالتعجب والندبة. وقد اختلفت رؤاهم حول موضوعه، كما تباينت تصوراتهم وافترقت نظراتهم حول ما يدور في فلك الإفصاح من تراكيب وأساليب.

3.لقد كان لاطلاع الباحثين العرب المحدثين على الدراسات اللغوية الغربية الأثر الكبير في دراسة اللسان العربي ورصد طاقاته التعبيرية، فبدأ الاهتمام بالتدريج بالجانب الانفعالي، وخُصَّت تراكيبه بالدراسة على نحو أعمق مما كان يألفه أسلافهم قبلُ.

4. يعد تمام حسان أول الباحثين العرب استعمالا لمصطلح الإفصاح، وإدراكا لوظيفته التأثرية الانفعالية. لكن من الواضح أن هذا الباحث لا يقرُّ مصطلح التركيب الإفصاحي عنده على مدار واحد تسبح في فلكه موضوعات محددة، فهو لا يلبث أن يغير رأيه من كتاب إلى آخر، بل نلحظ الاختلاف أيضًا بين ثنايا المؤلف الواحد.

5.لقد حذا بعض الدارسين حذو تمام حسان واقتفوا أثره، فأخذوا بمصطلح الإفصاح، ووظفوه في دراساتهم مع فارق النظر في تحديد موضوعاته وحصر مداراته، في حين فضّل بعض الباحثين الإبقاء على المصطلح القديم (الإنشاء غير الطلبي)، واستعاضه البعض الآخر بالانفعال؛ لأنّه أدلّ-حسب رأيهم- على القصد.

6. لم تقرّ مدارات التركيب الإفصاحي على وجهة واحدة، حيث وقف الباحثون حيالها بين مضيق لدائرتها وموسع، فتجاذبها تيار الجزر والمدّ على نحو واضح، ولا يقرُّ منها إثر

تدقيق النظر واستدامته فيها إلا الموضوعات التي مدارها: التعجب، والمدح والذم، والندبة، والإخالة، وهذا ما تبنته المذكرة.

7.التعجب أسلوب خِطابي قائم بذاته، شأنه في ذلك شأن الأساليب الأخرى، لا يمكن حمله على غيره، ولا تجريده من وظيفته، ولا تفسيره على نحو يخرجه عن حقيقته، فهو متعلق بالذات البشرية لا بالذات الإلهية، فالله لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وما ورد منه في الذكر الحكيم، فمصروف عند المحققين من العلماء إلى المخاطبين على سبيل التعجيب لا التعجب.

8.إنَّ إشكال الاسمية والفعلية لصيغتي التعجب وما درج عليه النحويون قديما من خصومة وجدال بشأنهما لا مسوِّغ له على الإطلاق، فاحتفاظ هاتين الصيغتين ببعض علامات الأفعال وبعض علامات الأسماء دليل قاطع على أنهما يندرجان ضمن قسم خاص ينبغي أن يفرد بالعناية وهو قسم الخوالف. كما لا يحسن من حيث البنية الوظيفية حمل هاتين الصيغتين على محمل التمثيل الذي لم يتكلم به، فحسبهما أنهما تركيبان إسناديان.

9.عبارات التعجب السماعية لا حصر لها، لأن معنى التعجب الذي تتشربه يساق إليها من قِبَل الاستعمال، بحيث تفرغ العبارة من معناها الأصلي؛ لتتمحض للدلالة على المعنى التعجبي.

10.إنَّ صيغ المدح والذم تندرج ضمن ما يطلق عليه خوالف المدح والذم، هذه الأخيرة تشترك في سمات تميزها عن غيرها من أقسام الكلم العربي.

11.إن تركيب المدح والذم تركيب إفصاحي له أبنيته التي تعد الخالفة عمودَها الأساس الذي لا مَعدلَ عنه. وإنه لحريٌّ بالدارسين أن يعيدوا فيه النظر للوقوف على حقيقته، والكشف عن وظيفته بطريقة لا تلوي بأعناق تراكيبه، بما من شأنه أن يُسهم في تعليمية اللغة العربية.

12.إنَّ جملة نعم و بئس مركبة في الأشيع الأعم من علاقتي إسناد، وهذا من شأنه أن ينشئ جملتين: كبرى وصغرى، وله أن يتحول إلى تركيب إسنادي أحادي إذا ما استغنى عن مرفوعه عن طريق تحويله إلى تمييز، أو حالما تسند الخالفة إلى ضمير موصول تغني صلته عن تثنية العلاقة الإسنادية.

13.الندبة في حقيقتها تؤسس لتركيب إفصاحي مستقلٍّ مشحونٍ بانفعالات المتكلم وفَيْضِ وجدانه، لا علاقة له على مستوى الدرس الوظيفي بالتركيب الندائي من قريب أو من بعيد، فلا جامع بينهما إلا الشكل الظاهر الذي لا يمكن إيلاؤه العناية في التصنيف والتحليل، فالأسلم أن نجعل الرائد في هذا المجال البنية العميقة التي هي مسرح المعاني النحوية ومدرجها.

14.الندبة تركيب غير إسنادي مفصح عن التفجع والتوجع، قوامه ركنان: أداة ندبة ومندوب لا تجمعهما علاقة إسنادية البتة، إلا على سبيل التوهم والتخيل.

15. خوالف الإخالة تشحن التركيب الذي تحلُّ به بقيم نفسية انفعالية تؤهله لينضوي تحت قسم الإفصاحيات، وهي لا تعدو أن تعبر عن قسم محدود من أسماء الأفعال، فهي لا تمثل إلا قسما يسيرا من المبنيات؛ أي: ما كان منها بمعنى الخبر. أما ما كان منها مفيدا للطلب، فالأولى نقله من حيّز الجملة الإفصاحية إلى حيّز الجملة الطلبية.

16.بلغ مجموع التراكيب الإفصاحية المحصاة في المدونة القرآنية نحو ثلاثة وخمسين ومائة تركيب موزعة على ثمان وأربعين ومائة آية من أربع وستين سورة، سبع وتسعون منها مكيةٌ، وستٌّ وخمسون مدنية. ولعلّ مردّ هذه الغلبة الطاغية للتراكيب المكية على التراكيب المدنية والتي بلغت نسبتها إلى المجموع حوالي71.85% إلى الطابع الإفصاحي الذي يتناسب طرديا مع دواعي حمل النفوس وجدانيا على التهيؤ للتأثر بالدين، وما تقتضيه عقيدته من تشرُّبِ قيّم نفسية جديدة لم تكن مغروسة في البيئة العربية من قبل.

17. بلغت الأنماط التركيبية الإفصاحية التي تمّ إحصاؤها في القرآن المجيد نحو اثنين وستين نمطا وظيفيا موزعا على اثنتين وسبعين صورة شكلية، تربعت فيها أنماط تراكيب المدح والذمّ على صدارة الترتيب بنسبة 50%، تلتها في المقام الثاني الأنماط التركيبية الوظيفية التعجبية بنسبة 38.72%. في حين لم تحظ الأنماط الوظيفية لتركيب خوالف الإخالة والندبة إلاّ بحيّز محدود جدّا؛ إذ كانت نسبة الأولى إلى مجموع الأنماط 6.45%، وكانت نسبة الثانية 4.83%.

18. يلاحظ أنّ التعجب القرآني مع كثرة وروده وامتداد مساحته نسبيا قياسا إلى مجموع التراكيب الإفصاحية لم تشغل فيه الصيغ القياسية سوى نسبةٍ ضئيلة لم تتجاوز حدود الخُمُس. أما الأخماس الأربعة الأخرى، فكانت من نصيب التعجب السماعي الذي طغى

عليه الاستفهام بصورة واضحة لا غبار عليها، حيث بلغت أنماطه التركيبية الوظيفية الموقوف عليها تسعة أنماط موزعة على عشر صور، وقد تلتها الأنماط الخبرية التعجبية التي بلغ عددها ثمانية أنماط موزعة على ثماني صور. أما التعجب بالنداء أو بأسلوب الشرط، فقد ندر استعمالهما بصورة تسترعي الانتباه.

19. شكلت الأنماط الوظيفية لتراكيب المدح -قياسا إلى تراكيب الذم- نسبة ضئيلة مقدارها الثلث، حظيت فيها (نِعْمَ) بحصة الأسد، حيث شغلت ستة أنماط تركيبية وظيفية موزعة على ثماني صور شكلية، بينما لم تحظ الصيغة المحولة (حَسُنَ) إلاّ بنمطين موزعين على ثلاث صور. هذا على خلاف أسلوب الذم الذي غلبت فيه الصيغ المحولة (ساء) و(كَبُرَ) صيغةَ الذم العام (بئس)؛ إذ شكلت الأولى ثلاثة عشر نمطا تركيبيا وظيفيا موزعا على خمس عشرة صورة شكلية، بينما شغلت الثانية عشرة أنماط موزعة على اثنتي عشرة صورة.

20. لا جرم أنّ التراكيب الإفصاحية المنعقدة -أساسا- بذات المرسِل تظل أحوج ما تكون إلى أن تتوجه إليها العناية، وتُسبغ عليها الرعاية أكثر فأكثر لتستبين حقيقتها، وتنكشف على وجه اليقين خصائصها. فهي بحاجة إلى جهود تترى وأقلام أخرى تشبعها بحثا ودراسة. فعلى الباحثين ألاّ يضيعوا الاهتمام بها، فليس من الحصافة في شيء أن يتَجاوزوها بغير وجه حقّ؛ لما يستتبع ذلك من إضاعة بعض وظائف الخطاب. فليتنا جميعا ننشغل بمنطق اللغة لا بلغة المنطق، وشتان ما بينهما من قيمة فارقة!.

ثبت المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسَديّ.

2.اتجاهات البحث اللساني، ميلكا إفيتش-ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد- المجلس الأعلى للثقافة- 2000م.
3.الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي- تحقيق فواز أحمد الزمرلي- دار الكتاب العربي- بيروت لبنان-ط1-1424هـ 2000 م.
4.ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي - تحقيق رجب عثمان محمد- مكتبة الخانجي بالقاهرة- ط1- 1418هـ 1998م.
5.إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود- دار إحياء التراث العربي- بيروت- (د.ت).
6.الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط5- 2001م.
7.أساليب الجملة الإفصاحية في النحو العربي (دراسة تطبيقية في ديوان الشابي)، عبد القادر مرعي خليل- مؤسسة وام للتكنولوجيا والكمبيوتر- عمان- (د.ت).
8.أسرار التكرار في القرآن، الكرماني- تحقيق عبد القادر أحمد عطا- دار الاعتصام- القاهرة- ط2- 1396هـ.
9.أسرار العربية، أبو البركات الأنباري- تحقيق فخر صالح قدارة- دارالجيل- بيروت- ط1- 1415هـ 1995م.
10. الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي- الدار العربية للكتاب- ليبيا- تونس- 1397هـ 1977م.
11.الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، عبد القادر عبد الجليل- دار صفاء للنشر والتوزيع- عمان- ط1- 2002م.
12.أسماء الأفعال وأسماء الأصوات في اللغة العربية، محمد عبد الله جبر- دار المعارف- القاهرة- 1980م.

13.الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ركن الدين محمد بن علي بن محمد الجرجاني- تعليق إبراهيم شمس الدين- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط1- 2002م.
14.أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي- مكتبة الخانجي- القاهرة- 1397هـ 1977م.
15. الألفاظ المستعملة في المنطق، الفارابي- تحقيق محسن مهدي- دار الشروق- بيروت- ط2- 1986م.
16. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم- دار الفكر العربي القاهرة- ومؤسسة الكتب الثقافية -بيروت- لبنان- ط1- 1406هـ 1986م.
17. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام- تحقيق وشرح محمد محي الدين عبد الحميد- منشورات المكتبة العصرية- بيروت- لبنان- (د. ت).
18.إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز الجامع للقراءات الأربعة عشر، القباقبي- تحقيق فرحات عياش- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1995م.
19.الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني- مراجعة وتصحيح بهيج غزاوي- دار إحياء العلوم- بيروت لبنان- ط1- 1408هـ 1988م.
20.البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله الزركشي- تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم- دار المعرفة- بيروت- 1391هـ.
21. البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس- 1- سلسلة بلاغتنا ولغتنا- دار الفرقان- عمان- الأردن- ط2- 1409هـ 1989م.
22. البلاغة والأسلوبية، يوسف أبو العدوس- الأهلية للنشر والتوزيع- عمان الأردن- ط1- 1999م.
23. البيان في روائع القرآن، تمام حسان- عالم الكتب- القاهرة- مصر- ط1- 1413هـ 1993م.

24. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي- تحقيق علي شـــتيري- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- 1414هـــ 1994م.
25. التبصرة والتذكرة، الصيمري- تحقيق فتحي أحمد مصطفى علي الـــدين- دار الفكر- دمشق- ط1- 1402هـــ 1982م.
26. التبعية في التحليل النحوي، سعيد حسن البحيري- مكتبة الأنجلو المصـــرية- ط1- 1988م.
27. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري- تحقيـــق علـــي بـــن محمـــد البجاوي- إحياء الكتب العربية- (د. ت).
28. التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية- تصحيح وتعليـــق طـــه يوســـف شاهين- دار الكتب العلمية- بيروت لبنان- 1402هـــ 1982م.
29.التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصـــري- تحقيق فتحي أنور الدابولي- دار الصحابة للتراث بطنطـــا- القـــاهرة- ط1- 1992م.
30. تحليل الخطاب، ج. ب بروان و ج. يول- ترجمة محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي- النشر العلمي والمطابع- جامعة الملك سعود- الريـــاض- المملكـــة العربية السعودية- 1418هـــ 1997م.
31. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك- تحقيق محمد كامل بركات- دار الكتاب العربي- القاهرة- 1387هـــ 1967م.
32. التعجب صيغه وأبنيته، جميل علوش- أزمنة للنشـــر والتوزيـــع- عمـــان- الأردن- ط1- 2000م.
33. التعريب وتنسيقه، محمد المنجي الصيادي- مركز دراسات الوحدة العربيـــة- بيروت- (د. ت).
34. التعريفات، الشريف الجرجاني- دار الكتب العلميـــة- بـــيروت- لبنـــان- 1416هـــ 1995م.

35. تفسير البيضاوي، تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة- دار الفكر- بيروت- 1416هـ 1996م.
36. تفسير الجلالين، دار الحديث- القاهرة- (د. ت).
37. تفسير الصنعاني، تحقيق- مصطفى مسلم محمد- مكتبة الرشد- الرياض- ط1-1410هـ.
38. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير- دار الفكر- بيروت- 1401هـ.
39.تفسير مجاهد- تحقيق عبد الرحمان الطاهر محمد السورتي- المنشورات العلمية- بيروت- (د.ت).
40. تقرير علىشرح سعد الدين التفتازاني لتلخيص المفتاح وحاشيته الشهيرة بالتجريد في علم المعاني والبيان والبديع، الأنبابي- مطبعة السعادة- مصر- 1331هـ.
41. تلخيص الخبير، ابن حجر العسقلاني- تحقيق عبد الله هاشم اليماني- المدينة المنورة- 1384هـ 1964م.
42. التلخيص في علوم البلاغة، القزويني- شرح عبد الرحمان البرقوقي- دار الفكر العربي- (د. ت).
43. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي- تحقيق محمد رضوان الداية- دار الفكر المعاصر ودار الفكر- بيروت دمشق- ط1- 1410هـ.
44. تيسيرات لغوية، شوقي ضيف- دار المعارف- القاهرة- (د. ت).
45. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري- دار الفكر- بيروت- 1405هـ.
46. جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني- المكتبة العصرية للطباعة والنشر- صيدا بيروت- ط39- 1422هـ 2001م.

47. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي- تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني- دار الشعب- القاهرة- ط2- 1372هـ.
48. الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، محمد إبراهيم عبادة- دار المعارف- الإسكندرية مصر- 1988م.
49. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي- ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي- المكتبة العصرية للطباعة والنشر- صيدا بيروت- ط2- 2000م.
50. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمان الثعالبي- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت- (د. ت).
51. حاشية على شرح الأشموني، الصبان- دار الفكر- بيروت- لبنان- ط1- 1419هـ- 1999م.
52. حاشية على شرح السعد على هامش شروح التلخيص، محمد بن محمد بن عرفة الدسوقي - عيسى البابي الحلبي- مصر- (د. ت).
53. حاشية على شرح ابن عقيل، محمد الخضري علي- دار إحياء- الكتب العربية- (د. ت).
54. الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه- تحقيق عبد العال سالم مكرم- دار الشروق- بيروت- 1401هـ.
55. حجة القراءات، أبو زرعة بن زنجلة- تحقيق- سعيد الأفغاني- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط2- 1402هـ 1982م.
56. الحصيلة اللغوية أهميتها ومصادرها ووسائل تنميتها، أحمد محمد المعتوق- سلسلة عالم المعرفة(212)- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت-1996م.
57. الخصائص، ابن جني- تحقيق محمد علي النجار- دار الهدى للطباعة والنشر- بيروت لبنان- ط2- (د. ت).

58. خلاصة البدر المنير، ابن الملقن الأنصاري- تحقيق حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي- مكتبة الرشد- الرياض- ط1- 1410هـ.
59. الخلاصة النحوية، تمام حسان- عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة- ط1- 2000م.
60. دراسات نقدية في النحو العربي، عبد الرحمان أيوب- القاهرة- 1957م.
61.الدر المنثور، جلال الدين السيوطي- دار الفكر- بيروت- 1993م.
62. دروس في المذاهب النحوية، عبده الراجحي- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية- 1992م.
63. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني- تعليق- محمد رشيد رضا- دار المعرفة- بيروت لبنان- ط1- 1994م.
64. دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى- مكتبة وهبة عابدين- ط2- 1987م.
65. دليل الدراسات الأسلوبية، جوزيف ميشال الشريم- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت- 1984م.
66. دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان- ترجمة كمال بشر- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- ط12- 1997م.
67. ديوان جرير، تحقيق الصاوي-(د.ن)- 1353هـ.
68. ديوان ذي الرمة، تحقيق عبد القدوس أبي صالح- مؤسسة الإيمان- بيروت- ط1- 1980م.
69. ديوان عباس بن مرداس، جمع وتحقيق يحي الجبوري- نشر مديرية الثقافة العامة في وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية- بغداد- ط1- 1968م.
70. ديوان علي (كرم الله وجهه)، جمع نعيم زرزور- دار الكتب العلمية- بيروت- (د. ت).

71. ديوان مجد الإسلام، أحمد محرم- تحقيق محمود أحمد محرم- مكتبة الفلاح- الكويت- ط1- 1402هـ 1982م.
72. ديوان مسكين الدرامي، تحقيق خليل إبراهيم العطية وعبد الله الجبوري- بغداد- (د. ت).
73. رسالة المباحث المرضية، ابن هشام- تحقيق مازن مبارك- دار ابن كثير- دمشق- ط1- 1987م.
74. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- (د. ت).
75. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمان الجوزي- المكتب الإسلامي- بيروت- ط3- 1404هـ.
76. سبب وضع علم العربية، السيوطي- تحقيق مروان العطية- دار الهجرة- دمشق- ط1- 1988م.
77. سر صناعة الإعراب، ابن جني- تحقيق حسن هنداوي- دار القلم- دمشق- ط1- 1985م.
78. سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- دار الفكر- (د.ت).
79. شرح ألفية ابن مالك، الأشموني- تهميش حسن حمد- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط1- 1419هـ 1998م.
80. شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري- المكتبة التجارية الكبرى- مصر- 1358هـ.
81. شرح شذور الذهب، ابن هشام- تحقيق عبد الغني الدقر- الشركة المتحدة للتوزيع- دمشق- ط1- 1984م.
82. شرح الكافية في النحو، رضي الدين الاستراباذي- دار الكتب العلمية- بيروت لبنان- 1415هـ 1995م.

83. شرح الألفية في علمي: الصرف والنحو، المكودي- دار رحاب للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر- (د.ت).
84. شرح ألفية ابن مالك، ابن الناظم- تحقيق محمد باسل عيون السود- منشورات- محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية- بيروت لبنان- ط1- 1420هـ 2000م.
85. الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس- تحقيق عمر فاروق الطباع- مكتبة المعارف- بيروت لبنان- ط1- 1993م.
86. الصحاح، الجوهري- تحقيق أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين- بيروت لبنان- ط4- 1990م.
87. صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة- بيروت- 1414هـ 1993م.
88.عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي- عيسى البابي الحلبي- مصر- (د. ت).
89. علم الأدب(مقالات لمشاهير العرب)، شيخو اليسوعي- المكتبة الكاثوليكية- بيروت- 1987م.
90. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران- دار الفكر العربي- القاهرة- مصر- ط2- 1992م.
91. علم المعاني، محمود أحمد نحلة- دار العلوم العربية- بيروت- لبنان- ط1- 1990م.
92. علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي- دار الكتب العلمية- بيروت لبنان- ط3- 1993م.
93. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني- دار الفكر- بيروت- (د. ت).

94. الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط3- 1403هـ 1983م.
95. الفهرست، ابن النديم- تحقيق وتقديم مصطفى الشويمي- الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب- تونس الجزائر- 1406هـ 1985م.
96. في البلاغة العربية(علم المعاني- البيان- البديع)، عبد العزيز عتيق- دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت لبنان-(د. ت).
97. في التفكير اللغوي، محمد فتيح- دار الفكر العربي- القاهرة- ط1- 1989م.
98. في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي- دار الرائد العربي- بيروت- لبنان- ط2- 1406هـ 1986م.
99. القاموس المحيط، الفيروزآبادي- تحقيق مكتب تحقيق التراث- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط6- 1998م.
100. قضايا شعرية، رومان ياكبسون- ترجمة محمد الولي ومبارك حنون- دار توبقال للنشر- الدار البيضاء المغرب- (د. ت).
101. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، سناء حميد البياتي- دار وائل للنشر- الأردن- ط1- 2003م.
102. الكتاب- سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون- دار الجيل- بيروت- ط1- (د. ت).
103. كتاب السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد- تحقيق شوقي ضيف- دار المعارف- القاهرة- ط2- 1400هـ.
104. كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، محمد علي الفاروقي التهانوي- تحقيق- لطفي عبد البديع وعبد النعيم محمد حسين- الهيئة المصرية العامة للكتاب- (د. ت).

105. كتر اللغة العربية موسوعة في المترادفات والأضداد والتعابير، حنا غالب- مكتبة لبنان ناشرون-بيروت- ط1- 2003م.
106.اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء بن الحسين- تحقيق غازي مختار طليمات- دار الفكر- دمشق- 1995م.
107. لسان العرب، ابن منظور- دار صادر للطباعة والنشر- بيروت- ط1- 1995م.
108. اللغة، ج فندريس- ترجمة عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص-(د.ن)- (د.ت).
109. اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان- عالم الكتب- القاهرة- ط4- 1421هـ 2001 م.
110. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان- عالم الكتب- القاهرة- ط3- 1418هـ 1998م.
111.اللمع في العربية، ابن جني- تحقيق حامد المؤمن- عالم الكتب ومكتبة النهضة المصرية- ط2- 1405هـ 1985م.
112. مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي- دار القصبة للنشر- الجزائر- 2000م.
113. مبادئ في اللسانيات العامة، أندري مارتني- ترجمة زبير سعدي- سلسلة العلم والمعرفة- دار الأفاق- الأبيار الجزائر- (د. ت).
114.محاضرات في الألسنية العامة، دي سوسير- ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر- منشورات المؤسسة الجزائرية للطبع- (د. ت).
115.المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جنّي- تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين- لجنة إحياء التراث الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في الجمهورية العربية المتحدة- القاهرة- 1386هـ.
116. محيط المحيط، بطرس البستاني- مكتبة لبنان ناشرون- بيروت- 1987م.

117. مختصر على تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتازاني- عيسى البابي الحلبي- مصر- (د. ت).
118. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري- تحقيق مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية- بيروت- 1411هـ 1990م.
119. مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب- تحقيق حاتم صالح الضامن- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط2- 1405هـ.
120. مظاهر النظرية النحوية، نعوم تشومسكي- ترجمة مرتضى جواد باقر- دار الرشيد- بغداد- 1983م.
121. معالم التنزيل، أبو محمد البغوي- دار المعرفة- بيروت- 1407هـ1987م.
122. معاني القرآن، الفراء- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط1- 1423هـ 2002م.
123. معاني النحو، فاضل صالح السامرائي- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- عمان الأردن- ط1- 1420هـ 2000م.
124. معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة- منشورات- جامعة طرابلس- كلية التربية- ط1- 1977م.
125. المعجم الفلسفي، جميل صليبا- دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري- ط3- 1972م.
126. معجم متن اللغة، أحمد رضا- دار مكتبة الحياة- بيروت- 1958م.
127. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب- مكتبة لبنان ناشرون- بيروت- ط2- 1414هـ 1993م.
128. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية- تحقيق عبد الوهاب السيد عوض الله وآخرين- مطابع الأوغست- شركة الإعلانات الشرقية- 1985م.
129. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري- تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله- دار الفكر- بيروت- 1985م.

130. مفاتيح الألسنية، جورج مونان- ترجمة الطيب بكوش- منشورات الجديد- تونس- 1981م.
131. مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي- تحقيق عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية- بيروت لبنان- ط1- 1420هـ 2000م.
132. المفصل في علم اللغة، الزمخشري- مراجعة وتعليق محمد عز الدين السعيدي- دار إحياء العلوم- بيروت لبنان- ط1- 1410هـ 1990م.
133. المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني- تحقيق كاظم بحر المرجان- وزارة الثقافة والإعلام العراقية ودار الرشيد- بغداد-1982م.
134. من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس- مكتبة الأنجلو مصرية- القاهرة- ط6- (د.ت).
135. المنطلقات التأسيسية والفنية في النحو العربي، نديم الدمشقية- معهد الإنماء العربي- بيروت- (د. ت).
136. مناهج البحث البلاغي في النصف الأول من القرن العشرين في مصر، خديجة السايح- المعارف الإسكندرية- مصر- 2000م.
137. مناهج الصواب في علم الإعراب، ابن رحمة الحويزي- تحقيق عبد الرحمان كريم اللامي- الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع- عمان الأردن- ط1- 2002م.
138. مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، أبو يعقوب المغربي- أحد شروح التلخيص- عيسى البابي- مصر- (د. ت).
139. موسوعة الحروف العربية، إميل بديع يعقوب- دار الجيل- بيروت لبنان- ط2- 1995م.
140. الموفي في النحو الكوفي، صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي- شرح محمد بهجة البيطار- مطبوعات المجمع العلمي- دمشق- (د.ت).
141. النحو المصفى، محمد عيد- مكتبة الشباب- المنيرة القاهرة- 1994 م.

142. النحو الوافي، عباس حسن- دار المعارف المصرية- القاهرة- ط9- (د.ت).
143. نظام الجملة في شعر المعلقات، محمود أحمد نحلة- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية- 1991م.
144. النهر الماد من البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي- تحقيق عمر الأسعد- دار الجيل- بيروت- ط1- 1416هـ 1995م
145. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي- تحقيق عبد العال سالم مكرم- دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع- الكويت- 1399هـ 1979م.
146. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي- تحقيق صفوان عدنان داوودي- دار القلم-الدار الشامية- دمشق بيروت- ط1- 1415هـ.
147. الوشاح على الشرح المختصر لتلخيص المفتاح، محمد الكرمي- المطبعة العلمية- 1201هـ.
148. وظيفة الألسن وديناميتها، أندري مارتني- ترجمة نادر سراج- دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت لبنان- ط1- 1416هـ 1996م.

الرسائل الجامعية:

1. بنية الجملة الطلبية في السور المدنية، بلقاسم دفة-(رسالة دكتوراه مخطوطة)- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة- 2000م.
2. الجملة بين النحو والمعاني، محمد الطاهر الحمصي- (رسالة دكتوراه مخطوطة)- جامعة دمشق- كلية الآداب قسم اللغة العربية- 1410هـ 1989م.

3.القرائن المعنوية في النحو العربي، عبد الجبار توامة (رسالة دكتوراه مخطوطة)- جامعة الجزائر- معهد الآداب واللغة العربية- 1994 1995م.

المجلات والدوريات:

1.أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة من23-24 أبريل 2001م، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية- الجزائر- 2001م.
2.مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي- لبنان- ع 8،9- 1979م.
3.مجلة اللسان العربي، جامعة الدول العربية- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- مكتب تنسيق التعريب- ع45- صفر 1419هـ، يونيو(حزيران) 1998م.
4.مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- العدد11- 1401هـ 1981م.

ثبت الموضوعات

إهداء
شكر وعرفان
مقدمة.....(أ-و)
الفصل الأول: مدخل إلى دراسة التركيب الإفصاحي.....(7-48)
- المبحث الأول: دلالات التركيب والإفصاح بين اللغة والاصطلاح.....(8-25)

1. التركيب بين اللغة والاصطلاح.....8

1.1.التركيب لغة.....8
2.1.التركيب في الاصطلاح.....9
2. الإفصاح بين اللغة والاصطلاح.....22
1.2. الإفصاح لغة.....22
2.2. الإفصاح في الاصطلاح.....23
- المبحث الثاني: مدارات المصطلح بين القدامى والمحدثين.....(26-48)
1.عند القدامى.....26
2.عند المحدثين.....32
1.2.المسلك التجديدي.....34
2.2. المسلك التقليدي 47
الفصل الثاني: التراكيب الإفصاحية في ضوء القاعدة النحوية.....(49-103)
- المبحث الأول: تركيب التعجب .....(50-73)
1.التعجب على أوضاع اللغويين.....52
2.التعجب على أوضاع النحويين.....53
3.صيغ التعجب وأحكامه.....55
1.3.صيغتا التعجب القياسيتان.....55
1.1.3.ما أفعله!.....
56.....
2.1.3.أفعل به.....59
3.1.3.صيغتا التعجب في ضوء النظر اللغوي.....60
2.3.أحكام التعجب القياسي 65
3.3.عبارات التعجب السماعية 69
1.3.3.النداء التعجبي.....69
2.3.3.الاستفهام التعجبي.....70

3.3.3.التعجب بتعبيرات معينة.....71

- المبحث الثاني: تركيب المدح والذم.....(74-87)

1.صيغ المدح والذم العامة.....74

1.1.الركن الأول: الصيغة.....75

2.1.الركن الثاني: الاسم المرفوع الممدوح أو المذموم.....76

3.1.الركن الثالث: المخصوص بالمدح أو الذم.....79

2.صيغ المدح والذم الخاصة 80

1.2.صيغة ساء 80

2.2.صيغة حبذا.....81

3.صيغ المدح والذم في ضوء النظر اللغوي.....83

1.3.تركيب (نعم وبئس).....84

2.3.تركيب المدح والذم الخاصين.....86

- المبحث الثالث: تركيب الندبة .....(88-95)

1.الندبة على أوضاع اللغويين.....88

2.الندبة على أوضاع النحويين.....89

3.الخصائص التركيبة للندبة.....91

- المبحث الرابع: تركيب خوالف الإخالة.....(96-103)

1.خوالف الإخالة في الموروث النحوي العربي.....99

2.التنوين في خوالف الإخالة بين الشكل والوظيفة.....100

الفصل الثالث: الأنماط التركيبية الإفصاحية في المدونة القرآنية.....(104-177)

- المبحث الأول: الأنماط التركيبية الوظيفية التعجبية وصورها الشكلية في القرآن الكريـــــم.....(105-123)

1.التعجب القياسي.....105
1.1.النمط الأول.....105
2.1.النمط الثاني.....106
3.1.النمط الثالث.....107
4.1.النمط الرابع.....108
2.التعجب السماعي.....109
1.2.الاستفهام التعجبي.....109
1.1.2.النمط الأول.....110
2.1.2.النمط الثاني.....110
3.1.2.النمط الثالث.....111
4.1.2.النمط الرابع.....112
5.1.2.النمط الخامس.....113
6.1.2.النمط السادس.....114
7.1.2.النمط السابع.....114
8.1.2.النمط الثامن.....115
9.1.2.النمط التاسع.....116
2.2.النداء التعجبي.....117
1.2.2.النمط الأول.....118
2.2.2.النمط الثاني.....118
3.2.الشرط التعجبي.....119
4.2.الخبر التعجبي.....119
1.4.2.النمط الأول.....120
2.4.2.النمط الثاني.....120
3.4.2.النمط الثالث.....121
4.4.2.النمط الرابع.....121
5.4.2.النمط الخامس.....122

6.4.2.النمط السادس.....122
7.4.2.النمط السابع.....122
8.4.2.النمط الثامن.....123
- المبحث الثاني: الأنماط الوظيفية لتركيب المدح والذم وصورها الشكلية في القرآن الكريـــم.....(124-167)
1.المدح.....124
1.1.المدح بصيغة (نِعْمَ).....124
1.1.1.النمط الأول.....125
2.1.1.النمط الثاني.....128
3.1.1.النمط الثالث.....132
4.1.1.النمط الرابع.....133
5.1.1.النمط الخامس.....135
6.1.1.النمط السادس.....135
2.1.المدح بصيغة (فَعُلَ).....136
1.2.1.النمط الأول.....137
2.2.1.النمط الثاني.....139
2.الذمّ.....139
1.2.الذم بصيغة (بئس).....139
1.1.2.النمط الأول.....139
2.1.2.النمط الثاني.....142
3.1.2.النمط الثالث.....144
4.1.2.النمط الرابع.....144
5.1.2.النمط الخامس.....148
6.1.2.النمط السادس.....149
7.1.2.النمط السابع.....150

8.1.2.النمط الثامن.....151
9.1.2.النمط التاسع.....152
10.1.2.النمط العاشر.....153
2.2.الذم بصيغة ساء.....153
1.2.2.النمط الأول.....153
2.2.2.النمط الثاني.....156
3.2.2.النمط الثالث.....158
4.2.2.النمط الرابع.....159
5.2.2.النمط الخامس.....160
6.2.2.النمط السادس.....161
7.2.2.النمط السابع.....162
2.3.الذم بصيغة (كَبُرَ).....163
1.2.3.النمط الأول.....163
2.2.3.النمط الثاني.....163
3.2.3.النمط الثالث.....164
4.2.3.النمط الرابع.....165
5.2.3.النمط الخامس.....166
- المبحث الثالث: الأنماط الوظيفية لتركيب الندبة وصورها الشكلية في القرآن الكريم.....168
1.النمط الأول.....169
2.النمط الثاني.....171
3.النمط الثالث.....172
- المبحث الرابع: الأنماط التركيبية الوظيفية لخوالف الإخالة وصورها الشكلية في القرآن الكريم.....173
1.النمط الأول.....173
2.النمط الثاني.....174

3.النمط الثالث.....175
4.النمط الرابع.....176
الخاتمـــــــة.....178
ثبت المصادر والمراجع.....182
ثبت الموضوعـــــات.....194